الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

موسومة بعنوان:

خطة الكتابة على عهد الموحدين

إعداد الطالب:

بغداد غربي

تحت إشراف:

د. محمد بن معمر

الموسم الجامعي:

١٤٢٧- ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م

16957

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

موسومة بعنوان:

لا يستعار

خطة الكتابة على عهد الموحدين

جامعة وهران
المكتبة الجامعية المركزية
T2288
2007/06/19

إعداد الطالب:
بغداد غربي

تحت إشراف:
د. محمد بن معمر

الموسم الجامعي:

1427- 1428هـ/ 2006- 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

قبسات

من كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد الوزير الكاتب العباسي:

«الكتابة أس الملك وعماد المملكة، وبالكتابة والكتّاب قامت السياسة والرياسة، ولو أن فضلا ونبلا تصورا جميعا تصورت الكتابة، ولو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صنعة»

وقال أحد الشعراء:

إن افتخر الأبطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يُكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتّاب عزا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

الإهداء

كم هو جميل أن يبذل الإنسان وسعه في سبيل الآخرين. وحيث أني أتممت هذا العمل المتواضع بودي أن اهديه إلى من هو أهل أن يهدى له وفي مقام أن يبذل من أجله، فأهدي عملي هذا إلى والديّ الكريمين؛ أبي الحنون الذي لم يأل جهدا في سبيل تربيتي على الأخلاق والقيم، ولم يتوان في تشجيعي والدفع بي في ميدان العلم والتعلم، وإلى أمي الغالية التي تركتني ابن الخريف الثالث وانتقلت إلى الرفيق الأعلى رحمها الله تعالى وتغمدها برحمته وأسكنها فسيح جنانه بمنه وكرمه... إليهما أهدي هذا العمل. كما أهديه إلى كل أفراد أسرتي، بدءا بخالتي التي كانت لي بمثابة الأم الحنون، وإلى إخوتي جميعا وبخاصة أخي الصغير الشيخ، وأختيَ وجميع أبنائهما، وإلى أختي الصبية شيماء بصفة خاصة، وإلى هؤلاء عامة أهدي هذا العمل. كما أهديه إلى أسرة العم رابح، وبالأخص نور الدين؛ الشقيق الذي لم تلده أمي، والصغيرة الغالية هبة الله، وإلى كل أقاربي أهدي هذا العمل.

وإلى أساتذة قسم الحضارة الإسلامية وعلى رأسهم رئيس القسم الدكتور محمد بن معمر، وإلى كل أساتذتي ومشايخي وزملائي وأصدقائي أهدي ثمرة جهدي. وأخص منهم أستاذنا الفاضل والأب الحنون الدكتور عبد المجيد بن نعمية وكل أعضاء مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران، وكل أساتذة وعمال معهد الحضارة الإسلامية، وإلى كل من علمني أدنى ما لم أكن أعلم..

أهدي هذا العمل.

كلمة شكر

مصداقا لقول الله تعالى: {وما بكم من نعمة فمن الله}، وإن من أعظم النعم أن يرى المرء نفسه يشقى في نعيم العلم بعقله، وما ذلك إلا بتوفيق من الله تعالى، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ولربي الشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على جزيل نعمه وآلائه كلها، وعلى توفيقه في إتمام هذا البحث المتواضع.

وكذا مصداقا لقول خير البرية- عليه وعلى آله وصحابته وخلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل الصلاة والسلام: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس". أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر لمن تربيت على يديه في خضم حياتي العلمية الجامعية، ونهلت من معين أخلاقه وسمو روحه قبل التشبع من وافر علمه وغزير معارفه لا سيما في تخصصه الذي له فيه اليد الطولى والباع الأرحب، أستاذي الفاضل الدكتور محمد بن معمر، فله مني جزيل الشكر على ما ذكر، وما لم يذكر كان أجلّ وأعظم، وله مني وافر الامتنان على تحمل أعباء الإشراف على هذا البحث والعناية به منذ أن كان فكرة إلى غاية كيانه في الساحة العلمية على الرغم من كثير ارتباطاته وانشغالاته الإدارية والعلمية الأخرى.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه الرسالة وتحمل أعباء ذلك على الرغم من انشغالاتهم العديدة: أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور الجيلالي سلطاني شيخ معهدنا في اللغة والأدب، الذي له مني جزيل الشكر على مساعداته الكثيرة حول هذا البحث وماتعلق به، من تصويبات لغوية ومنهجية، وعلى مساعداته الكثيرة الأخرى.

ولأستاذتنا مخزومي جهيدة كامل معاني الإحترام وجزيل الشكر على جهودها المبذولة في سبيل تشجيعي على البحث والإعانة فيه منذ زمن التتلمذ على يديها وعلى قبولها وتحملها أعباء مناقشة هذا البحث فجزاها الله خير الجزاء، وإلى من لا يسعني التعبير عن شكري له مهما بذلت من جهد، ولا تمكنني إيفاءه حقه ورد جميله وحسن صنيعه مهما وفقت في وصف مشاعر شكري وعواطف حبي له، أستاذي ومربيي ووالدي الذي لم يلدني قدوتي وشيخي الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية مدير مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا الذي كان لنا ملاذا آمنا ومجالا خصبا في حياتنا العلمية، فله مني الشكر الجزيل والمحبة التي لا تحويها الكلمات، وجزاه الله عنا خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أسرة معهد الحضارة الإسلامية أساتذة وإداريين على مساعداتهم في سبيل تيسير إنجاز هذا البحث وبالأخص عمال المكتبة: محمد، حسني، إبراهيم، عبد الكريم، محي الدين، وأمينة المكتبة، وعبد القادر بنعوم ورفقائه كلهم، لهم مني الشكر الجزيل على جميل سعيهم في سبيل إتمام هذا البحث المتواضع.

ولكل من الأصدقاء: رمضان الطاهر ومحمد وفارس والزبير وحمدان والدكتور بوقطاية الشكر الجزيل على مساعداتهم الجليلة.

وإلى كل من ساعد على أنجاز هذا البحث من بعيد أو من قريب أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مما لا شك فيه أن التفوق السياسي والعسكري لأي دولة متعلق بقوة نظامها ومدى تطور وانضباط مؤسساتها الإدارية المختلفة على الصعيدين المدني والعسكري، وإن من أهم تلك المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية ما يصطلح عليه في النظم الإسلامية بنظام الكتابة والدواوين، أو ما يسمى في هذا العصر بنظام الإعلام والاتصال؛ ذلك أنه لابد من الاتصال بين مؤسسات الدولة المختلفة والتنسيق بين ولاياتها. فالخليفة بذلك في حاجة ملحة إلى من يقوم بإنفاذ أوامره إلى مختلف الجهات، ويشرف على مكاتباته إلى مختلف الملوك المجاورين لسلطانه.

ونظرا لأهمية هذه الخطة في تسيير شؤون الدولة نجد ابن خلدون يقول في ذلك: "... إن أمور السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة، لأنها إما أن تكون في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة، وصاحب هذا هو الوزير...، وإما أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان وفي الزمان، وتنفيذه الأوامر فيمن هو محجوب عنه، وصاحب هذا هو الكاتب..." ثم ذكر بعد ذلك الحاجب وصاحب المجابي.

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع هو تلك الأهمية التي تكتسي بها هذه الخطة في النظم الإدارية من جهة، ونظرا لاهتمام الموحدين بها في دولتهم المترامية الأطراف؛ الأمر الذي يدل عليه كثرة مجاميع رسائلها الرسمية، وذلك الثبت الهائل للكتّاب الذين ساهموا في سياسة الدولة وإدارتها من جهة أخرى، لهذه الأسباب ولغيرها كان عملي في هذا الموضوع الموسوم "**بخطة الكتابة عند الموحدين**".

وإن من المستلزم فور اختيار موضوع البحث هو ما يتبادر إلى ذهن الباحث من إشكاليات، التي من خلال الإجابة عنها يمكن الحصول على تصور كامل حول موضوع البحث، فما هي مكانة هذه الخطة الإدارية عند الموحدين؟ وكيف كان التنظيم الإداري لها، وحالة الكتّاب عندهم؟، وما هي المراسيم التي تعارف عليها الكتّاب الموحدون في تحرير

الرسائل الديوانية؟، وما هي أنواع الكتابات الرسمية التي اشتهرت عند الموحدين؟.. هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا.

ولاشك أن أول ما يلاقيه الباحث في مجال تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي من عقبات في سبيل إنجاز بحثه مسألة المصادر المتخصصة في هذه الفترة، فقد لقيت صعوبة في الحصول عليها، خاصة ما تعلق بفترة الموحدين؛ إذ المكتبات الجامعية وحتى الخاصة منها فقيرة في هذا المجال، الأمر الذي أعاق سير البحث وجعله ناقصا في بعض جوانبه، والجدير بالإشارة هنا هو الثناء العطر الذي أقدمه للأستاذ المشرف الذي في حقيقة الأمر لم يبخل عليّ بأنواع مساعداته، وخاصة تزويده لي بالمصادر المتوفرة لديه في مكتبته الخاصة، المتعلقة بهذه الفترة من البحث، فله جزيل الشكر على ذلك.

ومن بين العوائق التي اعترضت البحث؛ ندرة الكتابات المتعلقة بموضوع وفترة البحث؛ إذ لم أعثر على بحث مستقل حول خطة الكتابة في هذه الفترة –أو حتى في فترات أخرى من تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط- إلا ما كان من إشارات قليلة في بعض المصادر التي لا تسمن ولا تغني البحث شيئا، مما اضطرني إلى قراءة أغلب ما توفر لدي من مصادر التاريخ السياسي كالبيان المغرب والمن بالإمامة وغيرهما، أو مصادر التراجم ككتاب التكملة، والحلة السيراء، وكتاب الذيل والتكملة قراءة كاملة حتى يتسنى لي جمع ما تعلق بالكتابة الديوانية والكتّاب فيها، هذا بالإضافة إلى أن هذه المصادر –رغم تنوعها- فقيرة من المادة العلمية المتعلقة بالنظم الإسلامية بصفة عامة، ونظام الكتابة بصفة خاصة.

ولقد رسمت خطة للإجابة عن إشكاليات الموضوع قسمتها إلى فصلين وخاتمة، أما الفصل الأول فقد تطرقت فيه بالدراسة للتنظيم الإداري لخطة الكتابة وحالة الكتّاب، وذلك بتبيين الأهمية الإدارية لخطة الكتابة بصفة عامة ومكانتها عند الموحدين بصفة خاصة، بيان ثقافة الكتّاب وشروط اختيارهم، وكذا طبقات الكتّاب ووضعيتهم الإدارية، ثم تناولت المكانة الاجتماعية التي كان يحظى بها الكاتب في المجتمع الأندلسي والمغربي في هذه الفترة، بالإضافة إلى محاولة تعيين ما كان يتقاضاه الكتّاب من رواتب ووصف حالتهم المادية، أما الفصل الثاني؛ فقد تطرقت فيه إلى الكتابات الديوانية عند الموحدين وذكر نماذج من كتّابهم، فبينت أولا معنى الرسائل وأهميتها التاريخية والعلمية، هذا مع النقد الظاهري والباطني لها من الناحيتين الشكلية أولا ببيان هيكلها العام، وكذا علامتها الخاصة بالموحدين، ومراسيم

وضعها، ثم طريقة طي الرسالة وختمها، ثم من ناحية المضمون من خلال بيان الموضوعات التي تناولتها الرسائل الرسمية الموحدية وبنيتها اللغوية، هذا بالإضافة إلى التطرق إلى كل من الظهائر والتوقيعات بالتعريف والاستقصاء، ثم ذكرت في الأخير نماذج من كتّاب الموحدين بالترجمة لهم، وأنهيت هذا البحث بخاتمة تطرقت فيها لأهم النتائج المستخلصة من البحث.

مصادر البحث:

ويمكن تقسيم المصادر المعتمد عليها في هذا البحث إلى ثلاث فئات؛ فهناك مصادر التاريخ السياسي للدولة الموحدية، وهناك كتب التراجم المتعلقة بالفترة وهي تحتوي على بعض الإشارات حول خطة الكتابة، بالإضافة إلى الموسوعات الأدبية كصبح الأعشى ونهاية الأرب وكذا بعض الدراسات الحديثة المتعلقة بالنثر الفني في عهد الموحدين، ويمكن عرض أهم مصادر البحث فيما يلي:

كتاب: "المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين" لمؤلفه ابن صاحب الصلاة "عبد الملك بن محمد بن احمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المتوفى في أواخر المئة السادسة للهجرة" الذي قام بتحقيقه الأستاذ عبد الهادي التازي، وهو من أهم مصادر تاريخ الدولة الموحدية، وذلك نظرا لمعاصرة مؤلفه لأحداث الدولة ومعاينته لها، بالإضافة إلى أن ابن صاحب الصلاة كان من بين كتّاب الموحدين كما يذكر ذلك عن نفسه، الأمر الذي جعله يعتني بهذا الجانب ويورد العديد من الإشارات المهمة عن الكتّاب كذكره لبعض اختصاصاتهم ووضعيتهم الإدارية، كما يمتاز بوصفه الدقيق للأحداث والأماكن مما يجعله بالإضافة إلى كونه مصدرا خاصا بالتاريخ السياسي؛ مصدرا غنيا بالإشارات حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ومن بين المصادر المعتمدة التي كان لها شأن ووجود في هذا البحث كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لمؤلفه عبد الواحد المراكشي المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، والذي قام بتحقيقه الأستاذ محمد سعيد العريان، وهو من أهم المصادر التاريخية في عصر الموحدين لأن مؤلفه نشأ في كنف هذه الدولة وعاصر بعضا من أحداثها، ولقد خدم هذا المصدر للبحث في تصنيفه للكتّاب إلى طبقات؛ فنجده يذكر عند الحديث عن حاشية كل خليفة موحدي كلا من كتّاب الإنشاء وكتّاب الجيش، هذا

بالإضافة إلى قيمة هذا المصدر الأدبية من خلال إيراده لمجموعة من أشعار الكتّاب وأدبهم لهذا الكتاب مما ساعدني على استنتاج المستوى الثقافي لبعض الكتّاب المذكورين في هذا المصدر.

ومن المصادر الأساسية التي لا يستغني عنها الباحث في فترة الموحدين كتاب: "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري، فهو بحق أهم مصدر في عصر الموحدين بل وحتى فترة ما قبل الموحدين، يتناول فيه صاحبه التاريخ منذ الفتح إلى غاية منتصف القرن السابع الهجري؛ إذ اعتمد فيه صاحبه على النقل عن بعض المصادر المهمة المفقودة كالمن بالإمامة وثورة المريدين لابن صاحب الصلاة، وتكمن أهميته بالنسبة للبحث في تعرضه لإحصاء الكتّاب الموحدين لكل خليفة، كما يقسم فيه الكتّاب إلى طبقات على طريقة صاحب المعجب، إلا أن عبد الواحد المراكشي أكثر منه تفصيلا وأدق منه وصفا في هذا الجانب، هذا بالإضافة إلى احتوائه على بعض الإشارات المتعلقة بالحالة الإدارية للكتّاب كما يحتوي بعض الظهائر الصادرة عن الخلفاء الموحدين، بالإضافة إلى احتوائه على مجموعة هائلة من الرسائل الرسمية التي استعملتها في قسم دراسة الرسائل.

ولقد كان لكتاب العبر وهو تاريخ ابن خلدون أهمية في هذا البحث، وخاصة المقدمة التي تحوي تعريف اصطلاحات الفنون المختلفة، وكذا تطرقه إلى تحليل النظم الإدارية على عهد الدول التي تعاقبت على المشرق والمغرب، هذا بالإضافة إلى بيانه لبعض المصطلحات الخاصة بنظام الكتابة كالتعريف بالدواوين وبيان معنى التوقيع وغير ذلك من المصطلحات.

كما يعتبر كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" لأبي محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك بن القطان الكتامي، الذي قام بتحقيقه والتقديم له الدكتور محمود علي مكي من بين المصادر المهمة في هذا البحث، وهو يعتبر قطعة من موسوعة ضخمة في تاريخ المغرب والأندلس ضاع جلها، ويتضمن الجزء الباقي أخبار ثلاث وثلاثين سنة من سنة 500هـ إلى غاية 532هـ، وتكمن أهميته التاريخية في نقله عن بعض الصادر المفقودة ككتاب "فضائل المهدي" لأبي القاسم المؤمن المغربي، وكتاب المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب لليسع بن عيسى بن حزم الغافقي، وتتجلى أهميته بالنسبة

للموضوع في تطرقه لكتّاب الخلفاء بالذكر، هذا بالإضافة إلى احتوائه مجموعة هائلة من الرسائل الرسمية التي تمكن ابن القطان من الحصول عليها فترة اشتغاله كرئيس لديوان الإنشاء الموحدي على عهد الخليفة المرتضى وصلته الوثيقة به.

ومن بين المصادر المهمة المستعملة في البحث كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع الفاسي الذي كان كاتبا عن السلطان أبي سعيد عثمان المريني (719-731هـ)، وهو من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس وأكثرها ثقة؛ إذ ضمنه أخبارا هامة لتاريخ المغرب الأقصى إلى غاية سنة 726هـ وخاصة ما تعلق بدولتي الموحدين والمرينيين، وتكمن أهميته بالنسبة لموضوع البحث في ذكره لكتّاب الخلفاء الموحدين بصفة منتظمة، كما توفر على بعض الإشارات عن كيفية تعيين الولاة وكتّابهم، وبعض الخصائص المتعلقة بكتّاب الولاة.

وكتاب "أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين" لأبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق، وهو من المصادر الهامة التي تحدثت بتفصيل عن سيرة المهدي وابتداء أمره بالمغرب، الذي قام بتحقيقه الأستاذ ليفي بروفنسال سنة 1928م، وهو المصدر الوحيد المعاصر لدعوة المهدي، فلقد كان البيذق تلميذا للمهدي ومرافقا له في رحلاته ويعمل على خدمته، كما حضر معظم غزواته، وتكمن أهميته في ذكر اتخاذ المهدي لبعض الكتّاب، كما ذكر بعض الرسائل التي كتبها المهدي بنفسه إلى قبائل الموحدين، والمرابطين أحيانا.

وكتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" لأبي العباس القلقشندي المتوفى سنة 821هـ، وهو موسوعة ضخمة قام بإنشائها في ديوان الإنشاء المصري في عصر المماليك، وهي أكبر وأشمل موسوعة في صناعة الكتابة والنظم الإدارية عند المسلمين، تتألف من أربعة عشر جزءا، بيّن فيها حالة اللغة العربية وكيفية انتشارها بالإضافة إلى تبيينه شروط الخلافة ومن يتولاها، كما ذكر فيها أنظمة الدواوين وأصولها وكيف تطورت على مختلف مراحل الدول الإسلامية في المشرق والمغرب، بالإضافة إلى الحديث عن الكتّاب وصفاتهم وآدابهم وشروط اختيارهم، كما يتحدث عن الوصايا والمعاهدات والأيمان، بالإضافة إلى التقاويم الزمنية والبريد ومحطاته ووسائله الذي له علاقة وطيدة بديوان الإنشاء والكتابة، ولم يقتصر القلقشندي على ذلك، بل تطرق بالشرح إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فكان بذلك مصدرا ذو أهمية تاريخية وإدارية هامة لدول الإسلام في المغرب والمشرق في

العصور الوسطى، ناهيك عما تناوله عن أحوال الزراعة، والبيع والشراء، والسياسات النقدية والمالية، وأنواع العملات المتداولة، هذا مع بيان جغرافية وتضاريس كل إقليم يتطرق له بالدراسة.

وتكمن أهميته بالنسبة للبحث في تعريف الكتابة والترتيبات الإدارية العامة، إضافة إلى تناوله بعض الرسائل الموحدية من حيث مضمونها وهيكلها العام، كما استفدت منه في تحديد معنى بعض المصطلحات؛ كالظهير، التوقيع، الختم، الطي، وغير ذلك مما يتعلق بالرسائل الرسمية، ونقله لمراسيم الكتابة في المغرب في عصر الحفصيين الذي يعتبره امتدادا سياسيا وإداريا لموحدي مراكش.

كما إعتمدت على مجموعة منن المصادر التي تصب في نفس محتوى صبح الأعشى؛ إذ أغلبها يتحدث عن صنعة الكتابة وشروط الكتّاب وثقافتهم ومن ذلك كتاب "معالم الكتابة ومغانم الإصابة" لابن شيث القرشي، وكتاب "الوزراء والكتّاب" لابن عبدوس الجهشياري، وكتاب " الإشارة في أدب الإمارة" للمرادي، وكتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لضياء الدين ابن الأثير، وكتاب "الصناعتين الكتابة والشعر" لأبي هلال العسكري، وغيرها من المصادر التي تتحدث عن أدب الكتابة والكتّاب.

كتب التراجم:

كتاب " التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار القضاعي "أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر المتوفى سنة 658هـ / 1260م"، وهو تكملة لصلة ابن بشكوال، يضم مجموعة من التراجم لعلماء الأندلس وأمرائها مرتبة حسب حروف الهجاء، وتكمن أهميته بالنسبة للموضوع في ذكر بعض الإشارات المتعلقة بالترتيبات الإدارية لخطة الكتابة في معرض ترجمته لبعض الكتّاب الموحدين.

وكتاب "الحلة السيراء" لإبن الأبّار كذلك، وهو يعني الثوب المخطط كناية عما تضمنه من أدب وشعر وتاريخ كما يذكر ذلك العبّادي في كتابه "في التاريخ العباسي والأندلسي"، وهو يتناول أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح إلى منتصف القرن السابع الهجري، مقسم إلى قرون مستقلة، تبدأ بالقرن الأول إلى غاية المائة السابعة، تاريخ انتهاء الكتاب، وله أهمية

في ترجمته لبعض أهم الكتّاب الموحدين، كالكاتب أبي جعفر أحمد بن عطية وزير عبد المؤمن وكاتبه، وبعض الأخبار المتعلقة بنكبته.

وكتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" لابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري المتوفى في أواخر شهر محرم سنة 703هـ، وهو تذييل لكتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، وكتاب "الصلة" لابن بشكوال، وهو يضم تراجم لرجال الأندلس والوافدين إليها من المشرق والمغرب، ويقع في تسعة أجزاء، سبعة منها لأهل الأندلس واثنان منها للغرباء الداخلين إليها، إلا أن بعض أجزائه تعرضت للضياع، والأجزاء المعتمدة في البحث السفر الأول والسفر الخامس والسادس والسفر الثامن، وهي تتضمن تراجم طويلة لمشاهير كتّاب الموحدين كأبي عبد الله بن عياش وأسرة أبي زيد الفازازي، وأبي الحسن الرعيني وغيرهم، هذا بالإضافة إلى ما تضمنته هذه التراجم من إشارات قيمة حول الحالة الاجتماعية والمادية لبعض الكتاب، الأمر الذي ساعد على إعطاء صورة نسبية عن موضوع الرواتب لموظفي ديوان الإنشاء الموحدي .

ومن مصادر التراجم المعتمدة في البحث كذلك كتاب "المغرب في حلى المغرب" لأبي الحسن على ابن موسى بن سعيد المغربي، وهو يقع في جزءين يحتويان تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس من الأمراء والوزراء والكتّاب والشعراء، ومما يتميز به اعتناؤه بطبقة الكتّاب؛ مما جعله يذكر عددا غير يسير من كتّاب الموحدين ومن خدموه من الولاة والخلفاء، مع ذكر نماذج من شعرهم و ترسّلهم، الأمر الذي ساعد على إعطاء صورة عن المستوى الثقافي للكتّاب الموحدين.

كما يعتبر كتاب "مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المؤمنية" الذي اعتنى بإصداره الأستاذ ليفي بروفنسال برباط الفتح سنة 1941م من أهم المصادر المتعلقة بالفترة، إذ يحتوي مجموعة من الرسائل الرسمية لمختلف الكتّاب الموحدين يبلغ عددها سبعا وثلاثين رسالة، وتعتبر ذات قيمة تاريخية وأدبية نظرا لعرضها الدقيق لأهم الأحداث أيام الموحدين، كما يفيد أسلوب كتابتها في معرفة مستوى ثقافة الكتاب من جهة، واستنباط هيكل الرسائل الرسمية وحصر موضوعاتها.

وبالإضافة إلى هذه المصادر المذكورة والتي لم تذكر، اعتمدت على مجموعة من المراجع من بينها:

مجموع رسائل موحدية التي قام بدراستها وتحقيقها الأستاذ أحمد العزاوي، وهي مجموعة جديدة غير مجموع بروفنسال، تقع في جزءين؛ الجزء الأول منها مخصص للرسائل والتقاديم وبعض الظهائر، أما الجزء الثاني فهو عبارة عن دراسة لهذه الرسائل وتحليلها، وتكمن أهميته في ذكره لبعض تراجم كتّاب هذه الرسائل، بالإضافة إلى ذكره لبعض المعلومات القيمة عن مراسيم الكتابة في جزء الدراسة.

وكتاب "النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطه بواقعهم الحضاري" للأستاذ رضا عبد الغني الكساسبة، وهو يتناول بالدراسة أنواع الرسائل على عهد الموحدين الإخوانية منها والإدارية، بالإضافة إلى تطرقه لمواضيع الرسائل الرسمية الموحدية.

وكتاب " الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب" للأستاذ حسن جلاب، وكتاب "الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم" لعز الدين عمر موسى، وكتاب "الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين" لحسن علي حسن، وكذا كتاب "دولة الإسلام في الأندلس" لمحمد عبد الله عنان، وغيرها من المراجع المهمة المبينة في قائمة مصادر البحث ومراجعه.

ومن الجدير بالإشارة في خضم الحديث عن المصادر والمراجع ونقدها أن أجدد شكري وامتناني للأستاذ المشرف على مساعدته الكبيرة في هذا المجال كما ذكرت، فإن المكتبات الجامعية وحتى الخاصة فقيرة من هذا النوع من المصادر، خاصة إذا تعلق الأمر بتاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، فكان اعتمادي على المشرف في هذا المجال بصورة كبيرة، فله مني فائق الشكر والامتنان.

مدخل

الكتابة لغة واصطلاحا :

أولا: لغة.

الكتابة في اللغة مصدر كتب، يقال: كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة، وكتّبه بمعنى خطّه. والكتاب اسم لما كتب مجموعا؛ والكتاب مصدر، والكتابة لمن تكون له صناعة، مثل الصياغة والخياطة[1].

وتعني الكتابة الجمع، يقال تكتّب القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة، كما سمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، كما سمي خرز القربة كتابة لضم بعض الخرز إلى بعض[2].

كما لها معان أخرى كالعلم، ومثال ذلك قول الله تعالى:﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[3] أي يعلمون[4]، وفي معنى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن:" إني بعثت إليكم كتابا" قصد به عالما، يقول ابن الأثير في النهاية: "أراد عالما، سمي بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علما ومعرفة، وكان الكاتب عندهم قليلا، وفيهم عزيزا"[5]. وتعني الحكم كذلك، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لأقضينّ بينكما بكتاب الله" أي بحكم الله الذي انزله في كتابه، وتعني الفرض والإيجاب، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[6] أي فرض عليكم[7].

---

[1]- ابن منظور الإفريقي، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرمة، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السادسة، 1417هـ/1997م، ج1، ص: 697.

[2]- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة المصرية للكتاب، 1405هـ/1985م، ج1، ص: 51.

[3]- سورة القلم، الآية:47.

[4]- ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار البيان العربي، القاهرة، دط، 2006م، ج4، ص: 311.

[5]- ابن الأثير، مجد الدين أبي السعدات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، دت، ج6، ص: 1.

[6]- سورة البقرة، الآية: 178.

[7]- سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ/ 1994م، ص: 735.

كما تعني الكتابة أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجما، فإذا أداه صار حرا. وسميت كتابة لمصدر كتب، كأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه عليه العتق، ومن ذلك في حديث الجارية " أنها جاءت تستعين بعائشة في كتابتها"[1].

وبهذا يكون للكتابة عدة معان يصب أغلبها في معنى الجمع والضم، فالكتابة جمع الحروف إلى بعضها البعض، وذلك ما نعني به الخط، كما أن الكاتب يطلق على العالم لما استوجب جمعه من العلم والثقافة حتى صار عالما.

ثانيا: اصطلاحا.

أما في الاصطلاح فتتعدد معانيها حسب اختصاص من يعمل على تعريفها، ولذلك نجد أنفسنا أمام مجموعة من المفاهيم الاصطلاحية، وهي تعني عند كل صاحب فن من الفنون اصطلاحا لها؛ فهناك من يرى أنها مجموعة من الأشكال والرموز المعبرة عن أفكار معينة[2]، فهي بهذا التعريف تشمل كل ما يعبر به الإنسان عما يجول بخاطره من أفكار من رسوم أو رموز أو غير ذلك، وهناك من عرفها بأنها: هندسة روحانية كتبت بالة جسمانية، فالروحانية ما يتخيله الكاتب من ألفاظ في أوهامه، والجسمانية؛ الخط الذي يخطه القلم، فيحول الأفكار والروح إلى صورة محسوسة ظاهرة بآلة القلم.[3] وهذا الاصطلاح لا يخرج عن كونه يرمي إلى الكتابة العامة المطلقة مثل التعريف الأول.

بينما الكتابة الإدارية أو الدواوينية التي نصبوا إلى التعريف بها من الناحية الاصطلاحية، فقد ذهب القلقشندي إلى أنها مهما تعددت وتنوعت لا تكاد تخرج عن قسمين اثنين؛ كتابة إنشاء، وكتابة أموال، وللإحاطة بمعناها الاصطلاحي لا بد من تعريف كل نوع على حدا.

فكتابة الإنشاء: المراد بها، كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات، والمسامحات، والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات، والهدن، والأمانات، والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم وغيرها.[4] فتكون بذلك متعلقة بكل ما

---

[1]- ابن الأثير، النهاية، ص: 148.

[2]- ول ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، المجلد الأول، ص: 181.

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص: 51.

[4]- نفسه، ص: 54.

ينشئه الكاتب المختص بالخليفة والسلطان على اختلاف مواضيع ما يكتب عن السلطة العليا، وسميت بكتابة الإنشاء فهو من التخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذي هو أصل موضوعها، وهو مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه وخلقه، ومن ذلك قولهم: أنشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقهم[1]. وذلك لأن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يعمل على كتابته من المكاتبات والمراسلات وغيرها، هذا من ناحية، إضافة إلى أن هذه المكاتبات تنشأ عنه ابتداء[2].

أمّا النويري فقد جعلها خمسة أصناف،كتابة إنشاء، أوكتابة ديوان وتصرف، وكتابة حكم، وكتابة نسخ، وكتابة تعليم، وكتابة شروط[3].

وذهب بعض الباحثين المحدثين إلى إن الكتابة الإنشائية كصنعة في مجال الإدارة والعمل الدواويني، تعني القيام بالأعمال المكتبية والقلمية، ومسك السجلات والدفاتر، وأن هذه "الصناعة الكتابية" بالمصطلح الأول في العصور السابقة يقابلها إلى حد ما في عصرنا الحاضر مصطلح "الوظيفة العامة"، ومصطلح الكاتب، "الموظف العام".[4]

ويطلق مصطلح النثر الديواني على هذا النوع من الكتابة – أي كتابة الإنشاء– وهو: كلام فني يشمل رسائل الحرب، والسلم، والصلح، والمعاهدات، والمسامحات، والمراسيم،، والمواثيق الإدارية والمالية، وما يجري بين الملوك، والأمراء، والوزراء، والولاة، وقادة الجيش، من مكاتبات تتناول التهنئة بالنصر، وتقليد المناصب، وما يتعلق بذلك، من حاجات الناس، ومصالحهم الدينية والدنيوية؛ إذ أن صاحب الشرع (الخليفة) في حماية الدين والدنيا[5].

أما كتابة الأموال فالمراد بها؛ "ما رجع من صناعة الكتابة إلى تحصيل المال وصرفه، وما يجري مجرى ذلك، ككتابة بيت المال والخزائن السلطانية، وما يجبى إليها من أموال الخراج، وما

[1]-ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 180.
[2]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص: 53.
[3]- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بمصر، دط، دت، ج7، ص: 4.
[4]- سليم الحسنية، أضواء على صناعة الكتابة الدواوينية عند العرب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، دط، سنة1997م، ص: 8.
[5]- عبد القادر بن أحمد الأطرش، النثر الديواني عند لسان الدين بن الخطيب، رسالة ماجستير(مرقونة)، جامعة الجزائر، سنة: 1404هـ/1982م، ص: 128. الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الثالثة، 1393هـ/1973م، ص: 5.

في معناه، وصرف ما يصرف منها من الجاري (المرتب) والنفقات وغير ذلك، وما في معنى ذلك ككتابة الجيوش ونحوها..."[1]

ومن خلال تعريف القلقشندي للكتابة نجد فرقا بين كتابة الإنشاء وكتابة الأموال؛ إذ أن كتابة الأموال ثابتة المعلم في عملية تدوينها، كونها تعتمد على رسوم وحسابات مقررة لا يحتاج الكاتب فيها إلى تغيير أو زيادة، على خلاف كتابة الإنشاء التي يستند فيها الكاتب إلى حسن البيان وجواهر الألفاظ.

وكخلاصة لما سبق، فإن الكتابة في معناها اللغوي، تعني الجمع والضم؛ كون الكاتب يجمع الحروف إلى بعضها، ويردف الجمل على نظائرها، وهي في الاصطلاح لا تعدو أن تتعدى نوعين من الكتابة السلطانية؛ كتابة إنشاء متعلقة بدءا بالسلطان وما يصدر عنه إلى مختلف الجهات الداخلية من الولاة والقضاة وأنواع العمال وجماهير الرعية، من أنواع الأوامر والنواهي، كالتولية والعزل، وإعلام الرعية...وغير ذلك مما سنتحدث عنه في موضعه حول أغراض الكتابة الديوانية، إضافة إلى العلاقات الدبلوماسية مع الدول المجاورة، وكتابة أموال يمكن أن نلخصها في عملية الإحصاء لواردات الدولة ونفقاتها على مختلف مؤسسات الدولة.

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص: 54.

لمحة تاريخية عن الكتابة في المغرب قبل الموحدين:

كانت صناعة الكتابة ولا تزال رغم اختراع وسائل تدوين وتوثيق واتصال حديثة من، أهم وانفع الصناعات التي اخترعتها البشرية عبر العصور، فلا يخفى أن اختراع الكتابة هو الحد الفاصل بين العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ.

ولما جاء الإسلام عظم من أمر الكتابة، وكرم أهل صناعتها، وتطورت وأصبحت مهنة شريفة[1]، كما أعلى الله من شأنها في القرآن الكريم إذ يقول:﴿ن والقَلَمِ ومَا يَسطُرُونَ﴾[2]،ويقول أيضا: ﴿...اقرَأْ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعلَمْ﴾[3]، ويقول كذلك:﴿وإنَّ عَلَيكُم لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[4].كما عمل النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم الكتابة ونشرها، إذ جعل فداء كل أسير من أسرى بدر أن يعلم القراءة والكتابة عشرة من صبيان المسلمين، كما كان يأمر الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن يعلم الناس الكتابة[5].

وتماشيا مع تطور النظم الإدارية في الإسلام ميز بين نوعين من الخطط؛ فهناك الخطط الدينية من الإمامة على الصلاة، والقضاء، والفتيا، والمظالم، والشرطة، والحسبة، وغيرها من الخطط، والنوع الثاني يتمثل في الخطط السياسية التي يعمل أصحابها على تسيير مؤسسات الدولة كالإمارة على الأقاليم، والوزارة، والحجابة، والكتابة[6].

ونظرا لأهمية خطة الكتابة في تسيير شؤون الدولة ومؤسساتها كان الولاة في المغرب، سواء كانوا نوابا عن الأمويّين أو العبّاسيّين يعتنون باتخاذ الكتّاب عنهم، غير أنهم في أول الأمر

---

[1]- عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة عند العرب، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ص:29.

[2]- سورة القلم، الآية:1.

[3]- سورة العلق، الآية:4، 5.

[4]- سورة الانفطار، الآية:10، 11.

[5]- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبع جمعية المعارف، القاهرة، دط، 1286هـ، ج3، ص: 106.

[6]- محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، الدار العربية للكتاب، دط، دت، ص: 8.

كانوا يقتصرون على اتخاذ كتّاب عادين يتولون إنشاء الكتب عنهم إلى الخلافة[1]، وأول كاتب في المغرب وصلنا اسمه هو عبد الملك كاتب إدريس الثاني؛ وهو الذي أعد -كما تذكر الرواية- عقد بيع مدينة فاس بين بني يزجاتن وإدريس بن إدريس[2]. كما لم يعرف الأغالبة موظفا خاصا بالكتابة مفردا، أو مضافا إلى ألقاب أخرى ككاتب العلامة أو كاتب السر كما كان الحال في الدول الأخرى[3]، إلاّ أنّ ابن عذاري يذكر كتابة شخص يعرف بأبي اليسر البغدادي، "كتب لبني الأغلب حتى انصرمت أيامهم"[4]. فربما يدل ذلك على اتخاذ الأغالبة للكتّاب في آخر أيّامهم.

وفي العصر الفاطمي كان لديوان الإنشاء قيمة أدبية عالية، فضلا عن أهميته الحكومية، وأخذ نفوذ صاحبه يزداد بالتدريج، حتى أصبح الوزير يعقوب بن كلس- اليهودي وزير المعز الفاطمي- يقوم بالتوقيع على المكاتبات بعد أن كانت من اختصاص الخليفة وحده، كما كان الفاطميون يولون عناية كبرى بفن الإنشاء، ولا يولون الديوان إلا رئيسا على علم تام بأصول هذا الفن، ولذا كان كبار موظفي الدولة ينشئون أولادهم في هذا الديوان حتى يتعلموا فن الكتابة، ويتربوا على الآداب والعلوم المختلفة، ويتدربوا على ممارسة الإدارة، ويلموا بخبرة عملية تساعدهم في مستقبل حياتهم العلمية والإدارية[5].

ولقد كان لرئيس الديوان في العصر الفاطمي ألقاب؛ فكان يلقب بكاتب الدست، وكاتب السر، والشيخ الأجل[6]، يقوم بإنشاء المكاتبات الصادرة باسم الخليفة وإرسالها، إضافة إلى استلام ما يرد إليه من كتب وشكاوى وعرضها على الخليفة، وتوجيه تعليقاته عليها إلى الجهات المختصة، والعمل على تنظيم ذلك كله، وقبل خضوع الديوان إلى رئاسة كاتب

---

[1]- حسين الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة: 1957م، ص: 16.

[2]- هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، طبعة سنة1980، ص: 48.

[3]- هوبكنز، المرجع نفسه، ص: 49.

[4]- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مطبعة المناهل، بيروت، لبنان، دط، 1948، ج1، ص:163.

[5]- حسين الباشا، المرجع السابق، ص:17، 22.

[6]- المقريزي، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، لبنـــان، دت، دط، ج1، ص: 402. القلقشندي، المصدر السابق، ج1 ص: 103.

الديوان ظل الإشراف عليه من خصائص الوزير إلى غاية عصر المستنصر، ففي عهده صار لديوان الإنشاء إدارة متميزة ذات رئيس مباشر يتبع تبعية عامة للوزير[1].

ومن أبرز الذين تولوا ديوان الإنشاء في العصر الفاطمي: أبو منصور ابن سوردين النصراني، كتب للعزيز بالله ابن المعز، وأبو الطاهر البهزكي الذي كتب للحاكم، وكتب القاضي ولي الدين ابن خيران للمستنصر، بينما استكتب كل من الآمر والحافظ تاج الرئاسة أبا القاسم علي بن منجب الشهير بابن الصيرفي صاحب الكتاب الشهير في نظم الكتابة والدواوين "أدب الكتّاب"، و الكاتب بن أبي الدّم اليهودي، ومن أعظمهم وأشهرهم على الإطلاق القاضي الفاضل الذي كتب للفاطميين في آخر دولتهم، وأصبح بعد ذلك من أشهر كتاب الأيوبيين.[2]

أما في إمارة بني زيري، فلقد كانت وظيفة الكاتب من الوظائف المرموقة التي يحظى صاحبها بالمكانة العالية عند أمرائهم، وخاصة في عهد المعز بن باديس الذي يعد عهده من أخصب فترات التاريخ المغربي؛ إذ ضم ديوان رسائله ما يزيد على المائة كاتب ممن اشتهروا بالفصاحة والبلاغة.[3]

وكان يعهد إلى بعضهم كتابة العلامة التي تذيل بها الوثائق الإدارية من أجل إعطائها الصبغة الرسمية، ويتضح ذلك عند وفاة الأمير يحي واجتماع أهل الدولة على نفاذ كتاب إلى ولده وولي عهده علي على لسان أبيه " فكتب الكاتب وكتب علامة يحي وكانت الحمد لله وحده"[4].

وممن خدم الزيريين من الكتّاب واشتهر في حضرتهم؛ عبد العزيز بن محمد القرشي الطارقي، وإبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (ت:425هـ/1034م) ، الذي خدم أمراءهم مدة ثلث قرن، وحظي بتقريبهم فسمي بكاتب الحضرة، وبالكاتب النديم[5].

---

[1]- المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص:225، حسين الباشا، المرجع نفسه، ص:17.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق،ج1، ص:96، فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب(التاريخ السياسي والمؤسسات)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1994م، ص ص: 453-460.

[3]- عفيفي محمود إبراهيم، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2002، ص: 79.

[4]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص: 441.

[5]- الحموي، شهاب الدين لبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، *1993*، ج*1*، ص: *97*. عفيفي محمود إبراهيم، المرجع نفسه، ص: *80*.

ومنهم كذلك الحسن بن رشيق الأزدي (ت:456هـ/1064م) الذي نبغ في الأدب نبوغا باهرا والذي التحق بخدمة الأمير المعز بن باديس وعمل بديوان إنشائه رفقة زميله ومنافسه محمد بن شرف (ت:460هـ/1067م)[1].وابن الاسفنجي أبو إبراهيم إسماعيل بن اللخمي، الذي كان كاتبا وحاسبا نافذا في علم الديوان[2].

كما اهتم الحماديون مثل الزيريين بخطة الكتابة والكتاب؛ خاصة بعد أن استقرت إمارتهم وآلت أحوالها إلى الازدهار، وظهر في ديوانهم الكثير من الكتاب المهرة أمثال أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب، المعروف بابن القالمي، والكاتب أبو حفص عمر بن فلفول، الذي اتخذه يحي بن العزيز الحمادي كاتبا له وصاحب سره، وهناك أيضا الكاتب أبو عبد الله محمد المعروف بابن دفرير، أحد كتاب يحي بن العزيز المتصرفين في الكتابة السلطانية.[3]

أما فيما يخص الكتابة عند المرابطين فلا بد من التحدث عنها بشيء من التفصيل، وذلك لما لها من اتصال مع الدولة الموحدية من الناحية الزمنية على رقعة جغرافية واحدة، ولما لهما من تشابه في مبادئ وأسس قيامهما على أرض المغرب، كما أن الموحدين - وعلى الرغم من عداوتهم ودعايتهم المغرضة المعادية ضد المرابطين – نجدهم قد ورثوا عنهم الكثير من التقاليد في نظم الحكم والإدارة المختلفة.[4]وذلك حتى يتسنى لنا معرفة ما اقتبسه الموحدون من نظم وما ابتدعوه في مجال الكتابة الدواوينية.

إن قول المراكشي في المعجب حول وصفه لحضرة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من أنه"اجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"[5]، إضافة إلى ما كان يستجلبه ابنه علي من النابغين من أدباء الأندلس إلى حضرته إذ

---

[1]- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2 ص: 85.

[2]- روجي إدريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري ق: 10-12م) ترجمة: حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1992، ج2، ص: 134. عفيفي محمود إبراهيم، المرجع نفسه، ص: 80.

[3]- عفيفي محمود إبراهيم، المرجع السابق، ص: 81.

[4]- محمد بن معمر، تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب الإسلامي على عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة وهران، سنة: 1992/1993م، ص: 6، 7.

[5]- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، دط، دت، ص: 164.

"لم يزل من أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس، وصرف عناية لذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك"[1]، لدليل على قيمة هذه الخطة في إدارة المرابطين، كما تنم عن قيمة الكتاب وحظوتهم في بلاطهم.

ولقد أحسن أمراء المرابطين -إضافة إلى حسن اختيارهم لقادتهم العسكريين- اختيار معاونيهم من الموظفين في الإدارة من الوزراء والكتاب الذين اختصوهم بأنفسهم وجعلوا منهم مستشارين[2]، الذين كان أغلبهم من الأندلس؛ إذ وجد يوسف فيها معينا لا ينضب من هؤلاء الكتاب، الذين تألقوا في سماء الأدب عند ملوك الطوائف ورحلوا إلى العدوة بعد سقوط هذه الممالك.[3]

ولا شك أن هؤلاء الكتّاب لم يصلوا إلى تولي منصب الكتابة عن أمراء الطوائف إلا بعد أن أثبتوا جدارتهم الأدبية في عصر بلغت فيه الحياة الأدبية الأوج، حيث كان التنافس بين هؤلاء الملوك من أسباب تشجيع الكتّاب، مما أذكى شعلة الأدب حتى بلغت الذروة في ذلك العصر، وبالتالي؛ فقد أضفوا على وظيفة الكتابة بالمغرب عند انتقالهم إلى خدمة المرابطين دفعا وتنظيما؛ نتيجة لخبراتهم السابقة.[4]

كما كان من دواعي الاعتناء بهذه الصفوة من الكتّاب وهذه الخطة؛ اتساع دائرة الاتصالات في أرجاء الدولة، وخاصة بعد جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وبسط نفوذه

---

[1]- المراكشي، المصدر السابق، ص: 173.

[2]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، قسم المرابطين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1411هـ/1990م، ص: 53. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار السلمي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1384هـ/1965م، ص: 205. سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م، ص: 167.

[3]- محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ص: 13. هوبكنز، المرجع السابق، ص: 49

[4]- حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1416هـ/1996م، ص: 314. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1980م، ص:115.

عليها، إضافة إلى اتصالاته الخارجية مع العباسيين من جهة، وبين القوى السياسية في الأندلس من جهة أخرى.[1]

ولقد كانت المراسلات المرابطية تتم باللغة العربية أو البربرية، حسب مقتضى الحال، أو بلغة نصارى الأندلس "فلقد كان له – أي يوسف بن تاشفين – كاتب يعرف اللغتين العربية والبربرية، فعرفه بما في الكتاب، فكتب الجواب بما يشرح صدورهم ويطمئن قلوبهم"،[2] إضافة إلى ترجمتهم للأمراء عن لغة النصارى فلقد كانوا يحسنونها.[3]

وكان الكتّاب يقومون بوظيفتهم الأساسية من كتابة الرسائل وأنواع الأوامر الصادرة عن إلى طوائف الأمة، وعمال الدولة وكبار موظفيها وذلك بعد اعتمادها بخاتم الأمير،[4] وأحيانا كان الكتاب يمهرون الرسالة بأيديهم ويرسلونها دون أن يطلع عليها الأمير وذلك ما حدث مع ابن أبي الخصال[5]،حيث أرسل رسالة إلى أهل الأندلس كانت قد خرجت عن حدود اللياقة مما دعا الأمير إلى إقالته بسببها،ولم يعلم الأمير بذلك إلا بعد انتشارها بين الأندلسيين والعامة.[6]

---

[1]- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ (العصر الإسلامي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص: 318. عفيفي محمود إبراهيم، المرجع السابق، ص: 81.

[2]- العيني، عقد الجمان، ج20، رقم:3 ص: 600، نقلا عن حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 118. عفيفي محمود إبراهيم، المرجع نفسه، ص: 81.

[3]- عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، (510-546هـ) تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ص:126. حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص: 315.

[4]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1968، ج4، ص: 436.

[5]- ابن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تقديم محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، دط، دت، ص ص: 199-206. ابن بسام، أبي الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م، ج6، ص:784.وعن نماذج من رسائله انظر :رسائل أندلسية، تحقيق:فوزي سعد عيسى، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى،1989،ص ص:66-106،و رسائل ومقامات أندلسية، نفس المحقق، منشاة المعارف، الإسكندرية، دط، دت، ص ص:112-139.

[6]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 207، محمود علي مكي، المرجع السابق، ص: 13.

ويتجلى عمل تحرير الرسائل في أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[1]- بعد اتخاذه لقب أمير المسلمين – الكتّاب بكتابة هذا القرار، وإرساله إلى الأعيان والأشياخ والكافة في كل الولايات، فكتب الكتّاب بذلك " من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين إلى الأشياخ والأعيان والكافة والخاصة "[2]، كما كان الكتاب يحررون الردود على الرسائل الواردة إلى الديوان، سواء الوارد منها من موظفي الدولة من الولاة والقضاة وغيرهم، أو من الإمارات المجاورة، ومن ذلك كتابه إلى أهل الأندلس ردا على كتابهم المتضمن طلب العون والمساعدة ضد الممالك النصرانية، فأمر كاتبه بالرد عليهم بما يشرح صدورهم ويطمئن قلوبهم.[3]

ولم تنحصر وظيفة الكتّاب في تحرير المكاتبات الرسمية من والى الخليفة فحسب، بل كان الكاتب مقربا من الخليفة وأهلا لثقته ومشورته، وذلك نظرا لخبرته الإدارية في تصريف شؤون الدولة، إضافة إلى ما كان يتمتع به من ثقافة واسعة،[4] وذلك ما نلمسه من خلال استشارة الأمير يوسف بن تاشفين لكاتبه عبد الرحمن بن أسبط حول العبور إلى الأندلس استجابة لنداء ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد[5] وفي ذلك يقول صاحب الحلل:"...وبعد ذلك خلا – أي الأمير يوسف بن تاشفين- بأحد كتابه وهو عبد الرحمن بن أسبط وكان أندلسيا من أهل المرية واستشاره..."[6] وقد لعب عبد الرحمن بن أسبط هذا دورا هاما في تدخل يوسف بن تاشفين في أحوال الأندلس واستجابته لصريخ الطوائف، كما كان المشير عليه -بعد قراره العبور إلى شبه الجزيرة- بان يطالب ابن عباد المذكور بثغر الجزيرة الخضراء ليكون حصنا أمينا

---

[1]- يوسف بن تاشفين الأمير الأول والمؤسس العسكري لدولة المرابطين، ولد بسبتة سنة 477هـ، وتوفي سنة500هـ، من أهم أعماله التي خلدت ذكره معركة الزلاقة الشهيرة، التي خاضها ضد الممالك الاسبانية في الأندلس في17من شهر رمضان سنة 479هـ، والتي انتصر فيها عليهم انتصارا ذريعا، وكان لها الفضل في تأخير سقوط الأندلس إلى عدة قرون. انظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المصور للطباعة والوراقة، الرباط المغرب، دط، 1972م، ص: 157. المراكشي، المعجب، ص: 226. الإحاطة، ج4، ص: 302. العبر، ج6، ص: 382.

[2]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى: 1399هـ/1979م، ص: 29.

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 118.

[4]- انظر المبحث الخاص بثقافة الكتاب واختصاصاتهم.

[5]- ترجمته في: قلائد العقيان، ص ص: 04-35 .

[6]- الحلل الموشية، ص: 49.

لجيوشه وعتاده العسكري عند جوازه العدوة.[1] كما أشار الكاتب والفقيه مالك بن وهيب على الأمير علي بن يوسف بقتل المهدي بن تومرت[2] وقال: "هذا رجل مفسد لا تؤمن غائلته"[3] وكان مالك هذا من جملة كتاب المرابطين وفقهائهم .

كما اتخذ المرابطون لرسائلهم علامة خاصة من أجل إعطائها الصبغة الرسمية، وكانت عبارتها: "توكلت على الله"[4]، وهي من اختصاص الأمير، وكان الكاتب يقوم بها أحيانا كما ذكرنا، وربما يعود ذلك إلى مكانة الكاتب من الأمير المرابطي، ومن المستبعد أن يكون ذلك من استبداد الكتّاب على الأمراء؛ إذ استخدم الأمراء الكتّاب في أمور الإدارة دون أن يطلقوا أيديهم في تصريف الأمور حسب أهوائهم[5].

ولقد جمع الكتّاب بين الكتابة والوزارة؛ إذ كان أغلب الكتّاب ينعتون بالوزراء، بل لقد اتخذوا من الكتابة والوزارة نظاما ثابتا، فلقد كان الوزير يختار لكفاءته في الميدان الأدبي وقدرته على تحرير المراسلات البليغة باسم أمير المسلمين، ولذلك كان أشهر وزرائهم من أرباب البيان قبل كل شيء، أمثال ابن عطية وابن أبي الخصال.[6]

ويورد لنا المقري عند معرض الحديث عن الوزارة في الأندلس أنها تسمى بالحجابة، "وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويختص بهم، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين، وأكثر ما يكون فاضلا في علم الأدب"[7]، وكثيرا ما نجد الكتّاب المرابطين يتحلون بهذا اللقب- أي ذي الوزارتين- الأمر الذي يؤكد ذلك التداخل بين الوزارة

---

[1]- الحلل الموشية، ص: 49. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق (قسم المرابطين)، ص: 53. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص:118، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص:205.

[2]- ستأتي ترجمته.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 252.

[4]- الحلل الموشية، ص:49.

[5]- إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص: 205.

[6]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص: 330.

[7]-المقري، أبو العباس احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1419هـ/1998م، ج1، ص: 178.

والكتابة، على الأقل عند تولي الكتابة من طرف أشخاص امتازوا بالبلاغة الأدبية والخبرة الإدارية.[1]

ويمكن أن نقسم الكتّاب المرابطين إلى ضربين؛ كتّاب شغلوا هذه الوظيفة بالأندلس خلال حكم ملوك الطوائف وامتازوا بالخبرة الإدارية والبلاغة الأدبية، ثم خدموا في بلاط المرابطين بعد ذلك، وكتاب ولدوا ونشئوا بالأندلس ونالوا حظا واسعا من العلم الأدب رشحهم إلى تولي الكتابة عن أمراء المرابطين[2].

ومن هؤلاء الكتّاب وأولهم عبد الرحمن بن أسباط أو أسبط، وكان قد نشأ أديبا مغمورا يشتغل في باب الديوان بألميرية أيام بني صمادح، ثم انتقل إلى مراكش سنة472هـ واتصل بحاشية الأمراء المرابطين، ثم اقره يوسف لكتابته فظهر في هذا المنصب ونال حظوة وجاها عريضا[3]، ويبدوا أن هذا الكاتب كان ممن يفقه لغة المرابطين البربرية ويجيدها، السبب الذي نال به حظوة عند الأمراء[4].

ثم لما انتقل يوسف بن تاشفين واتسعت دائرة المراسلات بين الأمراء وعمالهم من القادة والقضاة والفقهاء، تطلب الأمر دعا ذلك إلى زيادة ثبت الكتّاب في الحضرة، وكان جلهم من أساطين البلاغة والبيان أمثال أبي بكر بن سليمان الشهير بابن القصيرة الذي كتب لابن تاشفين بعد ابن أسباط، وكان قبل ذلك يكتب لابن عباد باشبيلية[5]، وكان يكتب إلى جانبه الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الذي كتب ليوسف مرسوم ولاية العهد لولده علي[6]، وكذا الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز البطليوسي، كاتب المتوكل بن الأفطس

---

[1]- فلقد لقب كل من أبي مروان ابن أبي الخصال، وعبد المجيد بن عبدون، وأبو بكر بن عبد العزيز، وغيرهم من الكتاب بلقب ذي الوزارتين، انظر: رسائل ومقامات أندلسية، المصدر السابق، ص: 77، 119، 172.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 118.

[3]- الحلل الموشية، ص: 49، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 53،417، عفيفي محمود إبراهيم، المرجع السابق، ص: 81.

[4]- ابن خلكان، المصدر السابق،ج2، ص: 482.

[5]- ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، كتاب اعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الاشتر، دمشق، ط سنة1691، ص: 172، الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ص:199 وما بعدها، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص:227،228. محمود علي مكي، المرجع السابق، ص: 9.

[6]- الحلل الموشية، ص: 78، ابن بسام، الذخيرة ، ج3، ص: 325.

فيما سبق، المشهور بابن القبطرنة[1]، كما كتب لعلي بن يوسف بن تاشفين كل من؛ أبو محمد عبد المجيد بن عبدون[2] وابن أبي الخصال الذي كان "آخر الكتاب واحد من انتهى إليه علم الآداب"[3]، كما كان "أكتب أهل زمانه، وأحسن أدباء أهل الأندلس بالإجماع"[4]، حتى أنه كان يلقب برئيس كتاب الأندلس[5].

ولقد ورد لهؤلاء الكتّاب الكثير من رسائلهم الديوانية وغير الديوانية التي جمعت في أكثر من مجموع، والعديد من الأشعار التي منها ما دون في دواوين خاصة؛ توحي بجدارتهم الأدبية وخبرتهم الإدارية.

ولم يقتصر اتخاذ الكتّاب على الأمراء فحسب، بل اتخذ القادة وولاة الأقاليم كتّابا لمراسلاتهم وتسيير شؤون إدارتهم، مصطفين منهم أهل البلاغة والأدب والتجربة الإدارية جريا على سنة البلاط المرابطي في مراكش، ومن هؤلاء، الفيلسوف الأديب أبو بكر بن باجة، فلقد كتب للأمير أبي بكر إبراهيم المعروف بابن تافلوت، كما كتب للأمير عبد الله بن مذولي الوزير أبو جعفر بن مسعدة، وأيضا كتب الفتح بن خاقان صاحب القلائد للأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين[6].

---

[1]- ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية 1985م، ج2، ص: 103، 104. قلائد العقيان، ص ص: 221، 223. الذخيرة، ج4، ص: 753.، عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 417. محمود علي مكي، وثائق جديدة، ص:11. وعن نماذج من ترسله انظر: رسائل ومقامات أندلسية، ص ص:77-100.

[2]- ابن سعيد، علي بن موسى بن عبد الملك الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، دارا لكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، ج1، ص: 374. القلائد، ص: 164. الذخيرة، ج4 ص: 668.

[3]- المعجب، ص: 237.

[4]- ابن دحية، المطرب، ص:171.

[5]- أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دط، دت، ص: 177.

[6]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية، 1380هـ/1960م، ج1/ص: 82، 83.

الفصل الأول:

التنظيم الإداري لخطة الكتابة وحالة الكتّاب.

* أهمية خطة الكتابة وضرورة وجودها

* ثقافة الكتّاب وشروط اختيارهم

* أنواع الكتّاب الموحدين

* مهام الكتّاب واختصاصاتهم

* الحالة المادية والاجتماعية للكتّاب

أولا: أهمية خطة الكتابة وضرورة وجودها.

إن الأعباء الثقيلة التي ألقيت على كاهل ولي أمر المسلمين من أعظم الأعباء التي لا غنى لمتوليها من اتخاذ مساعدين على مختلف أجهزة الدولة لضبط أمورها والحفاظ على مصالح الرعية، فكان ذلك سببا لظهور الخطط أو المؤسسات في الإسلام منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

وتماشيا مع تطور النظم الإدارية في الإسلام مُيِّز بين نوعين من الخطط؛ فهناك الخطط الدينية من الإمامة على الصلاة، والقضاء، والفتيا، والمظالم، والشرطة، والحسبة، وغيرها من الخطط، والنوع الثاني يتمثل في الخطط السياسية التي يعمل أصحابها على تسيير مؤسسات الدولة، كالإمارة على الأقاليم، والوزارة، والحجابة، والكتابة، هذه الأخيرة التي تعتبر من بين أهم الوظائف الإدارية في تسيير شؤون الدولة؛ من التنسيق بين أجهزتها في الداخل، وتنظيم العلاقات بينها وبين جيرانها في الخارج، وفي ذلك يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون: " إن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة: لأنها إمّا أن تكون في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة، وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق، ولهذا العهد بالمغرب؛ وإمّا أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذه الأوامر فيمن هو محجوب عنه، وصاحب هذا هو الكاتب؛ ... "[2]، ثم ذكر بعد ذلك صاحب المال والجباية ، وصاحب الباب، ألا وهو الحاجب إلى أن قال: " فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه"[3] ، فالسلطان لابد له ممن يقوم بمخاطبة من يريده على لسانه، وإنفاذ أوامره فيمن بعد عنه على اختلاف الأزمنة والأمكنة، من التولية والعزل، والأمر والنهي، وغيرها من أنواع المخاطبات.

ونظرا لأهمية خطة الكتابة في تسيير شؤون إدارة الدولة، وتنظيم العلائق بين مختلف مؤسساتها في الداخل، وكذا تنظيم العلاقات الدبلوماسية بين الدولة وجيرانها في الخارج، ذهب

---

[1]- محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، الدار العربية للكتاب، دت، ص: 8.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج1، ص: 249.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

أرباب هذه الصنعة إلى تدوين العديد من المصنفات، بالتطرّق لأهميتها، وتعريفها، وشروطها، وأنواعها، وغيرها مما يتعلق بهذه المهنة الشريفة، كما كان أغلب هؤلاء المصنفين من موظفي ديوان الإنشاء في عصورهم، ثم أصبحت هذه الكتب بمثابة دساتير تقرر مصطلح الكتابة السائد، وترشد الكتّاب إلى أقوم السّبل التي ينتهجونها لأداء مهمتهم على خير وجه.

ولم يكن تصنيف هذه الدواوين خاصا بعصر دون عضر، بل كانت حلقات في سلسلة متصلة يمتد أصلها إلى القرون الأولى من الحضارة الإسلامية، ويؤيد ذلك قراءتنا للمجموعة التالية من الكتب الخاصة بصناعة الكتابة ومصطلحاتها، كأدب الكاتب لابن قتيبة (ت270هـ)، وكتاب الوزراء والكتّاب، لابن عبدوس الجهشياري، (ت331هـ)، وأدب الكاتب للصولي (ت335هـ)، وكتاب الكتّاب، لابن دستورية (ت346هـ)، وكتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري (ت395هـ)، وكتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للماوردي (ت450هـ)، وكتاب سراج الملوك للطرطوشي (ت520هـ)، وكتاب قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي (ت550هـ)، وقوانين الدواوين لابن مماتي (ت606هـ)، ومعالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيت القرشي (ت625)هـ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير (ت637هـ)، وحسن التّوسل إلى صناعة الترسل لابن فهد الحلبي (ت725هـ)، وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري (ت749هـ)، وموسوعة صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (ت721هـ)، وغيرها من المصنفات التي تدل على شرف هذه الوظيفة ودورها في تسيير شؤون الدولة.

ولذلك نجد الكثير من ألّف فيها يذهب إلى ذكر فضلها وأهميتها بالنسبة للسلطان، وفي معنى ذلك يقول القلقشندي: "الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة، إليها ينتهي الفضل وعندها تقف الرغبة"[1]، ومما أثر عن الكاتب العبّاسي الشهير أبي جعفر الفضل بن أحمد قوله: "الكتابة أس الملك، وعماد المملكة ... وبالكتابة والكتّاب قامت السياسة والرياسة، ولو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صنعة"[2]، ويقول

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج 1، ص 37.

[2]- نفس المصدر، نفس الصفحة.

العامليي في رونقه: " كاتب الملك هو مستقر أسراره، ولسانه الناطق عنه في أفاق مملكته وأقطار بلاده، ومخصوص بقربه ولزومه دون غيره من الوزراء، فيعرف له ذلك من حاله ويبالغ في اختياره"[1]، والأقوال في هذا المعنى كثيرة، يتعسر سردها ولا يتأتى استقصاؤها، وكلها تصب في معنى الإشادة بخطة الكتابة وأهميتها وكذا فضل الكتّاب ومكانتهم من الملوك؛ إذ لم يكن في مرتبة خدم السلطان وأعوانه المتصرفين في شؤون مملكته وأقطار بلاده أخصّ وأهمّ من كاتب الرسائل.

ومن الدول التي بلغت فيها الكتابة الديوانية مبلغا عظيما وأهمية بالغة دولة الموحدين، فلقد كان لها اهتمام كبير بالإعلام وعناية بالغة بوسائله ومؤسساته؛ من دور الإنشاء، ومراكز البريد، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة؛ منها سعة رقعتها الجغرافية التي كانت نتيجة هيمنتها على كل بلاد المغرب الإسلامي بعدوتيه المغربية و الأندلسية، مما نتج عن ذلك كثرة الخراج، وتعدد الولايات، وتتابع الحركات والتنقلات العسكرية التي كانت تقوم بها الجيوش، وعلى الأخص في بداية الدولة التي تميزت بكثرة المواجهات مع عدة جبهات في الداخل والخارج.

ونظرا للأهمية الإعلامية لهذه الخطة نلاحظ اعتناء الموحدين بها منذ داعيتهم المهدي ابن تومرت[2]، وذلك ما نلمسه في تلك الاتصالات التي كان يقوم بها لاستنفار القبائل ودعوتها إلى نصرته منذ بداية نشاطه السياسي ببلاد المغرب؛ فقد كتب الكتب وأرسل بها إلى قبائل بلاد السوس يستنفرها إلى ذلك، وفي ذلك يقول ابن القطان: "...وأمره في كل يوم يتزيّد، وكتب كتبه إلى جزولة ولمطا وهنكيسة ...وجميع من جاوره يدعوهم إلى طاعته وحرب المجسمين"[3]

---

[1]- العاملي، أبي القاسم محمد بن أبي العلاء بن محمد بن محمد بن سماك الأندلسي، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: سليمان القرشي، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ص:40.

[2]- المهدي: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود الملقب بالمهدي، الداعية الأول لدولة الموحدين ومؤسسها الروحي، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، ج5، ص:45، 46. العبر، ج6، ص:266. نظم الجمان، ص:87. تاريخ الدولتين، ص:1 وما بعدها. روض القرطاس، ص ص:172-183. الحلل الموشية، ص: 103. ونظرا لشهرته لم تغفل أغلب المصادر ترجمته.

[3]- المجسمون: صفة نعت بها المهدي ابن تومرت المرابطين تعريضا بهم وهي من التجسيم، نعتهم بذلك لأنهم يثبتون الصفات لله سبحانه وتعالى كما وردت في نصوص الشرع من الكتاب والسنة دون تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل آخذين في باب العقائد على منهج السلف وعلى مذهب الإمام مالك بن أنس، على خلاف المهدي الذي دعا أتباعه إلى تأويل الصفات أخذا بأقوال الأشعرية الذين ينفون الصفات ويأولون بعضها، والتي قد تراجع عنها الإمام الأشعري رحمه الله تعالى في كتابه المشهور "الإبانة في أصول الديانة"، وعن عقائد الإمام مالك وعلماء المالكية المحقّقين يرجع إلى مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وكتاب "التمهيد" للإمام ابن عبد البر القرطبي وغيرهما.

ويقول أيضا في معرض حديثه عن أخبار سنة 515هـ: "...ثم هاجر الإمام رضي الله عنه، وحل بجبل إيجليز...وخاطب أهل قرطبة مخاطبة تقريع و تهديد ... وأقام ثلاثة أعوام يدرس العلم، ويهاجر إليه الشعراء، ويعلم المهاجرين ويخاطب القبائل ..."[1]، كما كتب إلى الموحدين يستدعيهم ويحرضهم لخوض معركة البحيرة .

وللقيام بتلك المراسلات نجد المهدي قد اتخذ في بداية أمره كاتبين من أعضاء العشرة أهل الجماعة، من أهل المغرب، أحدهما؛ أبو الربيع سليمان الحضرمي، الذي توفي في معركة البحيرة(524هـ)، والآخر؛ ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي، الذي آخى المهدي بينه وبين قبيلة هرغة[2].

وهذه الإشارة تعتبر الوحيدة في التصريح بكتّاب المهدي، والباقي منها عبارة عن نصوص دالة على تخاطب المهدي مع القبائل من ناحية، ومع أمراء المرابطين وإرسال الكتب إليهم من ناحية أخرى، وذلك دون التصريح بأسماء كتّاب هذه الرسائل أو الإشارة إليهم، مما يجعلنا نشكك في أن يكون المهدي قد اتخذ غير هذين الكاتبين أو استخدم كتّابا أندلسيين رغم اشتهارهم بخدمة الملوك في هذه الصنعة، وربما يعود ذلك إلى استحواذ المرابطين-الذين لم تزل دولتهم قائمة في هذه المدة- على نوابغ الكتّاب والأدباء في هذا العصر، في حين لم يكن ابن تومرت قد اكتسب مكانة سياسية رفيعة تجعله محط أنظار هؤلاء الكتاب والأدباء، إضافة إلى طابع الحياة العسكرية الذي تميزت به هذه الفترة[3].

ومن بين النصوص التاريخية الدالة على أهمية الكاتب وخطة الكتابة عند الموحدين ما نلمسه في نص ترجمة الغبريني للكاتب الموحدي أبي الفضل طاهر بن محشرة البجائي، إذ نجده يذكر استياء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1162-1184م) واغتمامه بسبب

1- ابن القطان، أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1990م، ص:78.

2- البيدق، أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ونشر الأستاذ ليفي بروفنسال، طبعة باريس، سنة 1928، ص: 33، 39.

3 – عفيفي محمود إبراهيم، المرجع السابق، ص:84.

وفاة كاتبه، وفي ذلك يقول: "...أخبرنا شيخنا الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع أن سبب استدعائه-أي الكاتب ابن محشرة- أن كاتب سر الخليفة في ذلك الزمان توفي، واهتم أمير المسلمين لذلك غاية الاهتمام...قال: فدخلت عليه يوما فوجدته مهتما مغتما وقد ظهر التغير في وجهه، فقلت ياسيدنا أمير المؤمنين، ما الذي أهمكم- لا أهمكم الله-؟ فقال لي: إن كاتب سرنا فلانا قد مات، وقد احتجنا إلى من نقيمه مقامه، وما وجدنا لأنه يحتاج إلى كاتب السر أن يكون على صفة كذا وعلى نعت كذا..."[1].

فاهتمام الخليفة لفقد كاتب سره ينم عن مكانة هذا الموظف في سلم إدارة الدولة، كما يوحي بشأن الخطة التي يقوم عليها هذا الكاتب وأنها من أهم الخطط السياسية، ومن ذلك فإن اهتمام الخليفة نابع عن خبرة وفقه كبيرين بشؤون الحكم والإدارة، كما يشير النص إلى أن الكاتب الموحدي كان يختار وفق شروط واعتبارات معينة تؤهله لاعتلاء منصب الكتابة عن خليفة المسلمين، غير أن الغبريني لم يصرح بهذه الشروط، وعمد إلى نقل النص باختصار مما يجعلنا نخسر معلومات مهمة حول ذلك.

كما أنه من الأمور الدالة على أهمية جهاز الإعلام والاتصال في الدولة ومكانة الكاتب من الخليفة، هو ذلك الاعتناء باتخاذ الخلفاء للكتّاب في أغلب أحوالهم من الحرب والسلم، بل وحتى قبل استواء هذا الخليفة أو ذاك على عرش الخلافة، ولذلك نجد بعض الثائرين الطامعين في الملك قد اتخذوا كتّابا لنشر دعوتهم وتنظيم جبهاتهم قبل الوصول إلى سدة الحكم، فهذا يحيى بن الناصر(624هـ/1226م) لما خرج على عمه الخليفة أبي العلاء المأمون ابن المنصور (624-630هـ/1226-1232م) كتب يستجلب الناس لطاعته وقد اتخذ كاتبا اسمه أبا الحسن السرقسطي، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "... وكتب يحيى بن الناصر حين ذلك يستجلب الناس لطاعته ويرغبهم في حزبه وجماعته من إنشاء كاتبه أبي الحسن السرقسطي"[2]، ثم ذكر بعد ذلك الرسالة التي أنشأها هذا الكاتب.

---

[1]- الغبريني، أبي عباس أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية،1981م، ص:83.

[2]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق:إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت الطنجي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى 1406هـ/1985م، ص:282.

كما يدل على أهمية هذه الخطة عند الموحدين ذلك العدد الوفير من أعلام الكتابة والترسل، وأئمة البلاغة والأدب الذين خدموا في البلاط الموحدي، سواء في بلاط الخلفاء أو الولاة، ويؤيد ذلك ما ذكره المراكشي في المعجب واصفا حضرة الوالي السيد أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن بقوله: "...وكان – أي أبو سعيد – من نبهاء أولاده ونجبائهم، وذوي الصرامة منهم، وكان محبا في الآداب مؤثرا لأهلها، يهتز للشعر ويثيب عليه، اجتمع له من وجوه الشعر وأعيان الكتّاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده"[1]، إضافة إلى ذلك الزخم الهائل من أنواع الرسائل الديوانية التي أنشأها كتّاب الخلفاء وأمرائهم على الأمصار التي تنم عن مدى أهمية هذه الخطة، ومدى اعتناء الخلفاء بالجانب الإعلامي في الدولة.

وتتويجا لما سبق نجد أن خطة الكتابة من أهم الوظائف، وعنصر أساسي للاتصال بين أجهزة الدولة والتنسيق بين مؤسساتها المختلفة منذ نشأتها، دعت إليها ضرورة التنظيم الدعوي لإقامة مشروع المهدي ابن تومرت وتجسيده على أرض الواقع في بداية الأمر، ثم فرضتها الحياة السياسية والإدارية من تنظيم الجيوش، وتعيين وعزل الولاة، ومخاطبة الرعية بمختلف القرارات والمراسيم الحكومية؛ بعد أن وطدّت الدولة أركانها وهيمنت على كل بلاد المغرب، وأصبحت بذلك أول دولة تسوس بلاد المغرب كاملة وتخضعها لسلطانها؛ وذلك بعد أن ضم الخلفاء الموحدون أجزاء المغرب الإسلامي إلى سلطة مراكش، وأصبحت الأندلس جزءا من الدولة، فاحتاجت هذه الدولة المترامية الأطراف إلى جهاز محكم لربط العلائق بين ولاياتها وجعلها في اتصال مستمر مع العاصمة مراكش.

[1]- المراكشي، المصدر السابق ، ص:293.

ثانيا: ثقافة الكتاب وشروط اختيارهم.

نظرا لسمو مرتبة الكتابة كان صاحبها لا يتخير إلا من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم، وعارضة البلاغة، ولذلك ذهب القلقشندي إلى تخصيص جزء مهم في موسوعته لصفات الكتّاب وشروط اختيارهم، ومدى ثقافتهم وآدابهم، فذكر الشروط التي لا يسع إهمالها في الكتّاب وهي مجملة في عشر صفات أولها الإسلام وذلك "ليؤتمن فما يكتبه ويمليه"[1]، وقد كان ذلك شرط أساسيا في كتّاب المغرب والأندلس، ولذلك يذكر المقري في معرض حديثه عن أنواع الكتّاب الأندلسيين بعد أن ذكر كاتب الرسائل قال: "...والكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة[2]، ولا يكون بالأندلس ولا بر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا"[3]، وذلك لأن الكاتب "هو لسان المملكة، المرهب للعدو بوقع كلامه، وجاذب للكعوب بلطف خطابه، فلا يجوز أن يولى أحد من أهل الكفر؛ إذ يكون عينا للكفار على المسلمين"[4].

ثم يستمر القلقشندي في سرد شروط الكاتب والتي أغلبها عنده هي نفس شروط كاتب القاضي، لأن هذه الشروط أولى في كاتب السلطان لعموم النفع والضر به، من الذكورة، والحرية، والبلوغ، والعدالة، والبلاغة، ورجاحة العقل والرأي، والمعرفة بالأحكام الشرعية، وقوة العزم وشرف النفس، والكفاءة لما يتولاه، هذا بالإضافة إلى بعض الشروط الأخرى التي يذكرها دون تبويب دقيق، والتي في مجملها تتعلق بالأخلاق والنزاهة، وحسن السيرة والمعشر، إضافة إلى إيراده شروطا تتعلق بالهيئة العامة كاعتدال القامة، وكثافة اللحية، وبهاء الملبس، وزكاء الرائحة[5].

---

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص:61. المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني، الإشارة إلى أدب الإمارة، تحقيق:رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1981 ص ص: 105-108.

[2]- كاتب الزمام أو الجهبذة: هو مصطلح مشرقي يعني به كاتب الحساب من تقييد الجزيات ونفقات الجيش وغيرها من كتابة الأموال، جودت الركابي، المرجع السابق، ص: 52.

[3]- المقري، أحمد بن محمد التلمساني أبو العباس، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ/1998 م، ج1، ص: 280، 203.

[4]- القلقشندي، المصدر نفسه، ج1، ص:61.

[5]- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص ص:61-100.

هذا بالنسبة للشروط الذاتية المتعلقة بنفس الكاتب، كما يصف لنا العاملي-وهو أحد كتّاب الدولة النصرية بغرناطة- الشروط العلمية التي يجب أن تتوفر في الكاتب بقوله: "...كما يحتاج الكاتب إلى أن يكون ذا علم وثقافة واسعة؛ إذ أن الكاتب هو مستقر أسرار الملك ولسانه الناطق عنه في أفاق مملكته وأقطار بلاده، فلا يختاره السلطان ممن يوقعه موقع نقص بين رعيته أو مراسليه من الملوك، فكان بذلك أحوج إلى أن يكون له مشاركة في جميع العلوم، إلى الاستكثار من حفظ الرسائل السلطانية، وعيون الأحاديث النبوية، كما ينبغي أن يكون أكثر علمه أخبار الملوك والسير والدول والتواريخ والأمثال والأشعار، كما ينبغي أن يجري إلى تعلم الأشياء التي يعلم أن مخدومه -السلطان- يميل إليها، كما يجب عليه أن يعرف مراتب المكاتبين عند من يكتب عنه، وما يليق بهم من الأدعية والعنوانات على حسب ما تقتضيه مرتبة المكاتب له، فيترل كل واحد مرتبته اللائقة به، وعلى ما جرت عادة الكتّاب في زمانه"[1] ، ولذلك قال الإمام ابن مقلة: " إذا اجتمع الكاتب مع التفنن في المعارف والعلوم، والعفاف ونزاهة النفس عن القبائح، وكتم الأسرار، فقد تناهى في الفضل وحاز غاية النبل والكمال"[2].

ويضيف النويري إلى ما ذكره العاملي والقلقشندي قبله من شروط، فيوجب على الكاتب حفظ الوحيين الكتاب والسنة، والتّدبر في معانيهما، وتفسير القرآن وغريب الحديث، وخاصة ما تعلق منه بالسير والمغازي والأحكام، بالإضافة إلى الإحاطة بعلوم اللغة من علم النحو الصرف والبيان وغيرها، إضافة إلى النظر في التواريخ ومعرفة أخبار الدول" لأنه -حسب قول النويري- يضطر إلى السؤال عن أحوال من سلف، أو يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها، أو يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها"[3].

فالكاتب فهو بذلك على أهبة الاستعداد للرد على أي نوع من المكاتبة وفي أي موضوع كان إلى أي شخص مهما كانت مرتبته جليلا كان أم وضيعا، فيخاطب كلا حسب مرتبته، فهذا وحده لدليل على سعة علم الكاتب ووفرة ثقافته.

1- العاملي، المصدر السابق، ص:41، 42.

2- نفسه، ص:43.

3- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، مطابع كست تسوماس وشركائه، القاهرة، دت، ج7، ص:32.

ثم ينتقل النويري بعد ذلك في معرض حديثه عن شروط الكاتب إلى وجوب حفظ الكاتب لديوان شعر العرب ومطالعة شروحه، من المتقدمين أمثال عنترة وامرئ القيس وغيرهما، وكذا المحدثين كالمتنبي والبحتري، إضافة إلى النظر في رسائل المتقدمين من جمهرة الكتّاب والبلغاء والخطباء، غير أنه لا يرى حفظها كما اشترط العاملي، وإنما لمجرد التأمل في معانيها وأساليبها، كما اشترط النويري في الكاتب النظر في الأحكام السلطانية وهو جانب مهم توفره في الكاتب لتعلقه بالأحكام الشرعية، وذلك ليعرف كيف يخلص قلمه في مسائل على حكم الشريعة المطهرة من تولية القضاء والحسبة وغيرهما[1].

وبعد أن عدّد النويري الشروط العلمية والثقافة الواجب توفرها في كاتب السلطان قال:" فهذه أمور كلية لابد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها، والاكباب على مطالعتها، والاستكثار منها لينفق من تلك المواد، وليسلك في الوصول إلى صناعته تلك الجواد، وإلا فليعلم أنه في واد والكتابة في واد"[2]، ولقد أصاب أبو عثمان عمر ابن بحر الجاحظ حين قال: "والكاتب وعاء ملئ علما، وظرف ملئ ظرفا"[3].

وتعتبر رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب[4] التي كتبها إلى الكتّاب من أهم الدساتير التي تناولت الصفات العلمية والذاتية والأخلاقية التي يجب أن يتمتع بها الكاتب، ليظل في مستوى مهنة الكتابة الشريفة التي يمارسها، حتى أصبحت هذه الرسالة بمثابة القانون المضبوط، والدستور الثابت الذي سار عليه الكتّاب في المشرق والمغرب وفي جميع العصور، بل إن القوانين التي قننها كبار الكتّاب في مصنفاهم لم تكن إلا شرحا وتفصيلا لهذه الرسالة[5].

ومن خلال ما سبق نجد أن الكاتب لا بد عليه أن يتحلى بكل فضيلة وكمال ويتتره عن كل عيب ونقصان، فهو العاكس لوجه الخليفة والمظهر لهيبة سلطانه، فبالإضافة إلى وجوب توفره على الضروريات لا بد من إلمامه بالكماليات، ليكوّن من نفسه شخصية متكاملة

---

[1]- النويري، المصدر السابق، ج7، ص: 34.

[2]- نفس المصدر، ص: 35.

[3]- نفسه، ص: 17.

[4]- هو الكاتب الشهير الأموي عبد الحميد بن يحيى بن سعد، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 228.

[5]- عبد الحميد حيدة، المرجع السابق، ص:95. أدب الرسائل في المغرب، ص: 88، 89.

الجوانب؛ من الإحاطة بجميع فنون العلوم الشرعية منها واللغوية، والأخذ من كل علم وفن بطرف، حتى يستطيع أداء مهنته على علم وبصيرة، وإلاّ جعل مخدومه محل عيب واستنقاص، فالكاتب لا بد عليه أن يكون بمثابة دائرة معارف متحركة من ناحية المبنى، متشبع بجميع القيم والأخلاق في جوهره وروحه.

ولقد جرى خلفاء المغرب وسلاطينه على حشد أقطاب العلم والبلاغة إلى حواضرهم من الكتّاب الذين امتازوا بقسط وافر من الثقافة العربية التي أعانتهم وأهلتهم لشغل هذا المنصب كابن القصيرة الكاتب، وابن أبي الخصال، وأبي القاسم ابن الجد، وغيرهم من الكتّاب الذين جعلوا من أنفسهم محط نظر واهتمام أهل الحكم والسياسة، فهذا ابن دحية يصف لنا الكاتب أبا القاسم بن الجد بقوله: "... و كان من أهل التفنن في المعارف والتقدم في الأدب والبلاغة، وله حظّ جيد من الفقه والتكلم في الحديث"[1]، كما كان الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال "أحد من انتهى إليه علم الآداب، وله مع ذلك في علم القرآن والحديث والأثر وما يتعلق بهذه العلوم الباع الأرحب واليد الطولى"[2].

وعلى هذا الوصف كان أغلب كتّاب المغرب من سعة العلم والبراعة في الأدب، وبخاصة منهم كتّاب دول الطوائف، التي تنافس أمراؤها على حشد أقطاب البلاغة والبيان نظرا لما كانت تعيشه هذه الدويلات من التنافس في هذا المجال، هؤلاء الكتّاب الذين خدموا فيما بعد دولتي المرابطين والموحدين، وأثروا في واقع الحياة الفكرية والأدبية لهذه الحواضر، حتى أننا نجد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وابنه علي؛ قد اجتمع لهم من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار[3].

والخلفاء الموحدون كغيرهم من ملوك المغرب حشدوا أقطاب الكتّاب المجدين وأرباب البلاغة حفاظا على ديوان الكتابة بمستواه الرفيع، كيف لا وقد غلبت على معظم الخلفاء نزعة علمية كان لها الأثر الكبير في حياة الخلافة طول أيامها؛ من تقريب ورعاية للعلماء والمفكرين،

---

[1] - ابن دحية، المطرب، ص:147.

[2] - المراكشي، المعجب، ص:237.

[3] - المعجب، ص:227.

بل كان الخليفة عبد المؤمن بن علي(524-558هـ) مؤسس الدولة الموحدية عالما من ألمع علماء عصره، يلتفّ حوله العلماء والكتّاب والشعراء من المغرب والأندلس، كما كان ابنه يوسف أبو يعقوب(558-580هـ) من أكابر علماء عصره، وكان أديبا متمكنا، وفقيها ومحدثا بارعا، جمع إلى حضرته أعلام الفكر والفلسفة أمثال أبي بكر بن طفيل وابن رشد و ابن زهر وغيرهم[1].

وعلى هذه الصفات كان أغلب الخلفاء الموحدين؛ من التمكن في اللغة والأدب و الشعر، والتبحر في علوم الحديث والفقه، حتى في أواخر الدولة بعد أن شاخت وأدركها الضعف وسرت في أرجائها الفتن والحروب، ونظرا لذلك؛ عمل الخلفاء على انتقاء الكتّاب واختيارهم، وتوخّوا فيهم الخبرة الإدارية من ناحية؛ ولذلك نجد العديد من الكتّاب الذين شغلوا هذا المنصب في البلاط الموحدي سواء في مقر العاصمة بمراكش أو عن أمراء الولايات في اشبيلية[2] وغرناطة[3] وقرطبة[4] وغيرها من الولايات، كانوا إما ممن خدم المرابطين في المغرب والأندلس واكتسبوا خبرة إدارية وشهرة فاقت الآفاق، ثم انتقلوا إلى خدمة الموحدين في بداية أمرهم، أو كتّاب نشئوا في الأندلس ونهلوا من الثقافة العربية الإسلامية وتصدروا مختلف الفنون وحووا أنواع العلوم[5].

وإن لم يتوفر لدينا في المصادر المتخصّصة في هذه الفترة ما يتحدث مباشرة عن الكتّاب وثقافتهم وصفاتهم في مصنفات خاصة أو ضمن مصنفات عامة، إلا أننا نلمس من خلال استقراء تراجم كبار كتّاب الإنشاء الذين خدموا سلاطين الموحدين وولاتهم المتوفرة في مصادر مختلفة نجد أن أغلب هؤلاء الكتّاب -إن لم نقل كلهم- قد احتووا الشروط المختلفة المتعلقة

---

[1]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق2، عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1411هـ/1990م، ص: 646. عفيفي محمود إبراهيم، المرجع السابق، ص: 83.

[2]- مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة ميسرة ثمانية أيام ومن أميال ثمانون وهي مدينة قديمة أزلية، الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي، الروض المعطر في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1980، ص: 58.

[3]- مدينة أندلسية كذلك بينها وبين وادي أش أربعون ميلا وهي من مدن ألبيرة، وهي مدينة محدثة، الروض المعطار، ص: 45.

[4]- قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين، وهي على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة، انظر الروض المعطار، ص: 456.

[5]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 114، 115.

بذواهم وثقافتهم التي اشترطها أرباب هذه الصنعة في مصنفاهم وموسوعاهم كالقلقشندى والنويري وعبد الحميد الكاتب قبلهما.

فلقد كان التفنن في أدوات الفقه والأدب من أهم ما يتوسل به إلى نيل الوظائف وإدراك الخطط، فالتفنن في علوم الفقه والشرع من الأدوات التي تؤدي إلى التوثيق وما فوقه من النيابة على القضاء، كما كان التبحر في فنون اللغة والأدب يقود إلى الكتابة في الدواوين وما يتصل بها[1]، والكتّاب الموحدون جمع أغلبهم بين الإحاطة بعلوم الشرع والتفنن في الآداب، بل كان أغلب هؤلاء الكتّاب أهل حديث وفقه قبل أن يكونوا أهل أدب[2]، كيف لا وقد جاءت دولة الموحدين في أصلها مبنيّة على نزعة دينية أسس لها المهدي ابن تومرت منذ بدايتها، هذه الترعة التي أثّرت بدورها في الأدب الموحدي عموما، ووجهت الأدباء توجها خاصا في كتاباهم الديوانية و الإخوانية[3]، ومصداق ذلك ما ذكره الغبريني في معرض ترجمته للكاتب الشهير أبي المطرف ابن عميرة المخزومي قوله:" والذي أوجب تقديم الفقيه -أي أبي المطرف- في كتابته إنما هو أن الرجل من أهل بلنسية[4]، من أهل العلم، فكتابته علمية أدبيّة، وكتابة غيره مقتصرة على نوع الأدباء، وهذا المعنى هو الذي تميّز به عمن عداه، وسبق به من سواه[5].

ومن أشهر هؤلاء الكتّاب أبي جعفر أحمد بن عطية القضاعي، فلقد كان من كبار الكتّاب والأدباء أيام المرابطين بليغا في كتابته، سهل المأخذ، منقاد القريحة، سيّال الطبع، وكان سبب تقريبه واستكتابه من طرف الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالته التي كتب بها إليه عن القائد أبي حفص قائد الجند لما انتصر على الماسي الثائر، وكانت رسالة أجاد في أكثرها وهي تنم عن قدرته الأدبية والبلاغية وفي ذلك يقول ابن عذاري: " فلما وصلت هذه الرسالة وقرئت في مجلس الخليفة....استحسنها الخليفة لما فيها من وصف الحال بغاية الإبداع وأنها أخذت من

1- انظر مقدمة محمد بن شريفة في تحقيقه السفر الثامن من الذيل والتكملة.

2- محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، دط، 1385هـ/1966م، ص: 181.

3- حسن جلاب، الدولة الموحدية، أثر العقيدة في الأدب، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 1985، ص: 46.

4- مدينة عظيمة في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة مسيرة ستة عشر يوما، الروض المعطار، ص:97.

5- الغبريني ، المصدر السابق، ص: 252.

الفصاحة والبلاغة والتشبيه الغريب بالقلوب والأسماء، وأجمع البلغاء على إبداعها غاية الإبداع"[1]، وضمنها شعرا يقول فيه :

فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ولذلك قربه عبد المؤمن واستكتبه وزاده إلى الكتابة الوزارة بعد أن وصل كتابه إليه ورأى من بلاغته وفصاحته ما ذكرنا ولما وجد فيه من "شجاعة قلبه وحصافة عقله"[2]، بالإضافة إلى خبرته الإدارية لما مارسه من الكتابة عن أمراء المرابطين.

ولم ينفرد ابن عطية بهذه المزية من الفصاحة والبلاغة، فلقد كانت صفة أغلب كتّاب الموحدين وذلك ما نلمسه في القصيدة التي ألقاها الكاتب ابن عياش مخاطبا العرب يستعجلهم فيها ويسترحلهم للجهاد إلى الأندلس على لسان الخليفة أبي يعقوب يوسف بقوله[3]:

أقيموا إلى العلياء عوج الرّواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصّواهلِ

وقوموا لنصر الدين قومة ثائـــر وشدّوا على الأعداء شدّة صـــائلِ

وهي قصيدة طويلة تدل على عظم بلاغة هذا الكاتب وسعة علمه باللغة وأساليبها، وهناك الكاتب الموحدي عبد الرحمن بن محمد السلمي[4]، وصفه ابن سعيد المغربي بقوله: "به ختمت البلاغة في الأندلس"، كما وصف ابن الأبار الكاتب عبد الرحمن بن يخلفـــتن الفـــازازي بقوله: "...كان عالما بالأدب ومتصرفا في الفنون، كاتبا بليغا، شاعرا مجودا، وافر المادة، قوي العارضة، مشاركا في أصول الفقه، ذا معرفة بعلم الكلام، ناظرا في الفقه"[5].

ولقد ذكر ابن عبد الملك عند ترجمته لمحمد بن أحمد التلمساني أنه كان مختصا بصحبة أبي زيد الفازازي الكاتب المذكور، وبعد أن ذكر أخبارا عنهما إلى أن قال: "وقال أبو عمروا

[1]- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين ص: 32.

[2]- المراكشي ، المعجب، ص: 268.

[3]- عن جلب عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب إلى بلاد المغرب استخدامهم في الأندلس أنظر: ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي، المن بالإمامة، (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987، ص: 111، 328 وما بعدها.

[4]- من أهل مرسية وكان يلقب بالمكناسي، يكنى أبو محمد عني بالآداب واشتغل بالكتابة توفي سنة 571هــ، انظر ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار المعرفة الدار بيضاء، المغرب، دط، 1415هــ/1995م، ج3، ص: 29.

[5]- ابن الأبّار، التكملة، ج3، ص: 47.

ابن سالم نقلا عمن حدثه من طلبة مراكش قال: "كان أبو عبد الله الواعظ -أي اللخمي التلمساني- من أحفظ الناس، ولا أدري من أيهما أعجب، أمن سرعة خاطر أبي زيد الفازازي الذي كان يملي الخطب والأشعار ارتجالا"[1]، وقد ذكر أبو الحسن الرعيني الكاتب سرعة بديهة أبي زيد بقوله: "شاهدته مرارا ينظم القصيدة من أربعين بيتا إلى سبعين، فيكتبها في قرطاس كأنما هو لها ناقل لا قائل، وراسم لا ناظم"[2]، كما خلّف ابن حجام ابن اللخمي التلمساني كتابا حافلا في الوعظ بعنوان حجة الحافظين ومحجة الواعظين، معظم ما أودعه فيه من كلام الكاتب أبي زيد الفازازي المذكور.

ولم تكن صفة الكتّاب الموحدين التبحر في علوم اللغة فحسب، بل كانت معارفهم تشمل مختلف العلوم، فهذا مثلا الرحّالة ابن جبير الكناني الذي يعد من أعلام كتّاب الأندلس في العصر الموحدي؛ فرغم بروزه في الكتابة والنظم إذ كتب في شبيبته للسّيد أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن في ولايته على سبتة، واشتهر برحلته المعروفة باسمه، وكان بالإضافة إلى ذلك بارعا في القراءات والحديث ومما ساعده على تقلد هذه المكانة الممتازة من الكتابة عن الوالي أبي سعيد ما كان يتمتع به من علم واسع باللغة والأدب والفقه، وقدرة على نظم الشعر[3].

و من شعره الدال على سعة علمه باللغة وشاعريته قوله في بعض مناطق شرق الأندلس ما ذكره ابن الأبار عند ترجمته لعبد العزيز بن محمد الطبيب:

لي نحو أرض المنى مـــن شرق أندلس — شوق يألـــف بين الماء والقبـــس
لا حق لنا في ذراها الشّم شاهقـــــة — تدني لزهر الدرار كف ملتمـــس
وقد أغـــدت بنا في بحـــر جـــاريـــة — سوداء لا تسطيع الجري في يبس[4].

---

[1]- ابن عبد الملك ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي.، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تحقيق: محمد بن شريفة ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ،المعرب دط ، 1984، ج8،ص:267.

[2]- ابن عبد الملك، الذيل، ج8، ص: 267.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 143. عبد العزيز سالم، تاريخ والمؤرخين العرب، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر دط، 1997،ص:220.

[4]- ابن الأبار ، التكملة، ج3، ص: 98.

ومن الكتّاب المتميزين بالتبحر في العلوم والآداب الكاتب محمد بن إبراهيم بن خيرة أبو القاسم الذي كان كاتبا عن أبي حفص والي تلمسان حيث يصفه صاحب الإحاطة بقوله: "كان كاتبا بليغا، وشاعرا مجيدا...وكان حسن الخط رائقه...له تصانيف تاريخية وأدبية، منها "ريحان الآداب وريعان الشباب" لا نظير له، و"الوشاح المفصل" وهو كتاب في الأمثال السائرة، وكتاب في الأدب نحا فيه منحى أبي عمرو بن عبد البر في بهجة المجالس، وقد توفي بمراكش سنة 564هـ"[1].

و الكاتب أبو اسحاق ابن فرقد، كاتب أبي سعيد والي غرناطة، الذي يصفه ابن الأبار بقوله: "...وأخذ عنه -أي عن شيخه أبي عمر بن ميمون- الصحيحين وكان يعلوا فيهما... وغلب عليه الأدب، وعلم الفرائض وله في ذلك أرجوزة أخذت عنه، وولي منصب القضاء، وتوفي سنة 572هـ"[2]. فمن خلال هذه النصوص يتبين لنا مدى سعة ثقافة هؤلاء الكتاب و لم يكن علمهم محصورا في الآداب والإنشاء فقط بل كانت لهم ثقافة في الفقه والحديث ومختلف العلوم الأخرى كما نستشفه من خلال ما ذكرنا.

كما كتب للخليفة المأمون الكاتب والأديب الهيثم بن أحمد؛ الذي يصفه ابن سعيد بقوله: "حافظ إشبيلية، لم ألق بها أحفظ منه، وكان والدي -أي والد ابن سعيد- يتعجب منه، ومن أعجب عجائبه كان يملي على شخص شعرا، وعلى ثان موشحة، وعلى ثالث زجلا، وكل ذلك ارتجالا دون توقف"[3]، وقد ترجم له المقّري في النفح، ومما ذكر من شعره قوله لما نظر إلى باب غني معمورا وبابه إلى جانبه خاليا[4]:

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة   باب الغني كذا حكم المقادير

وإنما الناس أمثال الفراش فهـم   بحيث تبدو مصابيح الدنانـير

---

[1]- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م، ج2، ص:223، 224.

[2]- ابن الأبار التكملة، ج1، ص: 131، 132.

[3]- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن عبد الملك، المغرب في حلى المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ/1997م، ج1، ص: 190.

[4]- الأبيات في النفح، ج4، ص: 337.

كما نجد الرشيد الموحدي (630/640هـ) يستكتب الكاتب علي بن محمد بن الحسن الأنصاري الإشبيلي، الذي يصفه ابن عبد الملك بقوله: "كان أديب النفس، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، رقيق الغزل، بارع المنازع، فائق النظم والنثر، مبرزا في فهم المعاني، نحويا ماهرا، ذاكرا للّغات والآداب، من أبرع من رأيته خطا، وكان قد شرع في الجمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية، ورجز الأحكام في معجزة النبي عليه الصلاة والسلام، لأبي الحسن بن القطان، وله منظومات كثيرة في مقاصد شتى ورسائل متنوعة، وكل ذلك شاهد تبريزه، وجودة مآخذه"[1].

كما نجد السيد أبا الربيع سليمان الموحدي يستخدم لكتابته علي بن إبراهيم الأنصاري البلنسي، أحد الكتّاب المجيدين وأبرعهم، الذي يصفه صاحب الذيل بقوله: "كان إماما متقدما بارعا في علوم اللسان نحوا ولغة وأدبا، وأقرأ ذلك عمره كله، كاتبا بليغا شاعرا مجيدا، بديع التشبيه، عجيب الإختراع والتوليد، أنيق الخط"[2]، و بعد أن ذكر كتابته عن الوالي المذكور عدّد له مجموعة من المصنفات التي توحي بسعة علمه وثقافته منها: "اختصار العقد الفريد"، وكتاب "مشاهير الموشحين بالأندلس"، وهم عشرون رجلا ذكرهم بمحاسنهم وحلاهم على طريقة الفتح في المطمح والقلائد، وابن بسام في الذخيرة، كما ذكر له صاحب التكملة كتابا على الكامل للمبرد، وذكر كتابته لعدة من الولاة الموحدين[3].

ومن الكتّاب المشهورين بسعة الثقافة الكاتب عامر بن هشام الأسدي، الذي يصفه صاحب الذيل بقوله: "وكان أديبا شاعرا، كاتبا بارعا، كتب عن أبي محمد بن أبي حفص وغيره ...وكان قد اختصه كثيرا وحظي عنده"، وذكر له مصنفات عديدة في فنون شتى منها "المخصص في شرح غريب الملخص"، و"مثبط العجلان ومنشط الكسلان" وهما في الأدب، وكتاب "المقصورة" وهي مجموعة من القصائد نظمها وقسمها إلى ثلاث أقسام، الأول خاص بالزهد وتأنيب النفس، والثاني في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على

---

[1]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ص ص: 88-101.

[2]- نفس المصدر، ص: 188.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص: 212. والمقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1410هـ/1989م، ص: 51. ابن الزبير، أبي جعفر أحمد، صلة الصلة، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، تقديم بروفنسال، دط، دت، ص:91.

خمس"، والثالث في شكوى الزمان و ما مني به من بعض الحسدة الخوان، وتأبين مصطنعه السيد أبا الربيع لمّا توفي، وعدها مئة وخمسة وستون بيتا، و مما ذكر له صاحب الذيل من شعره:

إنّا إلى الله من دنيـــا مضت وقضت ولم أبت وجلا من خشيـــة اللـــه

تُري البطالة في ميدانها بطـــــلا مـــني وأنسى أن ألهو مع الـــلاهـــي

ومما يقول في آخرها:

يا رب إن فئت عن شيب قد أكرهني عسى قبـــول متـــابي بعد إكـــــراه.

كما وصف ابن عبد الملك شعره بالكثير الجيد وقال: "له مخاطبات مع شعراء وأدباء وقته تشهد بمتانة أدبه وبراعته"[1].

ومن أعظم كتّاب المغرب والأندلس الذين خدموا وقت غير يسير في بلاط الموحدي الذين امتازوا بالتبحر في العلوم وكل أنواع الفنون والآداب الكاتب الشهير أبا المطرف ابن عميرة المخزومي[2]، فلقد كتب عن جملة من الولاة "إذ استهل كتابته عن والي بلنسية محمد بن أبي حفص سنة 608هـــ، ثم كتب عن والي إشبيلية السيد أبا العلاء الكبير سنة 617هـــ، وفي سنة 620هـــ عاد إلى بلسنية وكتب عن السيد أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن إلى غاية سنة 626هـــ، كما كتب لغير هؤلاء[3]، كما كتب بعد ذلك للخليفة الموحدي الرشيد الذي أعجب ببلاغته فاستكتبه لذلك، حيث يصفه الغبريني بقوله: "الشيخ الفقيه المجيد المجتهد العالم الجليل الفاضل المتقن المتفنن أعلم العلماء وتاج الأدباء...وفاق الناس بلاغة وأربى على ما قبله"[4]، كما وصفه ابن سعيد بقوله: "هو الآن عظيم الأندلس في الكتابة في فنون من العلوم"[5]، وقد ترجم له صاحب الإحاطة بقوله: "...قد كان نسيج وحده إدراكا وتفننا، بصيرا بالعلوم، محدثا مكثرا، راوية ثبتا، مستبحرا في التاريخ والأخبار، دينا، مضطلعا بالأصلين، قائما

[1]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج5، ص ص: 110/106.

[2]- عن حياته بصفة تفصيلية انظر البحث الذي قام به محمد بن شريفة تحت عنوان "أبو المطرف ابن عميرة المخزومي، حياته وآثاره".

[3]- مقدمة كتاب كائنة ميورقة لهذا الكاتب بتحقيق: محمد بن معمر، منشورات الأديب، الجزائر، الطبعة الأولى: 2006، ص:7. وانظر المقال الذي نشره نفس المحقق: محمد بن معمر، نظرة في مخطوط كائنة ميورقة، مجلة التراث الإسلامي، دمشق، سورية، عدد: 98، جمادي الأولى 1426هـــ/2005م.

[4]- الغبريني، المصدر السابق ص: 250.

[5]- ابن سعيد المغربي، المغرب ج2، ص: 363.

على العربية"، كما وصفه بقوله "ثاني بديع الزمان في رونق الكلام ولطف المأخذ، وتبريز النثر على النظم، والقصور في السلطانيات"[1].

ولقد كان ابن عميرة بالإضافة إلى سعة علمه وثقافته حسن الخلق، جميل السعي للناس في أغراضهم، حسن المشاركة لهم في حوائجهم، يسرع إلى بدل مجهوده ما أمكن في قضائها بنفسه وجاهه[2]، له عدة مصنفات في علوم شتى تصادق على ما ذكره مترجموه، قال عنها الغبريني: "وما رأيت من كتاب ما أعجبني مثل كتب الفقيه أبي المطرف إلا كتب أبي جعفر بن عطية[3]، ومما خلفه في التاريخ كتاب كائنة ميورقة، و تغلب العدو عليها[4]، وقد ذكره بن عبد الملك في الذيل[5]، كما ذكر له صاحب الإحاطة كتابا في التاريخ كذلك بعنوان " الاقتضاب من تاريخ المريدين"[6] وهو اختصار لكتاب ثورة المريدين الذي ألّفه ابن صاحب الصلاة (صاحب المن بالإمامة)، ومما خلّفه من الكتب الدينية مجموعة من المواعظ والزهديات، إذ يقول ابن عبد الملك: "وله فصول وعظية على طريقة الإمام أبي الفرج بن الجوزي"[7]، وكتاب في التعليق على "معالم أصول الفقه" للرازي، وهو عبارة عن جواب لسؤال سائل، "كما كان الطلبة يتلقون عنه تلحيقات السهروردي، وهي من مغلقات أصول الفقه عند طائفة ممن لم يمارس علم الأصول، ولا يتعرض لإقرائها إلا من له ذهن ثاقب"[8]، وهذا يدل على ذكائه وسعة علمه و تفننه في جميع أنواع العلوم الشرعية منها كالفقه والحديث، إلى كتب الأخبار والسير، إلى الاستبحار في فنون الأدب واللغة، إذ نجده ألف كتابا بعنوان: "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات" الذي ألفه في الرد على صاحب كتاب "التبيان في علم البيان" وهو أحد الكتّاب المشارقة المعاصرين

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة ، ج1، ص: 63.

[2]- ابن عبد الملك، الذيل، ج1، ص: 152 وما بعدها.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص:251.

[4]-وهو مخطوط قام بتحقيقه مؤخرا أستاذنا الدكتور محمد بن معمر، في إطار تحقيق ونشر المخطوطات التي يعمل على فهرستها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، بجامعة وهران.

[5]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص: 89.

[6]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 184.

[7]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص: 85. محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 300.

[8]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 253.

له[1]. إضافة إلى رسائله الكثيرة والمتنوعة؛ الإخوانية منها والديوانية التي تدل على طول باعه في النثر والنظم.

ومن الكتّاب الذين اشتهروا في بلاط الموحدين بتولي وظيفة كتابة الإنشاء وكانوا بالإضافة إلى ذلك من أعلام المؤرخين ابن صاحب الصلاة، فقد ألّف كتابا حول تاريخ الدولة الموحدية سماه "المن بالإمامة" وهو كتاب مشهور، إضافة إلى كتاب حول "ثورة المردين" كما يذكر ذلك عن نفسه في المن، وكان بالإضافة إلى ذلك من أبرز الكتّاب الموحدين[2]، وقد كان أديبا كاتبا محسنا، عني بحفظ التواريخ وتقيدها[3]، وكذلك ابن القطان صاحب كتاب "نظم الجمان"، فقد كان بالإضافة إلى براعته في الكتابة التاريخية رئيس كتّاب الإنشاء عند الموحدين، ومكنه ذلك من اطلاع على الوثائق الرسمية المتواجدة في الديوان ونقل منها مجموعة في كتابه المذكور[4].

كما يعتبر الكاتب محمد بن الأبّار القضاعي من أعظم من خدم الموحدين وغيرهم من ملوك المغرب بالكتابة عنهم، وكان بالإضافة إلى ذلك من أهل التبحر في شتى العلوم والفنون، حيث يصفه ابن سعيد بقوله: "ورأيته فاضلا في النظم والنثر والتاريخ وملح الآداب"[5]، ويصفه الغبريني بقوله: "الفقيه المحدث المقرئ الأديب النحوي المجيد اللغوي الكاتب البارع التاريخي، له نزعات في الأدب بارعة مستحسنة"[6]، وخلف مصنفات كثيرة منها كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، و"الحلة السيراء"، وكتاب "إعتاب الكتّاب"، وهي كتب ألّفها في التراجم لرجال الأدب وغيرهم، كما له في التاريخ كتاب "المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي"، ويعد من أبرز كتّاب الدولة الموحدية؛ إذ كتب للسيد أبي زيد والي بلنسية، كما كتب عن الرئيس أبي جميل الزيان ابن مردنيش بعدما اضطرمت الثورة في بلنسية، وكان سفيره إلى الأمير الحفصي

---

[1]- محمد بن شريفة، المرجع نفسه، ص: 260.
[2]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 159.
[3]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج5، ص: 32.
[4]- ابن القطان، المصدر السابق، المقدمة المحقق، ص: 47.
[5]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص: 309.
[6]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 183.

يستصرخه لإنقاذ بلنسية من أي النصارى، فكان مما خاطبه به قصيدته السينية الرائعة التي يقول في مطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا   إن السبيل إلى منجاتها درسا

و هي قصيدة عظيمة لو لم يخلف ابن الأبار غيرها لكانت دليلا على كفاءته الأدبية والعلمية.

والكاتب عبد الله بن حامد المعافري، يعد كذلك من بين أبرع الكتّاب لامتيازه بثقافة نادرة، وكان قد كتب عن الخليفة العادل الموحدي(624/621هـ)، الذي يصفه ابن الأبّار بقوله: "كان من رجالات الأندلس وجاهة وجلالة من التحقيق بالكتابة والمشاركة في قرض الشعر، وإليه كانت رئاسة بلده، ومما قاله في قصيدة له بمناسبة مرافقة مخدومه العادل في غزوته إلى اشبيلية:

هذه حمص فقد تم الأمـــل   سادت الشمس فحلت بالجمل[1].

ولو تتبعنا تراجم الكتّاب الموحدين وإحصاء ثقافتهم وقدراتهم العلمية والأدبية لوجدناها تستوفي كل الشروط التي سطرها أرباب صنعة الكتابة كالقلقشندى والنويري؛ من العلم بالوحيين الكتاب والسنة، والإلمام بالفقه، والتبحر في علوم اللغة والأدب، والبراعة في قرض الشعر، ناهيك عن العلوم العقلية من المنطق والفلسفة، إضافة إلى تضلع بعضهم في علم الطب والفلسفة، فهذا الطبيب المشهور أبو بكر بن طفيل[2]، فإضافة إلى براعته في الفلسفة والطب، وأنه كان عالما، محققا، شغوفا بالحكمة، فقيها، وكان بالإضافة إلى ذلك كله نجده يتقلد منصب الكتابة عن أبي سعيد والي غرناطة، فقد كان بارعا في الإعراب وكاتبا بليغا وناظما ناثرا مشاركا في الفنون، كما شغل بعض المهام الخلافية النبيهة؛ إذ نجد الخليفة أبا يعقوب يكلفه بمهمة التأليف بين القبائل العربية ودفعها للجهاد و ترغيبها فيه، فاستنفرهم بقصيدة شعرية أثبت فيها براعته الأدبية يقول في مطلعها:

1- ابن الأبار التكملة ج2،ص:513. ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص:255، 256.

2- أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي، من أهل وادي آش، ولد في الأعوام الأولى من القرن السادس الهجري ، خدم أمراء الموحدين وكتب عنهم، وتولى منصب طبيب الخليفة أبي يعقوب يوسف ثم لابنه يعقوب المنصور، وتوفي بمراكش أواخر سنة 581هـ. المراكشي، المعجب، ص ص: 311-314. كامل محمد محمد العويضة، ابن طفيل فيلسوف الإسلام في عصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م، ص: 36وما بعدها.

أقيموا صدور الخيل نحو المضارب　　لغزو الأعادي واقتناء الرغائب[1].

ونظرا لأهمية هذه الطبقة في الإدارة الموحدية، وما تملكه من ثقافة واسعة كانت لها الصدارة في توجيه طبقة الحفاظ التي أنشأها الموحدون، فهذا الخليفة عبد المؤمن يأمر هذه الطبقة "بالتزام أشياخ البلاد من الفقهاء والكتّاب والشعراء ومذاكرهم وملازمتهم"[2]، ولم يكن هذا إلا لعلمه وثقته بثقافة هؤلاء الكتّاب الواسعة، وتيقنه من تبحرهم في أنواع العلوم والفنون، كما كان بعض الكتّاب يتولى بالإضافة إلى الكتابة عن الخلفاء تعليم وتأديب أبناء الخلفاء[3].

ولذلك نجد الوزير ضياء الدين بن الأثير يقول:" إن صاحب هذه الصناعة -الكتابة- يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء، والماشطة عند جلوة العروس، وإلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة، فما ظنك بما فوق هذا، وذلك لأنه مؤهل لأن يهيم في كل واد، فيحتاج بأن يتعلق بكل فن[4].

إن الغاية من التطويل في ذكر هذه التراجم هو استقصاء صفات الكتّاب العلمية والأدبية، للتمكن من تحديد ثقافة كتّاب الموحدين ، ومن خلال ذلك يتبين أن كتّاب الموحدين كغيرهم من أشهر الكتّاب كانوا يُختارون لما يحملونه من علم وثقافة، وأدب وخلق، ويمكن أن نجمل تلك الصفات في الإحاطة بعلوم الشرع؛ من حفظ القرآن الكريم والمعرفة بتفسيره ومعانيه، وكذا التوسع في الإطلاع على السنة ومعرفة صحيحها من سقيمها، بالإضافة إلى معرفة الفقه ومذاهب الفقهاء فيه، خاصة ما تعلق بالأحكام السلطانية والسياسة الشرعية.

والإحاطة بعلوم اللغة من النحو والصرف وغيرهما، بالإضافة إلى الإطلاع الواسع على أشعار العرب المتقدمين منهم والمتأخرين، والمعرفة بالتاريخ والأخبار، والسّير والمغازي، وحياة الملوك وطبائعهم وأحوالهم في أيام إقامتهم وضعنهم، وسلمهم وحربهم، ثم الأخذ من كل علم

1- ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، ص: 125. عصام الدين عبد الرءوف الفقي، دراسات في التاريخ والأندلس، دار الفكـر العـربي، القاهرة، دط، 1999م، ص ص: 276-280. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 719.

2- ابن القطان، نظم الجمان، ص: 173.

3- ذكر ابن صاحب الصلاة في ترجمته، للكاتب أبي العباس ابن سيد المالقي قوله:"...درس النحو و الأدب كثيرا، وكان شاعرا كاتبا بليغا، ...ثم صار إلى مراكش، فأدب بني عبد المؤمن "المن بالإمامة، ص:76

4- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي بطانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1959م،

بطرف كالمعرفة بالحساب والمنطق والفلك وغيرها من العلوم المكملة لثقافة الكاتب، هذا بالإضافة إلى المعرفة بأحوال الناس وعاداتهم وثقافتهم، وتتويج كل ذلك بالأخلاق الفاضلة الحسنة ليسمو بمرتبته ويكون قدوة لمن يخدمه.

ثالثا: أنواع الكتّاب الموحدين:

لقد عني الخلفاء الموحدون بخطة الكتابة وأولوها اهتماماً منذ بداية نشأة دولتهم، فنجد المهدي بن تومرت، المؤسس الروحي للدولة الموحدية قد اتخذ كتّاباً لرسائله، مع أنه كان يكتب أحياناً الرسائل بنفسه، كما اتخذ الخليفة الأول، والمؤسس العسكري للدولة الموحدية كتّاباً مجيدين في بلاطه، وليس هذا ما نبغي الوصول إليه، بل السؤال الذي نود الإجابة عنه في هذا البحث يدور حول وضعية الكتّاب من حيث تنوعهم، وكذا حالتهم الإدارية في خطة الكتابة في حد ذاتها، فما أنواع الكتّاب الموحدين؟ وما هي التنظيمات الإدارية لخطة الكتابة وحالة الكتّاب عندهم؟

لقد عرف الموحدون نوعين من الكتّاب الرسميين المندرجين في خطة الكتابة والمتولين للكتابة الديوانية السلطانية، نلمس ذلك من خلال تصفح المصادر المعنية بتاريخهم؛ فهناك كتّاب الإنشاء، يتولون كتابة المراسيم السلطانية و الرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة وسائر موظفي الدولة وحتى العامة داخل المملكة، وكذا تحرير الرسائل الدبلوماسية المتعلقة بتنظيم علاقات الدولة مع من جاورها من الدويلات، وإلى جانب هؤلاء هناك كتّاب الجيش، الذين يختصون بتقييد الجند ونفقاتهم و إحصاء الأسلحة وغيرها[1].

ويذكر المقّري أن هناك ضربين من الكتّاب عند أهل الأندلس، أعلاهما كاتب الرسائل، و الكاتب الآخر كاتب الزمام، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة[2]، وكاتب الجهبذة أو الزمام هو كاتب مالي يقوم بالحساب، وهذا ما يوضحه أحد الباحثين قائلا: "وكانت الكتابة عندهم -أي الأندلسيين- على ضربين؛ أعلاهما كاتب الرسائل، وهو كاتب أديب يتولى كتابة الرسائل الرسمية وغير الرسمية، ...والكاتب الآخر كاتب الزمام، وهو كاتب حسابي"[3].

ولا تعارض بين ما ذكره المقري من أن الكتابة عند المغاربة والأندلسيين هي كتابة إنشاء وكتابة أموال، وبين ما ذكره المراكشي من أن الكتّاب الموحدين على ضربين؛ كتّاب

---

[1]- المراكشي، المعجب، ص: 269، 316، 317، 338، 391، 405. ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 254. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 333.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 202، 203.

[3]- جودت الركابي، المرجع السابق، ص: 52.

إنشاء وكتّاب جيش، إذ أن الكتابة الديوانية الرسمية مهما تنوعت وتعددت فإنها لا تخرج عن هذين الضربين اللذين هما؛ كتابة الإنشاء وكتابة الأموال على حد تقرير القلقشندي في موسوعته، إذ أن كتابة الأموال تندرج تحتها كتابة الجيش وفي ذلك يقول:" ...وأما كتابة الأموال فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تحصيل المال وصرفه، وما يجري مجرى ذلك ككتابة بيت المال والخزائن السلطانية، ...وما في معنى ذلك ككتابة الجيوش ونحوها، وما ينجر القول فيه إلى صنعة الحسّاب"[1]، وكاتب الجيش عند الموحدين؛ هو كاتب حسابي يعمل على إحصاء الجيوش ونفقاتها كما سنبينه، وفي ذلك يقول ابن عذاري مشيراً إلى اختصاص كاتب الجيش في قوله: "وانفرد عبد الله بن منيع، وهو الكاتب المختص بديوان العسكرية وما انضاف إليه من التنفيذات السلطانية وتقييد الجزيات العامة في أنواع النفقات"[2]، فالنص فيه دلالة واضحة على اختصاص كاتب العسكرية بالحساب و الأمور المالية.

أولاً: كتاب الإنشاء.

أ. كاتب الخليفة:

لقد اعتنى خلفاء الموحدين منذ البداية بالكتابة والكتّاب، نظراً لما يقوم به الكاتب من عمل إعلامي ودعائي في الدولة، التي كانت أحوج إليه في بداية أمرها، نظراً لكثرة اتصالاتها وحاجتها لتنظيم أحوال الجيش، ولذلك نرى المهدي بن تومرت على الرغم من أنه كان يكتب رسائله بنفسه في بعض الأحيان؛ ومن ذلك ما كتبه إلى المرابطين بخط يده ومن إنشائه يقول فيه: "إلى القوم الذين استزلهم الشيطان...وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية والشرذمة الطاغية اللمتونية..."[3]، فعلى الرغم من ذلك إلا أنّه خصص أحد العشرة من أهل الجماعة لكتابة الرسائل، وهو أبو الربيع سليمان الحضرمي، وكان يساعده في ذلك ملول بن يحي الصنهاجي، وهو ممن آخى المهدي بينه و بين هرغة، الذي يصفه صاحب كتاب الأنساب بالفصاحة والبداهة والعلم بالأنساب، كما كان يعرف الكتابة السريانية والرموزيات[4].

1- القلقشندي، ج1، ص: 54.

2- ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 254.

3- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص: 111.

4- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 161. هوبكتز، المرجع السابق، ص: 51.

أما عبد المؤمن فإنه لا يعلم أنه اتخذ كاتباً قبل فتح مراكش، وذلك نظراً لأن الدولة لم تستمكن في الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتمييز الخطط، كما يعود ذلك إلى انشغال عبد المؤمن بالحروب وعدم استقراره، غير أن ابن القطان يورد لنا رسالة عن فتح السوس سنة 529هـ/1135م قبل فتح مراكش، جاءت بأسلوب بسيط، ومما جاء فيها: "وذلك أن فيها فتح السوس، وأن الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره، ومن فوقه إلى أسفله..."[1]، إلى آخر الرسالة التي يدل أسلوبها البسيط الخالي من تكلف المعاني إمّا عن عدم اتخاذ عبد المؤمن كتاباً رسميين، أو أن عبد المؤمن اتخذ كتاباً في هذه الفترة، إلا أنهم لم يكونوا من أدباء ذلك العصر، و أنه لم ينظر لتنظيم هذه الخطة و تدوين دواوينها إلا بعد فتحه لمدينة مراكش 539هـ/1146م، ولعل هذا ما يفسر اضطراب المصادر في كتابه، وعددهم، وزمن كتابتهم له[2].

ولقد اختلفت المصادر حول **لقب كاتب الخليفة**، فنجد عبد الواحد المراكشي يسمي كتبة الخلفاء الموحدين بكتّاب الإنشاء، سار على ذلك في ذكره لجميع كتاب الخلفاء و الولاة؛ إذ يقول في سياق تعديده لكتّاب الخليفة أبي يعقوب قوله: "...هؤلاء كتبة الإنشاء خاصة"[3].

وبينما يسمى لنا المراكشي كاتب الخليفة بكاتب الإنشاء، نجد الغبريني يذكر في ترجمته أحد الكتّاب المغاربة ألا وهو ابن محشرة تسميته لكاتب الخليفة بكاتب السرّ، وفي ذلك يقول: "...فدخلت عليه -أي دخول أبي محمد عبد الحق أحد الأشياخ على عبد المؤمن، وكان قد استدعاه بسبب وفاة كاتبه- يوماً فوجدته مهتماً مغتماً، و قد ظهر التغير في وجهه، فقلت له: سيدنا أمير المؤمنين، ما الذي أهمكم -لا أهمكم الله-؟ فقال لي: إن كاتب سرنا فلاناً قد مات، وقد احتجنا إلى من نقيمه مقامه، وما وجدنا، لأنه يحتاج في كاتب السر أن يكون

---

1. ابن القطان، المصدر السابق، ص: 237.
2. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 167.
3. المراكشي، المعجب، ص: 317. ومعنى كتابة الإنشاء أنها معرفة بالإضافة؛ أي بإضافة الكتابة إلى كلمة الإنشاء، وهي من مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه واخترعه على غير مثال يحتذيه، ومعنى ذلك أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه، أو أنها نسبة أن المكاتبات الرسمية تنشأ عنه ابتداء. القلقشندي، ج1، ص: 52.

أما عبد المؤمن فإنه لا يعلم أنه اتخذ كاتباً قبل فتح مراكش، وذلك نظراً لأن الدولة لم تستمكن في الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتمييز الخطط، كما يعود ذلك إلى انشغال عبد المؤمن بالحروب وعدم استقراره، غير أن ابن القطان يورد لنا رسالة عن فتح السوس سنة 529هـ/1135م قبل فتح مراكش، جاءت بأسلوب بسيط، ومما جاء فيها: "وذلك أن فيها فتح السوس، وأن الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره، ومن فوقه إلى أسفله..."[1]، إلى آخر الرسالة التي يدل أسلوبها البسيط الخالي من تكلف المعاني إمّا عن عدم اتخاذ عبد المؤمن كتاباً رسميين، أو أن عبد المؤمن اتخذ كتاباً في هذه الفترة، إلا أنهم لم يكونوا من أدباء ذلك العصر، و أنه لم ينظر لتنظيم هذه الخطة و تدوين دواوينها إلا بعد فتحه لمدينة مراكش 539هـ/1146م، ولعل هذا ما يفسر اضطراب المصادر في كتابه، وعددهم، وزمن كتابتهم له[2].

ولقد اختلفت المصادر حول **لقب كاتب الخليفة**، فنجد عبد الواحد المراكشي يسمي كتبة الخلفاء الموحدين بكتّاب الإنشاء، سار على ذلك في ذكره لجميع كتاب الخلفاء و الولاة؛ إذ يقول في سياق تعديده لكتّاب الخليفة أبي يعقوب قوله: "...هؤلاء كتبة الإنشاء خاصة"[3].

وبينما يسمى لنا المراكشي كاتب الخليفة بكاتب الإنشاء، نجد الغبريني يذكر في ترجمته لأحد الكتّاب المغاربة ألا وهو ابن محشرة تسميته لكاتب الخليفة بكاتب السرّ، وفي ذلك يقول: "...فدخلت عليه -أي دخول أبي محمد عبد الحق أحد الأشياخ على عبد المؤمن، وكان قد استدعاه بسبب وفاة كاتبه- يوماً فوجدته مهتماً مغتماً، و قد ظهر التغير في وجهه، فقلت له: يا سيدنا أمير المؤمنين، ما الذي أهمكم -لا أهمكم الله-؟ فقال لي: إن كاتب سرنا فلاناً قد مات، وقد احتجنا إلى من نقيمه مقامه، وما وجدنا، لأنه يحتاج في كاتب السر أن يكون

1- ابن القطان، المصدر السابق، ص: 237.

2- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 167.

3- المراكشي، المعجب، ص: 317. ومعنى كتابة الإنشاء أنها معرفة بالإضافة؛ أي بإضافة الكتابة إلى كلمة الإنشاء، وهي من مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه واخترعه على غير مثال يحتذيه، ومعنى ذلك أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه، أو أنها نسبة إلى أن المكاتبات الرسمية تنشأ عنه ابتداء. القلقشندي، ج1، ص: 52.

على صفة كذا ونعت كذا"[1]، فإن كان راوي هذه القصة قد سرد قول الخليفة عبد المؤمن بألفاظه ففيه دلالة واضحة من أن الموحدين كانوا يلقبون كاتب الخليفة بكاتب السر، وقد وافق الغبريني في هذه التسمية القلقشندي، فهو يسمي كتّاب الموحدين بكتّاب السر؛ إذ نجده يقسم أرباب الوظائف عندهم إلى أرباب سيوف وأرباب أقلام، وفي مجال تعديده لأرباب السيوف يذكر وزراء ثمانية منهم وزير الفضل وهو كاتب السر[2]، غير أن القلقشندي كما هو معروف كاتب مشرقي، وكثيراً ما يتحدث بمصطلحات المشارقة في هذا الباب، ومن ثم لا يمكن التعويل على تسميته للكاتب بهذا اللقب عند الموحدين بصفة قطعية.

كما نجد العاملي يسمي كاتب الإنشاء بكاتب التدبير[3]، وربما يقصد بذلك تدبير شؤون السلطان الإدارية من تحرير الرسائل الرسمية والإشراف على دار الإنشاء وصغار الكتّاب، بل وحتى مشاركة السلطان في عظام المهمات ومشاورته في ذلك.

أما ابن عبد الملك فيسمي الكاتب بلقب رئيس الكتّاب[4]، وهذه التسمية لا تحمل صبغة اصطلاحية للقب كاتب الخليفة بقدر ما توحي بوظيفته من خلال رئاسته لديوان الإنشاء ومن فيه من صغار الكتّاب، فدعت كثرة الكتّاب في حضرة الخليفة إلى تمييز كاتب الخليفة عن غيره من المساعدين بلقب رئيس الكتّاب.

ويسمي ابن الأبار صاحب هذا المنصب بصاحب الكتابة العليا، فلقد ترجم للكاتب أحمد بن يزيد بقوله: "...قاضي قضاة المغرب...ولي قضاء الجماعة بمراكش، مضاف ذلك إلى خطتي المظالم والكتابة العليا..."[5]، وهي الكتابة عن السلطان مباشرة، أي أن صاحبها هو كاتب الخليفة ونديمه الذي يمتاز بمرافقته، فكتابته غير الكتابة التي يقوم بها صغار الكتّاب ولذلك ميزت كتابته عن غيرها بالكتابة العليا.

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 83.
[2]- القلقشندي، ج5، ص: 139.
[3]- العاملي، رونق التحبير، ص: 40.
[4]- ابن عبد الملك، الذيل و التكملة، ج5، ص: 633.
[5]- لبن الأبار، التكملة، ج1، ص: 102، 103.

ويسمي المقريزي في خططه رئيس كتّاب ديوان الإنشاء بلقب " صاحب القلم الأعلى"[1]، وبهذا اللقب نعت ابن الخطيب الكاتب عبد المهيمن محمد الحضرمي فقال: "شيخنا الرئيس، صاحب القلم الأعلى".[2]

أما في المصادر المعاصرة لهذه الفترة فلا يعلم أنها سمت الموظف المتولي لشؤون الكتابة عن الخليفة بغير الكاتب، وبه كان يلقب في بلاد الأندلس والعدوة، وكان هذا اللقب من اشرف أسمائه، ولقد كان يخصه بهذا الاسم كل من يحمل له تعظيما في مراسلاته ومكاتباته، وفي ذلك يقول المقري: "إن الكتّاب عند الأندلسيين على ضربين؛ أعلاهما كاتب الرسائل، وكان له حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس وأشرف أسمائه الكاتب، و بهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة"[3]، وكان معظم الكتّاب الموحدين أندلسيين، فكان إطلاق عليهم هذا لاسم من باب الأولى.

أما عن **طريقة تعيين الكتّاب** فلقد كانت من خصائص الخلفاء أنفسهم؛ إذ توخوا في ختيار كتابهم الخبرة الإدارية؛ ولذلك نجد أغلب كتّاب عبد المؤمن ممن خدم المرابطين، أو عمل في دويلات الطوائف، أو في دولة بني حماد الصنهاجية[4]، كما كانوا يحشدون في بلاطهم أقطاب لكتّاب المجدين، ويتخذون لكتابتهم أبلغ أدباء العصر، وحتى في أواخر عهد الدولة نجد الخلفاء لموحدين حريصين على الاحتفاظ لديوان الكتابة والرسائل بمستواه الرفيع الذي بلغه منذ الخليفة لأول عبد المؤمن بن علي[5]، وذلك ما نلمسه عند استكتاب عبد المؤمن لابن عطية الوزير، إذ ستقدمه واستكتبه لما رأى من شجاعة قلبه وحصافة رأيه، هذا بإضافة إلى بلاغته التي لمسها عبد لؤمن في رسالته التي بعتها إليه الشيخ أبي حفص كما ذكرنا.

1- المقريزي، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص: 266.

2- ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص: 3.

3- المقري، النفح، ج1، ص: 202، 203.

4- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 163.

5- محمد عبد الله عينان، المرجع السابق، ص: 622.

ومع أن الكتّاب كان يعمل على تعيينهم الخليفة بنفسه سواء كانوا كتاب الخلفاء أو
لاة كما رأينا في طريقة تعيين ابن عطية الكاتب، إلا أن المصادر لا تزودنا بمراسيم ذلك كما
الحال في تنصيب الولاة والقضاة؛ إذ كان يوصف بدقة، وبإسهاب وعناية، إلا أنّه من
حظ عند استقراء تراجم الكتّاب الموحدين، نجد أنهم كانوا يتدرجون في المناصب قبل
ول إلى منصب رئيس كتّاب الإنشاء في عاصمة الخلافة مراكش، فمثلا نجد الكاتب ابن
ربه حفيد صاحب العقد الفريد، كان كاتبا مختصا بالوالي السيد أبي الربيع سليمان بن عبد
لوحدي صاحب بجاية وسجلماسة، ثم أصبح كاتبا للخليفة أبي يعقوب المنصور الموحدي[1]،
كتب الطبيب المشهور أبو بكر ابن طفيل للسيد أبي سعيد والي غرناطة وكان من أهم
كتّابه، ثم أصبح من بين كتّاب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ورئيس أطبائه[2]، كما نجد
أبا عبد الله ابن عيّاش قد كتب عن المنصور ثم ابنه الناصر فحفيده المستنصر، وكان
بل ذلك الرشيد أبا حفص بن يوسف بن عبد المؤمن، فلما سخط على الرشيد أخوه
ر وضرب عنقه، طلب أصحابه، وكان ابن عياش في جملتهم فاختفى مدة وقاسى شدة
ي ذلك أبياتا كانت سبب استكتاب المنصور له بعد أن وقف عليها وعفا عنه بسببها[3]،
ن أبرز الأمثلة على تدرج الكتّاب للوصول إلى الحضرة كتابة ابن الأبار وزميله أبي
ابن عميرة إذ كتبا لأبي زيد والي بلنسية، ثم كتبا بعد ذلك للخليفة الرشيد الموحدي[4].

مساعدو الكاتب:

ولقد كان للكاتب مساعدون في حضرة السلطان يعملون تحت أمره، ويساعدونه في
رسائل وتدوينها، والقيام ببعض الأعمال الثانوية، فلقد كان يساعد سليمان الحضرمي
لمهدي الكاتب ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي[5]، كما ساعد الوزير الكاتب أحمد
أخوه أبو عقيل بن عطية والكاتب أبو القاسم عبد الرحمن القالمي من أهل مدينة

ي، المعجب، ص: 375.
، المغرب، ج2، ص: 69.
، المصدر نفسه، ج2، ص: 66، 67.
شريفة، المرجع السابق، ص: 87.
لصدر السابق ، ص: 37.

بجاية[1]، كما عمل على مساعدته إضافة إلى القالمي وأخيه أبي عقيل، الكاتب أبو بكر محمد بن عامر الأوسي[2]، ويبدوا أن ابن عطية الوزير اتخذ مساعدين لما كثرت عليه مشاغل الوزارة[3]، وهذا لا يعني أن كتّاب الإنشاء بعده لم يتخذوا مساعدين في حضرة السلطان بعد انفصال الوزارة عن خطة الكتابة؛ إذ نجد الكاتب أبا بكر محمد المرخي قد ساعد أباه أبا الحكم في الكتابة حين كتابتهم للخليفة يوسف بن عبد المؤمن[4]، ولم تكن الوزارة حينئذ من مهام الكتّاب ولا أسندت إليهم، كما استمر الكاتب أبو الحسن بن عياش في منصب الكتابة على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، وكان يعاونه في هذا المنصب اثنان من ألمع الكتّاب المغاربة هما أبو القاسم القالمي وتلمذه أبو الفضل طاهر بن محشرة البجائي، ثم عمل هذا الأخير-أي بن محشرة- على خدمة الكاتب أبي القاسم القالمي ومساعدته لما تولى الكتابة بعد أبي الحسن بن عياش، وظل في خدمته إلى غاية أن توفي فكتب مكانه[5].

ولقد كان الكتّاب المساعدون يعملون على تحرير الرسائل عند غياب رئيس الكتّاب أو انشغاله بأمور أخرى، ومن ذلك ما حدث مع الرشيد لما أراد أن يرد على كتاب يحيى بن الناصر الذي ضمنه ألفاظا لا تليق، "فوقع النظر أن يكتب له بأشنع مما كتب وكان الكاتب أبي محمد سعد لم يحضر، وهو أبو القاسم بن عمران فأمر أبا عبد الله التلمساني أن يكتب له، وكان صغير السن فكتب"[6]. كما كان الكاتب الرئيس في حضرة السلطان يأمر مساعديه بكتابة ما يمليه، فيدونون على لسانه ما أمر الخليفة بكتابته من وجوه الأوامر[7].

ومن الجدير بالإشارة هنا هو تولي الأمراء والخلفاء كتابة الرسائل بأيديهم أحيانا، ولعل ذلك يعود إلى محاولة إعطاء صبغة خاصة لهذه الرسائل وإضفاء طابع التقديس عليها، وذلك نظرا لما تحويه هذه الرسائل من قرارات مهمة تجعل الخليفة ينتهج ذلك من أجل اعتناء كافة

---

[1]- المراكشي، المعجب، ص: 296.
[2]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 156.
[3]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص: 19.
[4]- ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، ص: 177.
[5]- المراكشي، المعجب، ص: 317.
[6]- ابن عذاري، البيان، ص: 302.
[7]- القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص: 144.

أفراد الدولة بهذه الرسالة وقراراتها، ومن ذلك كتابة المهدي رسائله بخطه وإنشائه إلى كافة الموحدين أو إلى المرابطين أحيانا[1]، كما كتب عبد المؤمن بن علي رسالة فتح المهدية بيده وأرسلها إلى إشبيلية، "فأمر السيد أبو يعقوب أن يكتبها الطلبة في إشبيلية ويحفظونها، وذكر لهم أنها من إنشاء أبيه"[2]، ولم يتول خطة الكتابة أحد من بني عبد المؤمن أو أتباع الموحدين أولي السبق والفضل في دعوتهم إلا ما كان في عهد ابن تومرت لمّا استكتب سليمان الحضرمي أحد العشرة ومساعده ملول بن إبراهيم الصنهاجي[3]، أو ما كان يقوم به أبو حفص عمر بن عبد الله من كتابة الرسائل لأبيه الخليفة عبد المؤمن، الذي يصفه أحد الباحثين بكاتب سر الخليفة[4].

ولقد كان الكاتب يرفع إلى الخليفة قصائد الشعراء، ويعمل على تنظيم الوفود، وخص ابن خلدون هذا العمل بالوزير فقال: "واختاروا -أي الموحدين- اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه، ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم، والآداب التي تلزم في الكون بين يديه"[5]، ويبدو أن هذه الأعمال التي اختص بها الوزير في بداية الدولة أصبحت من اختصاص كاتب الإنشاء، فقد ذكر ابن صاحب الصلاة أنه رفع شعرا إلى الخليفة، وكان الذي أوصله إليه هو الكاتب أبو الحسن بن عيّاش، وكان مع الوافدين، إذ يقول" ورفعت مع الشعراء شعرا على رأي عمر بن خطاب رضي الله عنه، استلطف فيه كرمه، واستعطف به عدله ونعمه، وأوصله إليه الكاتب أبو الحسن بن عياش، وبين عند السيد الأعلى مسألة وفود وقصودي، فوعد رضي الله عنه في جانبي بعدة جميلة وبآمال كفيلة"[6]، ولا يعلم أن ابن عياش تولى الوزارة، إذ فصلت عن الكتابة منذ نكبة ابن عطية، وصار اسم الوزير لأهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره[7]،ومن ثمّ فإن من خصائص كاتب الخليفة تنظيم وفود الشعراء وإدخالهم على الخليفة.

1- الحلل الموشية، ص: 111، 114.

2- ابن عذاري، البيان المغرب، ص: 65.

3- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 163.

4- علي محمد محمد الصلابي، الدولة الموحدية، ص: 95.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 252.

6- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 185. وأنظر حول تنظيم الكاتب لوفود الشعراء المراكشي، المعجب، ص: 387.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 253.

ولقد كان الخليفة يتصرف أحيانا في طريقة الكتابة، وما يكتبه الكاتب، ولا يأمر بإنفاذ الكتاب إلا بعد الإطلاع عليه، فلقد أمر الخليفة يعقوب المنصور(595/580هـ) بعد انتصاره في معركة الأرك كاتبه البجائي أبي الفضل بن محشرة أن يوجز في كتاب هذا الفتح وأن ينحو فيه منحى كتب الصحابة رضوان الله عليهم[1]

الديوان "مؤسسة الكتابة":

من الضروري أن تتم مراسيم الكتابة في مقر يصطلح عليه بالديوان، فيقال ديوان الإنشاء والكتابة أو ديوان الرسائل، فما هو الديوان؟، وكيف كان تنظيمه عند عند الموحدين؟.

تعريف الديوان:

لقد أُختلف في أصل تسمية الديوان بهذا الاسم، فهناك من يرى أن أصله فارسي وعرِّب، وسمي بذلك لأن كسرى نظر يوما إلى الكتّاب فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أي مجانين، فسمي موضعهم بهذا الاسم، ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل: ديوان. وقيل أنه اسم للشياطين بالفارسية، وسمي الكتّاب باسمهم لحذقهم بالأمور وقوتهم على الجلي والخفي، وجمعهم لما شذّ وتفرق، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان[2].

أما الديوان في الاصطلاح فهو موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[3]، وكان أول من وضع لبنة هذه المؤسسة الإدارية عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن أشار عليه أحد عمالُ الفرس بذلك نظرا لكثرة الفتوحات الإسلامية، الأمر الذي نجم عنه تدفق الأموال على خزائن الدولة وكثرة الجند والمتطوعة، فدعا ذلك إلى الاستعانة بالدواوين لضبط شؤون الدولة المختلفة، وقد كانت قبل ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد خليفته أبا بكر تقسم دون تدوين.[4]

---

[1]- الحلل الموشية، ص: 185.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، 256. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص: 90.

[3]- الماوردي، الأحكام السلطانية، ص: 199.

[4]- صبحي الصالح، المرجع السابق، ص: 312. أبوزيد شلبي، المرجع السابق، ص: 107 وما بعدها.

الدواوين وخصائص الديوان:

وبعد توسع الرقعة الجغرافية للبلاد الإسلامية وكثرت مجابي الأموال وتنوعت مواردها بالإضافة إلى كثرة الجيوش في الدولة تعددت الدواوين واشتد الاعتناء بها، وذلك لما لها من أهمية في إدارة شؤون البلاد، ولذلك نجد ولاة الأمر ببلاد المغرب اعتنوا بذلك وأولوه اهتماما كبيرا، فنجد مثلا في دولة الزيريين ثلاثة أنواع من الدواوين؛ فهناك ديوان خاص بالرسائل والكتابة، وديوان آخر للمجابي، وديوان ثالث خاص بأمور الجند المختلفة ويسمى ديوان الجيش.[1]

ولما جاء المرابطون اعتنوا بالدواوين منذ وقت مبكر من قيام دولتهم، إذ لما تولى يوسف ابن تاشفين إمرة المسلمين قام بتنظيم شؤون الدولة العسكرية والإدارية وأحكم أمور البلاد "فدوّن الدواوين، ورتب الأجناد، وأطاعته البلاد"[2]. وكان ديوان الرسائل والكتابة أو ما يصطلح عليه عند المشارقة بديوان الإنشاء من أهم دواوين المرابطين يقوم عليه موظف كبير يعرف بالكاتب، وإلى جانب هذا الديوان كانت هناك دواوين خاصة بالشؤون المالية كديوان الغنائم، وديوان الضرائب، وديوان النفقات[3].

أما فيما يخص الموحدين فإنه رغم عدم توفر المادة الكافية من أجل كشف الغطاء عن حال هذه المؤسسة الإدارية وتنظيماتها عندهم بدقة ووضوح، إلا أنه من الملاحظ عند قراءتنا لثبت كتاب الخلفاء وجود تخصص أنواع الكتّاب وما يشرفون عليه من دواوين منذ عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، ويظهر أن الديوان كمؤسسة إدارية كان يضم نوعين من الدواوين(السجلات) هما ديوان الإنشاء والكتابة، وديوان الجيش، هذا الأخير الذي ينطوي تحته ديوانين هما ديوان التمييز وديوان العسكرية.

فأما ديوان الرسائل والكتابة فهو خاص بالكتابات الرسمية من الرسائل التي يحررها رئيس الكتّاب عن الخليفة إلى مختلف الجهات من العمال والقضاة والطلبة وحتى عامة الموحدين، أو إلى سلاطين وملوك الأمم المجاورة التي تربطهم بها علاقات سياسية في حالتي السلم والحرب أو

---

[1]- عفيفي محمود إبراهيم، المرجع السابق، ص: 107.

[2]- ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، ج4، ص: 23.

[3]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج4، 331.

تجارية واقتصادية، هذه الرسائل التي تحمل أنواعا من الأوامر كالعزل والتولية والأمر والنـهي، وغير ذلك من الأوامر، ويضاف إلى هذا الديوان كتب التوقيعات والظهائر بل وكل ما يمهـر بالعلامة الرسمية من جميع الأوامر[1].

أما الديوان الثاني فهو ديوان الجيش، وهو يتعلق بأمور الجند ونفقاته المختلفة، وينضوي تحته ديوانان هما ديوان التمييز وديوان العسكرية، فديوان التمييز يتعلق بإحصاء الجند وطبقاتهم وعددهم بعد استعراض الجيوش أمام الخليفة بعدتهم وأسلحتهم. أما ديوان العسكرية فهو متعلق بنفقات هذه الجيوش من مرتبات وما تحتاج إليه من أنواع الأسلحة كما هو موضح في الحديث عن كتّاب الجيش.

فالديوان كمؤسسة إدارية تتم فيها أنواع الكتابات الرّسمية كان يحوي هذه الدواوين أو السجلات، فهو المكان الرسمي لحفظ الرسائل والوثائق الرسمية المختلفة، وهو المكان المخـصص كذلك للقيام بهذة التدوينات والكتابات الرسمية من طرف كتّاب هذه الدواوين وتحت إشراف رئيس الكتّاب.

والظاهر أن الديوان كمؤسسة إدارية مخصصة لحفظ كل ما يتعلق بوثائق الدولة كـان يسمى عند الموحدين "بدار صنعة الإنشاء"، وذلك ما نلمسه في الإشارة الوحيدة حول هـذا الموضوع عند صاحب الحلل، الذي يذكر أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قد جاز في خلافته إلى الأندلس مرتين، وأمر خلال ذلك ببناء المسجد الكبير بإشبيلية، وبنى أيضا دار صنعة الإنشاء بسبتة[2] وصنعة الإنشاء هي وظيفة الكتابة وكل ما تعلق بالمكاتبات الرسمية.

ولم تكن دار صنعة الإنشاء -أو الديوان- خاصة بحفظ الدواوين والسجلات والقيـام بتحريرها فيه فقط، بل كانت المكان الرسمي لاجتماع الخليفة مع كاتب السر والتحاور معه في أمور الدولة والتشاور معه فيما جدّ من أمور، ونلمس ذلك في قول القلقـشندي في معـرض حديثه عن علاقة الكاتب مع الخليفة عند الموحدين؛ إذ جعل مكان اجتماعهما هو دار الإنشاء، حيث يسأله فيها عن الكتب الواردة إلى الديوان، فيكون الديوان بذلك هـو أيـضا موضـع

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 623.

[2]- الحلل الموشية، ص: 157، 158.

لاستقبال الرسائل الرسمية الواردة من الجهات إلى الخليفة بالإضافة إلى ما ذكرنا له من اختصاصات، فيقوم الكاتب بقراءتها عليه، ثم يأمر الخليفة بالردّ عليها حسب ما يقرره، بالإضافة إلى قيام الخليفة بسؤاله عن ما تجدد في الحضرة وما يتعلق بالعمال وأهل العلم.[1]

وعلى الرغم من عدم توفر المادة الكافية من أجل إعطاء صورة متكاملة عن الديوان كمؤسسة إدارية تتعلق بخطة الكتابة وتتصل بها اتصالا مباشرا، إلا أنه مما سبق يتضح أن الديوان عند الموحدين كان يسمى بدار صنعة الإنشاء، وهو المكان المخصص للقيام بأعمال الكتابة والتدوين من طرف الكتّاب المختلفين باختلاف طبقاتهم واختصاصاتهم، وهو بالإضافة إلى ذلك مكان لحفظ دواوين الدولة وسجلاتها؛ فهو يتضمن ديوان الرسائل والكتابة وما تعلق بكتابة الجيش من ديوان التمييز وديوان العسكرية وما يضاف إليهما من التقييدات الخاصة بالأموال المختلفة من المجابي وأنواع الزكاة، بالإضافة إلى كونه المكان الرسمي لاجتماع الخليفة مع كاتب السر.

ب:كاتب الوالي" السيد"[2]:

إن السلطات المتعاقبة على بلاد المغرب عمدت إلى تقسيم بلاده إلى ولايات وأقاليم كي يسهل بذلك التحكم في إدارة شؤونه السياسية والعسكرية، وقد قسم الموحدون المغرب إلى ولايات سبع هي: فاس، سجلماسة، السوس، وتلمسان، والصحراء، أما سبتة وطنجة تكونان إقليما واحدا، إضافة إلى إقليم الريف[3]، كما كانت الأندلس باعتبارها قطرا من أقطار الدولة الموحدية الكبرى تنقسم إلى عدة ولايات أو عمالات هي ولاية الغرب" شلب وأحوازها" ، وباجة ويابرة، وبطليوس وماردة وأحوازهما، وإشبيلية، وكانت أعظمهم رقعة، وتشتمل على قواعد شريش وشذونة، وقرمونة، وهناك إقليم قرطبة وأحوازها، وجيان وأحوازها، وغرناطة تشتمل على عدة مدن رئيسية، وإقليم مالقة وأحوازها، و كانت عمالاتها تضم أحيانا إلى سبتة والجزيرة الخضراء[4].

---

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص: 144.

[2]- اسم أطلق على كل من تولى إمارة الولايات وكان من نسب الخليفة من ابن أو ابن أخ.

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص:125.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق1، ص:339، ق2، ص:461.

وكان الوالي أو السيد في اصطلاح الموحدين، يعتبر أكبر موظف في هذه المدن
ت الكبرى في المغرب والأندلس، يعيّنون غالبا من طرف الخلفاء في العاصمة مراكش،
لخليفة يختارهم من ذوي التجربة في العمل وبعد تكوينهم على شؤون الإدارة والسياسة
ي هذه الوظيفة[1].

وهذه الإدارات المحلية في عواصم الولايات بالنسبة لعناصر موظفيها؛ من أنواع الخدم،
ء الجند، والطلبة، والحفاظ، والقضاة، وغيرهم، كانت تشبه إلى حد كبير بلاط الخلافة
سمة مراكش، كما كانت تؤلف هذه الحكومات المحلية التي تضم إضافة إلى ما ذكرنا؛
والكاتب ،وصاحب العمل، تتألف عادة من أهل الأندلس، وهم يختصون في الغالب
ي القضاء والكتابة[2]، وكان الكاتب عند الوالي أو السيد من أقرب المساعدين والمقربين
بما كان السادة من أبناء الخليفة وأخوته يستخدمون في حكوماتهم المحلية هذه أكابر
الأندلس جريا على سنة بلاط مراكش[3].

أما عن طريقة تعيين هؤلاء الكتّاب فقد كانت تتم من طرف الخليفة، ولا سلطة للسيد
ك؛ إذ كانت سلطة الأسياد وغيرهم من العمال محدودة،وخاصة في بداية الدولة وقوتها،
انوا يمنعون حتى من تنفيذ بعض الأحكام الخطيرة كالإعدام دون استشارة الخليفة[4]،
، كان الخلفاء الأوائل يشرفون على تعيين الهيئة الإدارية و الاستشارية المساعدة للولاة في
م، وهذا ما نلمسه في قول ابن عذاري في معرض حديثه عن تعيين عبد المؤمن بن علي
على الولايات إذ يقول: "...ولى السيد الأعلى أبو حفص مدينة تلمسان وتوجه معه أبو
صهر الخليفة، وعبد العزيز بن عياش الكاتب، وولى السيد أبو سعيد غرناطة، فمشى معه
أبو عبد الله بن سليمان ...ومن الكتّاب أبو الحسن ابن العردوس ثم ابن طفيل، ثم أبو

د العزاوي، ج2، ص ص: 226-231.
د عبد الله عنان، مرجع السابق، ق2، ص: 642.
د العزاوي، ج2، ص: 226.
سه، ص: 229.

بكر بن حبيش الباجي، وتوجه السيد الأسمى أبو محمد عبد الله إلى بجاية...وولى السيد أبو الحسن على مدينة فاس... ومعه من الكتّاب أبو العباس بن مضاء يعلمه ويقرأ عليه"[1].

والظاهر أن الخليفة عبد المؤمن عمل على انتقاء وجوه الدولة ورجالاتها ليكونوا سندا لأولاده في إدارة شؤون البلاد؛ إذ نجده لما ولّى على مدينة إشبيلية وأعمالها ابنه السيد أبا يعقوب يوسف ترك معه بها أشياخ الموحدين وذوي الرأي والتحصيل منهم، من يرجع إليه في أموره، ويعول عليه في ما ينوبه[2]، كما نجد الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن ...

وعليه فإن النظام الإقليمي في الولايات في المغرب والأندلس كان تقريبا نسخة الأصل للنظام المركزي في العاصمة مراكش، إذ كان الخليفة يعين لكل وال وزيرا إقليميا خاصا به[4]، وهو خلاف ما كان عليه أمراء المرابطين في هذا الأمر، فبينما لم يكن للأسي في تعيين الكتّاب كما رأينا، فإن ولاة المرابطين كان لهم التصرف المطلق في تعيين هؤلاء وحق اختيارهم وتقريبهم، إذ تمتعوا بسلطة ونفوذ يخول لهم عزل وتعيين من دونهم من الع المحليين، كما تصرفوا في ولاياتهم تصرفا شبه مستقل، لكنهم يدينون بالولاء لأمير المس نظرا لركون الحكم المرابطي إلى اللامركزية[5]، ولذلك نرى الأمير سير بن أبي بكر عين المجيد بن عبدون كاتبا له، واتخذ الأمير محمد بن الحاج أمير بلنسية ابن أبي الخصال كاتب واستكتب أبو بكر بن إبراهيم أمير سبتة وفاس أبا بكر الصائغ[6]، وذلك يعود إلى أن المـ قد درجوا على نوع من الحكم الإقطاعي يولون أميرا من الأمراء على إقليم بعينه ويطلقو فيه يتصرف كيف شاء، شريطة ألا ينازع صاحب السيادة حقه في الملك[7].

1- ابن عذاري، البيان، ص: 50. الحلل الموشية، ص: 151. وروض القرطاس، ص: 194. الناصري، أبو عباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد ابني المؤلف، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، دط،1955، ج2، ص: 123.

2- المراكشي، المعجب، ص: 293.

3- ابن عذارى، البيان، ص: 92، 93.

4- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 336.

5- إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص: 211، 212. عصمت دندش، المرجع السابق، ص: 125.

6- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 136.

7- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص: 287.

ومن الملاحظ أن طريقة تعيين الكتّاب لم تبق على ذلك النمط من تحكم الإدارة المركزية في تعيينهم وغيرهم من الموظفين كالوزير والحاجب، فقد اتسعت سلطة الولاة في فترة ضعف الدولة، أو في بعض الولايات البعيدة حتى في عهد القوة[1]، ويدل ذلك على ما فرضه الشيخ عبد الواحد الحفصي على الخليفة الناصر الموحدي (595/610هـ) من شروط لقبول ولايته على إفريقية؛ إذ اشترط عليه حرية التصرف في اختيار الكاتب والوزير والقاضي ورؤساء الجند[2].

ولقد كان البلاط الموحدي المصغر في الولايات يضم عدة كتّاب كمثيله في العاصمة مراكش، على رأسهم كاتب أول بمثابة رئيس للكتّاب، من مهامه الإشراف على صغار الكتّاب الذين كانوا يعملون كنسّاخ في ديوان الإنشاء، أو كتّاب أسندت إليهم مهمة القيام بمراسلات ثانوية[3]، ويدل على ذلك قول ابن صاحب الصلاة: " كتب أبو عمر المذكور إلى السيد الأعلى أبي حفص يستأذنه في المشي إلى بنيه، وكان ملتزما عنده يكتب له مع الكتّاب"[4]، كما كتب للسيد أبي سعيد والي غرناطة الكاتب أبو الحسن بن العردوس، وأبو بكر ابن طفيل، وأبو بكر بن حبيش الباجي[5]، وكتب عنه أيضا الكاتب والشاعر الكبير أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، والرحالة الشهير أحمد بن جبير الكناني[6]، كما اشترك قطبي الكتابة في الأندلس أبو المطرف ابن عميرة المخزومي، وصديقه ابن الأبار في الكتابة عن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص[7].

كما اختص كاتب الوالي أحيانا بالجمع بين الكتابة والوزارة لمستخدمه من ولاة بني عبد المؤمن، وذلك ما نراه في أواخر العهد الموحدي؛ إذ نجد السيد أبا زيد بن محمد بن يوسف بن

1- العزاوي، ج2، ص: 229.
2- الزركشي، الأعلام، ص: 18.
3- إبراهيم حركات، نفس المرجع، ص: 333.
4-ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 255.
5- ابن عذاري، البيان، ص: 50.
6- عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 642. أنخل بالنثيا، المرجع السابق، ص:316.
7- محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 87.

عبد المؤمن والي بلنسية، يستخدم لوزارته وكتابته كاتبا من أعظم كتّاب الأندلس وشعرائها ألا وهو ابن الأبار القضاعي"[1].

كما كان كتّاب الجهات يخضعون لمراقبة الخلفاء ومحاسبتهم، ومن ذلك ما فعله الناصر الموحدي سنة 604هـ، حين استدعى العمال والكتّاب لمحاسبتهم، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "ونظر -أي الناصر بعد استقراره في مراكش إثر رجوعه من إفريقية- في وصول العمال إلى الحضرة بالأعمال، وكتّابهم المقيدون لأشغالهم، فبادر عين الوصول لما أمر به، ووصلوا مستعدين على ما جد به فشرع بتصفح بعضها"، كما كان يشرف عليهم في أعمالهم كتّاب الخلفاء، إذ كان تحت نظر الكاتبين أبي محمد عبد الله بن يحيى، وأبي عبد الله بن الكاتب اللذين عينهما المنصور لمحاسبة عامل إشبيلية، من كتّاب الجهات نحو خمسين كاتبا[2].

ولقد اختص الولاة الموحدون كل واحد منهم بكاتب أو مجموعة من الكتّاب يعملون على خدمته والكتابة عنه، واختلف عددهم في بلاط الوالي حسب حاجة الإدارة إلى ذلك، وممن اشتهر من ولاة الموحدين بكثرة الكتّاب في حضرته السيد أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن الذي يصفه المراكشي بقوله: "...واجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتّاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده"[3]، وممن خدم هذا السيد من الكتّاب أبو إسحاق بن فرقد إذ "أقام عنده مع أبي القاسم المراعي مدة عامين في خدمته والإختصاص به"[4]، كما كتب له الرحالة الشهير ابن جبير الكناني[5] والكاتب أبو الحسن ابن الهردوس[6] الذي يكنيه ابن سعيد بأبي الحكم أحمد ابن هردوس، والكاتب أبو بكر بن عبد الرحمان بن أبي الحسن بن مسعدة[7].

---

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 642.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 173، 217.

[3]- المراكشي، المعجب، ص: 293.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 191. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 131.

[5]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 311. ابن الخطيب، نفسه، ج2، ص: 146. ابن إدريس، زاد المسافر وغرة محيّ الأدب السافر، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1980م، ص: 28. المقري، النفح، ج3، ص: 12.

[6]- الحلل الموشية، ص 151. ابن الأبار، المقتضب من تحفة القديم، ص: 107.

[7]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 89، 185. ابن الأبار، المقتضب، ص 140. التكملة، ج3، ص: 421.

واختص به كذلك الفيلسوف والأديب الكاتب أبو بكر ابن طفيل القيسي وكتب له وقتا[1]، والكاتب أبو محمد عبد الغني بن طاهر "فلم يزل مع الملك المذكور-أي أبي سعيد- في عزه ونعمته إلى أن وقع على رسالة بعثها إلى أخيه أبي حفص ملك إشبيلية فغار من ذلك وسمه فمات[2]، كما استخدم لكتابته الكاتب والشاعر الكبير أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي[3].

أما السيد أبا حفص عمر بن عبد المؤمن، والي تلمسان[4]، فعلى الرغم من أنه كان كاتبا بليغا استوزره أبوه وصدرت عنه عدة رسائل من إنشائه[5] إلا أنه اختص به بعض أعلام الكتّاب ومشاهيرهم، وعلى رأسهم الفقيه الكاتب أبو الحسن عبد الملك بن عياش[6]، كما كتب له أحد مشاهير الكتّاب وأحذقهم ألا وهو محمد ابن إبراهيم ابن خيرة، والكاتب أبو القاسم ابن المواعيني[7]، "إذ كان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا استكتبه أبو حفص بن عبد المؤمن وحضي عنده حظوة عظيمة لصهر كان بينهما، ونال فيه جاها عظيما وثروة واسعة، وكان حسن الخط رائقه، سلك فيه في ابتدائه مسلك المتقن أبي بكر بن خيرة"[8].

واختص الكاتب أبو زكريا يحي بن سعيد الأنصاري بالسيد أبي العلاء بن يوسف بن عبد المؤمن "وكان من علية الكتّاب، وذوي الجاه الطويل العريض فيهم، واشتهر وجل قدره بالكتابة"[9]، وممن اشتهر من ولاة الموحدين كذلك بالشعر وتقريب الكتّاب، بل وكان هو كاتبا وشاعرا بليغا، السيد أبا الربيع سليمان ابن عبد الله بن عبد المؤمن، -الذي يلقبه ابن سعيد بسلطان المغرب الأوسط-[10]، الذي كان واليا على بجاية في عهد المنصور، وربما في بداية عهد

1- ابن الأبار، المقتضب، ص: 125. ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص: 334.

2- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 185.

3- ابن خطيب، الإحاطة، ج1، ص: 244.

4- المن بالإمامة، ص: 174. البيان المغرب، ص: 50. البيذق، أخبار المهدي، ص: 70. ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 279، روض القرطاس، ص: 194.

5- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ص: 23.

6- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج5، ص: 642.

7- التكملة، ج2، ص: 43.

8- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص: 223، 224.

9- ابن سعيد، المغرب، ج1، ص 292.

10- نفسه، ج2، ص: 312.

الناصر، كان قد استكتب كاتبين مشهورين هما؛ محمد بن عبد ربه الكاتب حفيد صاحب العقد الفريد، اختص به وكتب عنه، وكان ممن مدح المنصور الموحدي إثر انتصاره في الأرك بقصيدة أولها:

بادي الكرامة بل بادي الكرامات	قد شفع الله آيات بآيات
قل كيف لا يفتح الله البلاد وقد	تفتحت لك أبواب السموات

وكان له اتساع في صناعة الشعر وقرضه[1]، وكتب له معه عبد الرحمان بن محمد بن مغاور السلمي الذي يصفه ابن الأبار بقوله: "وكان في وقته بقية مشيخة الكتّاب، وجلة الأدباء المشاهير بالأندلس، مع الثقة وصدق اللهجة، وكرم النفس، بليغا مفوها مدركا، له حظ وافر من قرض الشعر والتصرف في فنون الأدب، ومشاركة في الفقه وعقد الشروط"[2]، كما كتب لأبي الربيع كذلك الكاتب علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري، "وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا"[3].

كما اختص بأبي زيد بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن والي بلنسية في أواخر في عهد المستنصر الكاتب محمد بن عبد الرحمان[4]، كما استعمل لكتابته كاتبا من أعظم كتّاب الأندلس على الإطلاق ألا وهو ابن الأبار القضاعي، وكان قد كتب عنه وعن أبيه ، وصحبه عند قراره بالالتجاء إلى ملك أراغون (خايمي الأول) لما رأى سلطان الموحدين ينهار في سائر النواحي، هذا الكاتب الذي يصفه المقري بقوله: "الفقيه الأجل، الكاتب الحافل، الراوية المحدث الفاضل، الناقد البارع، الحافظ الكامل"[5]، إلى غير ذلك من الكتّاب الذين خدموا الولاة الموحدين على تلك العهد في المغرب والأندلس[6].

1- المقري، النفح، ج3، ص: 370. المراكشي، المعجب، ص ص: 374- 378.

2- ابن الأبار، التكملة، ج3، ص: 40. أنظر زاد المسافر، ص: 37.

3- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج5، ص: 187 وما بعدها.

4- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص ص: 159-161.

5- المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، دط، 1398هـ/1978م، ج3، ص: 204. نفح الطيب، ج3، ص: 191. الذيل والتكملة، ج6، ص: 253. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 251.

6- أنظر الملحق الخاص بكتّاب الولاة.

ثانيا: كاتب الجيش.

كان يعتبر الجيش عماد الدولة الموحدية وعنوان قوتها، إضافة إلى إنشائها للأسطول فيما بعد فأصبح بذلك الجيش والأسطول أداتين للتوسع والقضاء على الثورات الداخلية، والتصدي للخطر الخارجي، ومن ثم فإن مظاهر القوة والضعف في النظم الموحدية خير ما يتجلى في نظام الموحدين العسكري الذي كان يقوم عليه موظفون أكفّاء على الصعيدين الإداري والميداني، ولذلك بلغت التنظيمات العسكرية في ظل الدولة الموحدية مبلغا عظيما لم تبلغه أي دولة أخرى في الغرب الإسلامي[1].

ولذلك نرى منذ بداية عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن تتعين اختصاصات الكتّاب، فظهر كاتب خاص بالجيش يسمى كاتب الجيش، ولما كانت شؤون الجيش توكل إلى ديوانين أو وزارتين نجد نوعين من الكتّاب في الإدارة، أحدهما خاص بديوان العسكرية ويسمى كاتب ديوان العسكرية، وآخر خاص بديوان التمييز ويسمى متوليه كاتب ديوان التمييز[2]، فما هي اختصاصات كل من الكاتبين؟.

1- كاتب ديوان العسكرية:

إن اختصاص هذا الكاتب يتمثل في رئاسة ديوان العسكرية، وهو مختص بالجند النظامي؛ حيث يعمل على إحصاء الجند من ناحية العدد، وكذا معرفة حاجات الجند المتعددة من أمور السلاح والنفقات وغيرها[3]، كما كان يوكل إلى هذا الرئيس أي كاتب العسكرية تولي محاسبة العمال وأصحاب الأشغال على الجهات أحيانا، فكاتب الجيش هو كاتب حسابي مالي من الدرجة الأولى، ولذلك نرى في شروطه أنه" يحتاج إلى معرفة علم الحساب إلى أن يعرف مقدار المرتبات الجارية وأوقات العطاء، وما يتوفر فيها، وما يراعى منها على ما يقتضيه كل زمان، وأن يكون عارفا بالأجناد وأسمائهم، وأنسابهم، ومواطنهم وترتيبهم... كذلك الخيل يثبتون شياتها ونعوتها"[4]، وعلى ذلك نجد بعض الخلفاء يوكل إلى كتّاب الجيش محاسبة العمال

---

[1]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 217.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 638.

[3]- عصمت دندش، المرجع السابق، ص :150.

[4]- العاملي، المصدر السابق، ص: 45.

كما ذكرنا، وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة: "ولما احتل بها-أي يوسف بن عبد المؤمن بإشبيلية سنة 566هـ- أخّر محمد بن أبي سعيد المعروف بابن المعلم عن أعمال المخزن بإشبيلية والأندلس، وعزله عنها، وأمره بالمشي إلى قرطبة لمحاسبته والوقوف على عمله...وعندما وصل إلى قرطبة جعل لمحاسبته أبو القاسم ابن عساكر، وأبو عبد الله بن محسن كاتب العسكرية، وأمر بالحضور على تسطير عمله الفقيه أبو محمد المالقي"[1]، كما اختص كاتب العسكرية بالإضافة إلى إحصاء أمور الجيش وما يتعلق بها من مرتبات ونفقات، وكذا قيامه بالإشراف على محاسبة بعض العمال، كانت تضاف إليه مهمة تقييد أموال المخزن، وإحصاء أموال الزكاة، والفرائض المختلفة على الأموال، ومن ذلك ما قام به الكاتب أبو الحسن الهوزني من الإشراف على كتابة المجابي وهو رئيس كتّاب العسكرية[2].

ولقد كان لهذا الكاتب شروط لابد أن تتوفر لقيامه برئاسة ديوان العسكرية التي يلخصها النويري في وجوب معرفة أرباب الإقطاعات- وهذه الإقطاعات كانت من امتيازات بعض أرباب الوظائف حسب ما هو مبين في الحالة المادية للكتّاب- وكذا الإحاطة بالنقود والمكيلات، ومعرفة الأمراء وطبقاتهم، والممالك السلطانية، وكان الكاتب المختص بديوان العسكرية يصنع لإحصاء ذلك جريدة مقفاة على حروف المعجم يثبت فيها أسماء الجند والأمراء وكذا أعطياتهم[3]. ولقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى تلك الشروط عند تمييز الجيش الموحدي والغزاة العرب، وعلى الرغم من إجماله لتلك الصفات إلا أنها في معانيها تحوي ما ذكره النويري والقلقشندي من شروط فقال: "...وفي اليوم التالي من وصوله - أي وصول الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى المهدية - أمر بتمييز العساكر المؤيدة مرة ثانية من التمييز الأول بحضرة مراكش، وحضر على تمييز العرب السيد أبو زكريا، وأبو محمد عبد الله المالقي لمعرفته بهم، وبأنسابهم، وأمانته، وسياسته،وزكاته، وكمل تميزهم على أصح عمل"[4]، فكان من أسباب تكليف المالقي بهذا العمل العسكري هو معرفته الوافية بأنساب العرب، وكذا طبقات الجند،

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة،ص: 363.

[2]- ابن عذارى، البيان، ص: 170. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 138، 139.

[3]- النويري، نهاية الإرب، ج7،ص: 200. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1،ص: 54.

[4]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 359.

ومراتبهم، وأنسابهم، إضافة إلى أمانته، لأن إحصاء الجيوش يتم بعده مباشرة تقسيم الرواتب أو البركات حسب اصطلاح الموحدين، ولذلك كان يشترط في القائم على ذلك الأمانة والعدالة، إضافة إلى توفر الخبرة السياسية والإدارية بأمور الجيش في المالقي مما أهله إلى القيام بهذا العمل.

2- كاتب ديوان التمييز:

كثيرا ما تتردد كلمة التمييز في المصادر الموحدية وخاصة عند إقدام الجيش على المعارك، والتساؤل المتبادر هو هل هذا التمييز الذي كان يقوم به الجيش عند كل غزوة هو نفسه الذي أحدثه ابن تومرت في البداية، والذي قام به البشير الونشريسي إذ "كان يخرج المخالفين المنافقين والخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب...فمات يومئذ من الناس قتلا خمس قبائل"[1]، أم أن هذا التمييز هو غير ذلك ؟.

إننا نجد في المراجع التي تتحدث عن هذا التمييز بعض الاختلاف، إذ يرى البعض أنه نفس التمييز الذي أحدثه المهدي، ثم اتخذ عادة جرى عليها الموحدون منذ عهده، وكل من ميز وثبت توحيده عدّ موحدا، وسجل في سجل خاص في العاصمة والنواحي[2]، إلا أن النصوص الواردة في عملية التمييز العسكري توحي بخلاف ما قام به المهدي من " الميز"، وأنه لا علاقة له به، وإنما المقصود به اختيار الصفوة من الجند قبيل كل غزوة يقبل عليها الموحدون[3]، كما هو استعراض الجيوش في أيام السلم على الخليفة وكبار القادة لمعرفة مستواها، وهذا التمييز عند الموحدين في بلاد المغرب يقابله عرض الجيوش في بلاد المشرق[4]، ومن النصوص الدالة على التمييز بهذا المعنى ما ذكره ابن صاحب الصلاة في قوله: "أمر سيدنا بتمييز العرب المذكورين، أن يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق، وأن يكون دخولهم إليه بحيث يراهم ويطلع هيئاتهم"[5]، ويبدو أن المهدي قام بهذا التمييز بهذا المعنى دون التمييز الآخر الذي قام به

1- البيدق، أخبار المهدي، ص: 59.

2- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 148. عصمت دندش، المرجع السابق، ص: 150.

3- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص: 232.

4- الحلل الموشية، ص: 131، حاشية. عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، 2000م، ص: 162.

5- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 346.

الونشريسي، وذلك ما نلمسه في قول ابن القطان: "ورجع الموحدون أعزهم الله إلى تينملل، وهذا في حياة المهدي رضي الله عنه، وميّزهم الإمام المهدي رضي الله عنه، وكتب عمر أصناج بعد اسمه، وجعل رسمه عقب رسمه"[1]، فالنص دال صراحة على أن هذا التمييز هو غير التمييز الذي قام به الونشريسي، فلقد قام المهدي بهذا التمييز بعد الرجوع من أحد غزواته، إذ أمر بعد قدومه بإحصاء من بقي من الجند في صحيفة أو زمام خاص بذلك، ولعل هذا التمييز أقيم من أجل توزيع الغنائم نظرا لتسجيل المهدي لنفسه ثم قام بتسجيل أصناج المقرب منه وذلك أن الغنائم توزع حسب مراتب الجند.

ويتمثل اختصاص كاتب ديوان التمييز في إيراد نفقات الجيش، وتقسيم الأعطيات والبركات على كل من ثبت اسمه في زمام الجيوش والجند، الذين قام بإحصائهم كاتب العسكرية، إضافة إلى تمييز المشاركين في المعارك المقبلة والتنسيق بين الأجناد والكتائب، وكان صاحب ديوان التمييز قبل إنفاذ البركات يعرض زمام التمييز الجديد على الزمام القديم الذي قبله من أجل المقارنة ثم ينفذ بعد ذلك الأعطيات بأمر الخليفة، وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة: "دخلت – أي كاتب ديوان التمييز- على سيدنا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه وفي يديّ تلخيص زمام تمييز العساكر فقلت له: يا سيدنا ومولانا؛ وقفت على هذا التمييز ووجدت فيه زيادة كثيرة على ما تقدم، فقال لي رضي الله عنه: نفذ البركة على ذلك؛ إنما غرضنا الإحسان للأجناد، وتظهر عليهم الخيرات والبركات، فامتثلت ذلك"[2]، ثم عند تمام عملية التمييز تقسم أولا آلات الحرب من الخيل المسومة الجياد على أعدادها المذكورة -أي حسب أعداد الجند- وكذلك على العرب الوافدين، وتعطى للجميع الرماح والدروع، والبيض والسيوف، ثم يقوم بعد ذلك الكاتب بصفته صاحب زمام التمييز مع من حضر مع الخليفة بتقسيم البركات[3].

---

[1]- ابن القطان، نظم الجمان،ص: 164. وعن عملية التمييز التي يقوم بها الجيش الموحدي أنظر: ابن عذاري، البيان، ص:122، 128، 132. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 346. أحمد العزاوي، الرسائل رقم: 3، 28، 61، 96.

[2]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 347.

[3]- نفسه، ص: 348.

ومما سبق نجد أن من خصائص كاتب هذا الديوان الإشراف على الأمور المالية المتعلقة بالجند من الرواتب وكذا الإهتمام بآلات الحرب المختلفة من الدروع والسيوف وغيرها، فكان بذلك ديوان نفقات الجيش، و كاتب ديوان العسكرية مختص في إحصاء الجيوش وضبط مراتبها وطبقتها.

ولم يقم كاتب الجيش بهذه الأعباء لوحده فقد كان يعمل على الكتابة في شؤونه كاتب أو أكثر يعملون على مساعدة كاتبي العسكرية والتمييز، فيكون بذلك على رأس هذين الديوانين وزيرين؛ هما كاتب العسكرية وكاتب التمييز، ومعهما مساعدون يختصون بالكتابة في ذلك.[1]

[1] ـ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 638.

رابعا: مهام الكتاب واختصاصاتهم

إن أهم ما يتعلق بشخصية الكاتب والأعمال الإدارية المنوطة هو ما تخطه يمناه من الرسائل البديعة الصادرة عن ديوان الإنشاء على لسان الخليفة إلى مختلف الجهات، وبأنواع الأوامر والنواهي؛ وهذا في الواقع هو العمل الرئيسي للكاتب واختصاصه الأساسي، فالوظيفة الأساسية للكاتب هي تحرير الرسائل الرسمية التي تحمل في طياها أنواع الأوامر والقرارات التي يريد الخليفة إنفاذها إلى من يريد مخاطبته من الملوك خارج دولته، أو إلى مختلف العمال من الولاة والقضاة وأصحاب الأشغال والطلبة وغيرهم داخل الدولة. وكانت تتم هذه العملية في ديوان الإنشاء، حيث يعمل الكاتب على تحرير الرسالة وكتابتها بنفسه، أو يعمل على إملائها على أحد الكتّاب المساعدين فيكتبها[1].

ولم يقتصر عمل الكاتب الرئيسي على تحرير الرسائل المتسمة بالبلاغة الفائقة فحسب، بل كان يعمل على استقبال الرسائل الواردة إلى السلطان، فيعمل على قراءها عليه واستشارته حول نوع الرد عليها، هذا مع إشراف الكاتب الرئيس على مراقبة صغار الكتاب في الديوان والإشراف عليهم في كاتباهم الثانوية التي يقومون بها[2].

إلا أن شخصية الكاتب الفريدة من خلال ما تحمله من ثقافة واسعة، وسعة علم بالتدابير السياسية، و خبرة في إدارة شؤون المؤسسات تعددت اختصاصاته وتنوعت مهامه، مضافة إلى عمله الرئيسي من تحرير الرسائل وإنشاء المخاطبات الرسمية.

ومنذ أن قامت دولة الموحدين عملت على تقريب الكتّاب وإعلاء مراتبهم؛ لما لهم من وظيفة حساسة ومهمة التنسيق والاتصال بين دوائر هذه الدولة، فتنوعت بذلك مهام الكاتب الموحدي وتعددت اختصاصاته، ومن تلك المهام التي نستخلصها من خلال استقراء بعض النصوص من المصادر الرئيسية ككتب الجغرافيا والرحلات وكتب التراجم والوثائق الرسمية بالإضافة إلى كتب الحوليات الرئيسية ما يلي:

1- القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص: 144.

2- نفسه، نفس الصفحة.

1. اعتلاء منصب الوزارة:

لقد اعتلى الكاتب في بداية الدولة الموحدية منصب الوزارة، ولم يكن هذا من بدع الموحدين في نظم الإدارة والحكم، فقلد لزم لقب الوزير عند بعض الدويلات في المغرب وغيره الكاتب المتولي رئاسة ديون الإنشاء، فمثلا عند الأخشيديين لا نرى زعيم كتابهم ملقبا إلا بلقب الوزير، و ما ذلك إلا لتقدم الحضارة وشيوع لقب الوزير في نواحي الدولة، كما أصبح رئيس الكتّاب في الدولة العباسية وفي كل مملكة متفرعة عنها لعظم شأنه وزيرا مستشارا للخليفة أو الملك، وبلغ من المكانة ما لم يبلغه رئيس الجند[1].

ويصف لنا بعض المتخصصين في تاريخ وأدب الأندلس تلك المترلة التي كان يحظى بها كاتب الإنشاء وما كان يعتلي من مناصب مرموقة عالية فيقول: "...ولقد زاد من مكانة الكاتب أن يصل في بعض الأحيان إلى مرتبة الوزارة، لما يبديه من البراعة من تصريف الأمور أو لما يكون من المواهب"[2]، كما اقترنت الوزارة في المغرب والأندلس مع الأدب والبيان، فكان الوزير كاتبا وشاعرا، وكان أشهر الكتّاب والشعراء وزراء، وكانت الشهرة بالكتابة والشعر وفنون الأدب وفروع العلوم من وسائل الوصول إلى اعتلاء الوزارة، كما ظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك، وتقلبوا في مراكز الدولة وكانوا جميعا من الأدباء والعلماء والكتّاب[3].

ولقد اتخذ الأمراء المرابطون وزراء كتاب؛ إذ اتخذ يوسف بن تاشفين وزيرا كاتبا وهو الكاتب الفقيه محمد بن عبد الغفور الذي تولى كتابة نص ولاية العهد باسم يوسف بن تاشفين لابنه علي[4].

إن هذا التداخل بين الوزارة والكتابة نجده في بداية الدولة الموحدية، وبالأخص في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للدولة وإدارتها، ويعود ذلك إلى أن الدولة في بداية

---

[1]- محمود مصطفى، الأدب العربي بمصر من الفتح إلى نهاية العصر الأيوبي، دار كتاب العربي للطباعة والنشر، دط، 1387هـ/ 1967م، ص: 133، 190.

[2]- محمد رضوان الداية، الأدب الأندلسي والمغربي، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، سوريا، دط، 1400هـ/1980م، ص: 33.

[3]- إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص: 300.

[4]- مجهول، الحلل الموشية، ص: 78.

نشأتها لم تتخذ الرتب والألقاب و لم يكن ذلك إلا بعد استقرارها، وهذا ما نلمسه من خلال ما ذهب إليه ابن خلدون في قوله أن: "دولة الموحدين في بداية أمرها لم يكن عندهم من الرتب غير الوزير، فكانوا أولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية، وعبد السلام الكومي، وكان له مع ذلك النظر في الأشغال المالية"[1]، وفي معنى هذا يقول أكنسوس: "...وكذلك أول الدولة الموحدية فإنها لم تستمكن في مقام الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتميز المراتب والخطط الملوكية إلا في أواسطها لما استفحل أمرها، فلم يكن لهم من المراتب إلا الوزير، وكانوا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف التصرف العام المشارك للسلطان في الرأي الخاص"[2].

و أول الكتّاب الذين شغلوا منصبي الوزارة والكتابة عند الموحدين الكاتب الشهير أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي، وفي ذلك يقول صاحب المعجب في معرض حديثه عن وزراء عبد المؤمن بن علي: "...واستوزر أبا جعفر أحمد بن عطية، فجمع بين الوزارة والكتابة، فهو معدود في الكتّاب والوزراء، فلم يزل عبد المؤمن يجمعهما له إلى أن افتتحوا بجاية، فاستكتب عبد المؤمن من أهلها رجلا من نبهاء الكتّاب يقال له أبو القاسم القالمي"[3].

و لا يفهم من قول المراكشي أن ابن عطية قد اعتزل الكتابة بعد إسنادها للقالمي إذ نجد رسائل كتبت بعد هذا التاريخ -وهو تاريخ تولي أبي القاسم القالمي للكتابة- رسائل من إنشاء الوزير الكاتب أبي جعفر بن عطية[4]، مما يجعلنا نستنتج أن القالمي لم يكن سوى كاتبا مساعدا يخضع إلى إشراف ابن عطية، ولعل ذلك لكثرة الأعباء التي أسندت لابن عطية بعد توليه الوزارة فأوجب ذلك إضافة كاتب لمساعدته.

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 253.

2- اكنسوس، الجيش العرمرم الخماسي ، نقلا عن : حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 102.

3- المراكشي، المعجب ، ص: 266، 267.

4- ليفي بروفنسال، مجموع رسائل موحدية، من رسالة رقم: 1 إلى الرسالة رقم: 15. أحمد العزاوي رسائل الموحدية، ج1، ص: 19.

ولم ينفرد ابن عطية بتولي منصبي الوزارة والكتابة، فإننا نجد في أواخر العهد الموحدي السيد أبا زيد بن محمد بن عبد المؤمن والي بلنسيـــة يستخدم لوزارته وكتابته كاتبا من أعظم كتّاب الأندلس وشعرائها ألا وهو ابن الأبّار القضاعي[1].

فمن خلال ما سبق تبين أن من وظائف الكاتب اعتلاء منصب الوزارة، فكانت خصائصه التزام الخليفة ومشاورته في أمور السلطان وكل ما يتعلق بأعباء الوزارة، هذا بالإضافة إلى القيام بأعمال الكاتب من تحرير الرسائل وقراءة الوارد منها على الخليفة وغيرها من أعمال الكتابة.

ولقد كانت الوزارة في هذه المرحلة تعتبر مجرد وزارة تنفيذ[2]، دون أن يكون للكاتب استقلال بالقرارات، ذلك لأن الخلفاء الموحدين منذ عبد المؤمن إلى الناصر أحكموا قبضتهم على مقاليد الأمور، وأشرفوا بأنفسهم على أحوال البلاد، ومن هنا كان الوزراء منفذين لأوامرهم[3]، فلم يكن للوزير أو الكاتب نفوذ سياسي كما كان في كثير من الممالك، إلا ما كانا يبديانه في شؤون الدولة من المشاورات في أمور الدولة كالعمليات العسكرية وغيرها بصفتهم طرفي نقاش[4]، إلا أن صاحب الإحاطة يورد لنا إشارة من أن ابن عطيّة "فوّض إليه-أي عبد المؤمن- النظر في أموره كلها، فنهض بأعباء ما فوض إليه وظهر فيه استقلاله وغناؤه ... وكانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة"[5]، فلا ندري هل كانت وزارته وزارة تفويض فعلا حسب ما قرره الماوردي سابقا؟، أم أنه قصد بها القيام المثالي بأعباء الوزارة نظرا لخبرته الإدارية كونه كان من موظفي وكتّاب المرابطين .

---

[1]- عبد الله عنان المرجع السابق، ق2، ص: 396.

[2]- يقسم الماوردي الوزارة إلى قسمين؛ وزارة تنفيذ ووزارة تفويض، فاختص وزير التنفيذ بتنفيذ أوامر الخليفة الذي يشرف على جميع تصرفاته وأعماله، واختص وزير التفويض بتدبير شؤون الدولة تبعا لرأيه وسلطته بتفويض من الخليفة نظرا لنفوذه، الماوردي، المصدر السابق، ص ص: 22-29.

[3]- هوبكنز، المرجع السابق، ص: 47.

[4]- محمد بن معمر، تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجيستر، جامعة وهران، 1992/1993، ص: 27، 30.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص: 128-134.

2. القيام بمراسيم تولية العهد:

كان من اختصاصات الكتّاب الموحدين كذلك كتابة نص البيعة، ثم إلقائها على الوفود المبايعة، وكان لهذه المبايعة صيغة خاصة يلقيها الكاتب من على المنبر وهي: "تبايعون أمير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر، والنصح له ولولاته وعامة المسلمين، هذا ما له عليكم، ولكم عليه ألّا يجمر بعوثكم وألا يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته، وأن يعجل لكم عطائكم، وألا يحتجب عنكم، أعانكم الله على الوفاء، وأعانه على ما تقلد من أموركم"[1]، وكانت هذه الصيغة نفسها التي عمل الكاتب أبو عبد الله بن عيّاش بها لما قام بمراسيم إلقاء مبايعة الخليفة أبي يعقوب يوسف ابن محمد المستنصر بالله، وفي ذلك يقول صاحب المعجب: "وبويع البيعة الخاصة يوم الخميس ويوم الجمعة، بايعه أشياخ الموحدين والقرابة، وفي يوم السبت أذن للناس عامة، شهدت ذلك اليوم، وأبو عبد الله ابن عياش الكاتب قائم يقول للناس: تبايعون أمير المؤمنين ابن أمراء المؤمنين على ما عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم-ثم ذكر الصيغة المذكورة سابقا إلى أن قال-... يعيد هذا القول لكل طائفة إلى أن انقضت البيعة"[2]، كما يذكر ابن صاحب الصلاة قيام الكاتب عبد الله ابن جبل بخطبة في حق البيعة إذ يقول: "... وقام الخطيب أبو الحسين ابن الاشبيلي، وصاحبه أبو محمد بن جبل وأبو محمد المالقي وخطبوا على إنفراد كل واحد منهم خطبة في حق البيعة ولزومها، وربط الشرع بعهودها ورسومها، وأفصحوا بما خطبوا، وجاءوا من كلامهم بالسحر الحلال وأطنبوا "[3].

3. التحقيق مع العمال:

لقد كان الخليفة يوكل أحيانا مسألة التحقيق مع بعض الولاة والعمال على الأقاليم إذا بلغه عنهم سوء تصرفهم، أو ظلمهم للرعية، أو تبذيرهم لأموال الدولة والإسراف في إنفاقها، يكل ذلك إلى بعض الكتّاب للتحري في المسألة ومحاسبة هذا الوالي أو العامل على ذلك، ومن ذلك،

[1] – إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 329.

[2] – المراكشي، المعجب، ص: 407.

[3] – ابن صاحب الصلاة، المن الإمامة، ص: 94، 95.

ما عمله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من تعيين الكاتب أبي عبد الله ابن محسن أحد كتّاب العسكرية مع بعض الموظفين لمحاسبة ابن المعلم[1]، وفي ذلك يقول: "... وعندما احتّل بها -أي نزل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بإشبيلية سنة566هـ- أخّر محمد ابن أبي سعيد المعروف بابن المعلم عن أعمال المخزن بإشبيلية والأندلس، وعزل عنها، وأمره بالمشي إلى قرطبة لمحاسبته والوقوف على عمله، وعندما وصل إلى قرطبة جعل لمحاسبته أبي القاسم بن عساكر، وأبو عبد الله ابن محسن كاتب العسكرية، وأمر بالحضور على تسطير عمله الفقيه أبو محمد المالقي، والكاتب أبو الحكم بن عبد العزيز يشهد على كل ما يسطره، دام ذلك إلى آخر شهر ذي الحجة من عام ستة وستين وخمس مئة"[2]، كما نجد الخليفة المنصور قد وكل إلى بعض كتّابه محاسبة عامل إشبيلية داوود ابن أبي داوود، وذلك لما بلغه من ظلمه وجوره ما يستوجب ذلك، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "... فأبرز لمحاسبته أبا محمد ابن يحيى، وأبا عبد الله ابن الكاتب، وكان تحت نظرهما من كتّاب الجهات نحو خمسين كاتبا، وأقاموا في نسخ وتقييد، وتبييض وتسويد، وإكباب على بحث وتنقيب ، وتصديق بعض وتكذيب"[3].

4 .القيام بالأعمال العسكرية:

إضافة إلى ما كان ينوط به الكاتب من وظائف في مجال القلم والكتابة، كان يتولى أحيانا قيادة بعض الأعمال العسكرية، أو مرافقة بعض القادة الكبار أثناءها، ومن ذلك ما حدث مع ابن عطية الكاتب على عهد الخليفة عبد المؤمن لما خرج عليه أخوي المهدي بن تومرت وتمردا عن طاعته، فنجده قد أوكل قيادة الجيش إلى الوزير الكاتب أبي جعفر ابن عطية، وفي ذلك يقول ابن عذارى: "...وحين بلغ الخليفة خروجهم من فاس على غير طريقه ساء ظنه بهم، فوجه في الحين ابن عطية ليصدهم عن تعديهم، ويردهم عن التغيير الذي يرديهم،

---

[1] – ابن المعلم، أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد، كان في فترة عبد المؤمن ومعظم أيام ابنه يوسف مشرفا على الأعمال بإشبيلية، إلى أن كانت سنة 573هـ فانتقم منه لما انتقد عليه من أخبار شنيعة وأحوال فضيعة، وأمر بسجنه وصودرت أماله، وضرب بعد محنة طويلة عنقه. ابن عذاري، البيان المغرب، ص: 104. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 310، 311، 320.

[2] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 363.

[3] – ابن عذاري، البيان المغرب، ص:224، 225.

فوصل ابن عطية إلى مراكش في يومين، فوجدهم قد أحدثوا أحداثا، وقتلوا واليها...فنفذ لهم من الله القضاء، وحق لهم من الحسام الاقتضاء، فقتلوا وصلبوا"[1].

ولم ينفرد ابن عطية في قيادة الجيش على صفته وزيرا فقط، ولم ينفرد بالوزارة دون الكتابة إذ في هذه المدّة بالذات نجده يمارس أعمال الكتابة؛ إذ لما انقضت هذه المعركة أمره عبد المؤمن بالكتابة والإعلان عن هذا النصر، حيث يقول في ذلك ابن عذاري: "... فلما أكمل غرضه وأهلك الله من بغي عليه وتفرغ ذهنه، وظهر له من الله عونه، أمر الوزير الكاتب -أي جعفر ابن عطية- بالكتب إلى جميع البلدان، فكتب بما لا يجال معه من الفصاحة والبلاغة في ميدان، وشرح حالهم"[2].

فهذا النص ظاهر الدلالة على تولي ابن عطية للمنصبين الوزارة والكتابة كما بينا سابقا، كما يوحي بما للكاتب من مساعدين من صغار الكتّاب في الحضرة على ما سنبينه فيما سيأتي.

ومن أعمال ابن عطية العسكرية كذلك، مرافقته للسيد أبي يعقوب يوسف إلى اشبيلية بعد هزيمة الاذفونش[3] من قبل السيّد أبي سعيد والي غرناطة، وذلك لكتابة عهد الأمان للنصارى بألميرية، "فبعد أن أعلم السيّد أبو سعيد والي غرناطة بهزيمة الأذفونش، وكتب إلى أبيه بذلك ... فأمر أن يتوجه أبو جعفر الوزير صحبة السيد أبي يعقوب ابن الخليفة إلى الأندلس، ويسير إلى ألميرية وينزل النصارى من قصبتها على الأمان، وإذا كمل هذا يرجع أبو جعفر مع السيد أبي يعقوب إلى إشبيلية"[4]، ويبدو أن هذا العمل الذي قام به أبو جعفر الوزير كان دبلوماسيا أكثر منه عسكريا؛ إذ كان ذهابه بعد انتصار السيّد أبي سعيد على النصارى، وكانت مهمته إنزال النصارى من القلعة، وكتابة عهد الأمان بعد إنزالهم.

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 51.

[2] - نفسه، نفس الصفحة.

[3]- ألفونسو السابع صاحب طليطلة عاصمة قشتالة، وهو الذي يحمل اسم رومونس، توفي في 13رجب 552هـ/21غشت1157م، حسب المصادر النصرانية، إثر اشتباك مع الموحدين تأثرا بجراحه. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ص: 331. يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1417هـ/1996م، ج1، ص: 231، 233، 258، 259.

[4] - ابن عذاري، المصدر نفسه، ص: 56.

كما يعلمنا ابن عذارى كذلك عند حديثه عن خبر حركة الخليفة السعيد الموحدي(646/640هـ) ومسيره إلى قتال الأمير أبي يحيى وبني مرين عن مرافقة كاتبه له في هذه الغزوة إذ يقول: "وحضر معه في هذه الحركة كتّابه الجلة؛ أبو الحسن الرعيني، وأبو زكريا الفازازي، وأبو عبد الله التلمساني"[1]، وهؤلاء الكتّاب يذكرهم ابن عذارى في خانة كتّاب الجيش عند حديثه عن كتّاب السعيد.

5. الخطابة بين يدي الخليفة:

نظرا لفصاحة الكتّاب وبلاغة أسلوبهم، كان يستعملهم الخلفاء أحيانا كخطباء بين أيديهم، ويباهون بهم وبشعرهم وفصاحتهم، ويزينون بهم حضرتهم السلطانية، هذا بالإضافة إلى اختصاصهم بوظيفة الكتابة، فنجد مثلا الكاتب عبد الله بن جبل[2]، الذي كان يقف مع بعض الخطباء ويكتب بين يدي الخليفة ويبدي ما جادت به قريحته من فصاحة وقرض للشعر، فلقد ذكر ابن صاحب الصلاة في ترجمته لهذا الكاتب قوله: "الفقيه الخطيب أبو محمد عبد الله المعروف بابن جبل كان صاحب أبي الحسن ابن الإشبيلي عند الخليفة –رضي الله عنه– يخطب بعده إذا خطب، ويحضر إذا حضر، فيوري الخطابة والفصاحة من كتب، وتتعجب الوفود منه غايته العجب"[3]، ولقد عدّ ابن القطان ابن جبل هذا في جملة كتبة عبد المؤمن على طريقته فقال: "كتابه رضي الله عنه: أبو جعفر بن عطية ، وأبو محمد عبد الله بن جبل... "، كما يذكره من خطبائه أيضا [4].

6. الإشراف على الشؤون المالية :

لقد تولى كبار الكتّاب على عهد الدولة الموحدية الإشراف على الشؤون المالية للدولة، وخاصة هؤلاء الذين تميزوا بخبرة إدارية في مجال الحساب والتقييد، ولذلك نجد أغلب الكتّاب الذين تولوا الإشراف على الأمور المالية من كتّاب الجيش الذين هم كتّاب حساب

---

1 – ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 371.

2 – أبو محمد عبد الله بن جبل، من أهل مدينة وهران من أعمال تلمسان، الفقيه الخطيب، صاحب أبي الحسن ابن الإشبيلي، يذكره ابن صاحب الصلاة من بين الكتّاب الموحدين، والمراكشي من قضاتهم، أنظر المن بالإمامة، ص: 163. المعجب، ص: 229.

3 – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 95.

4 – ابن القطان، نظم الجمان، ص: 210، 212.

بالدرجة الأولى، ومن بين الكتّاب البارزين الذين تولوا هذا المنصب أبو عبد الله بن منيع؛ يقول ابن عذاري في معرض الحديث عن تعيين الخليفة الناصر للولاة ومساعديهم على الأمصار؛ إذ نجده قد عين أخاه السيد أبا محمد على شرق الأندلس، "وقدم الكاتبين النبيهين؛ أبا محمد الحسن، وأبا عبد الله بن منيع، وكلاهما فيما انفردا به من الإحسان وصنعة الإنشاء والديوان فرسا رهان، ومالكا راية الإتقان والبيان، واقتصر أبو محمد بن الحسن على كتب التوقيعات والظهائر وكل ما ترتب عليه العلامة من وجوه الأوامر، **وانفرد أبو عبد الله بن منيع ؛ وهو الكاتب المختص بديوان العسكر، وما انضاف إليه من التنفيذات السلطانية، وتقييد الجزيات العامة في أنواع النفقات"**[1].

ففي هذا النص إشارة إلى اختصاص كاتب الجيش بتقييد الأمور المالية، كما فيه إشارة إلى تصنيف الكتّاب إلى صنفين كما هو عند المراكشي في المعجب، كتّاب إنشاء وكتّاب جيش، كما يزودنا ابن صاحب الصلاة بنص يدل صراحة على تولي الكتّاب الإشراف على الأعمال المخزنية وتقييد الأموال إذ يقول: "فوصلها -أي قرطبة- أبو إسحاق براز بن محمد المسوفي بالأمر العزيز، واستقر داخلها، واستدعى الكتّاب والمشارف من إشبيلية وأنظارها، فبادر إليه أبو القاسم ابن عساكر، وأبو بكر المراني...ومعهم من الكتّاب جماعة كبيرة مشهورة من أعيان إشبيلية وأعيان جهاتها، وكنت -أي ابن صاحب الصلاة- في جملة من كتب من الكتّاب، وعيّن للإشتغال بذلك الباب، فاستعفيت وقنعت والتزم غيري ممن كتب تقييد أموال المخزن بها وبأنظارها، وبالبلاد المفتتحة المرتجعة من أيدي المنافقين، وبضم بالزكوات والفرائض المفروضات، فقربهم عند وصولهم إليه وأدناهم ... واستعملهم على الأشغال وولاهم ... وتلاحق الناس والكتّاب لهذه الآمال، وشغلوا بالتصرف في تلك الأعمـــال" [2].

فالنص صريح الدلالة على أن الكتّاب الذين استدعوا، كانوا يمارسون في إشبيلية تقييد الأعمال الخاصة بالمخزن، وإحصاء أموال الزكاة، والفرائض المختلفة على الأموال، وعلى

---

1 - ابن عذاري، البيان المغرب، ص: 254.

2 - ابن صاحب، المن بالإمامة، ص: 138، 139.

رأسهم الكاتب العسكري المشهور أبو القاسم بن عساكر؛ إذ يذكره ابن صاحب الصلاة من بين كتّاب ديوان التمييز والعسكرية[1].

وصاحب الشغل هذا الذي ذكره ابن صاحب الصلاة هو غير صاحب العمل والمشرف والوالي[2]؛ ونظرا لإسناد هذه الوظيفة إلى الكتّاب العسكريين دون غيرهم من كتّاب الإنشاء يجعلنا نشك بأن كاتب العسكرية كانت تسند له بالإضافة إلى أعماله المتعلقة بالجيش، تقييد الأمور المالية، وإن كان كذلك، فيكون كاتب العسكرية مشرفا على ديوانين مهمين هما ديوان العسكرية، وديوان الأموال والنفقات.

7. الإشراف على خطة المظالم:

لقد كان مركز الكاتب يتيح له أيضا الجلوس مع الخليفة على منصة القضاء، وينظر في الدعاوى ويوقع على القصص ويختمها بخاتم الخليفة، فأصبحت بذلك من الأعمال الجليلة المنوطة بالكاتب، خاصة وأن هؤلاء الكتّاب كانوا يتولون منصب القضاء قبل تولي خطة الكتابة أو بعد صرفهم عنها.

ولقد أورد القلقشندي نظام المحكمة بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين بقوله: "...جرت عادة من له ظلامة أن يرتقب السلطان في موكبه -يعني يوم جلوسه للمظالم- فإذا إجتاز به السلطان صاح بعد لا إله إلا الله أنصرني نصرك الله، فتأخذ قصته وتدفع لكاتب السر، فإذا عاد جلس في قبة معينة لجلوسه ويجلس معه أكابر أشياخه مقلدين السيوف، ويقف من دونهم على بعد مصطفين متكئين على سيوفهم، ويقرأ كاتب السر قصص أصحاب المظالم وغيرها فينظر فيها بما يراه" [3] فكان رئيس الكتاب الذي يسميه صاحب النص كاتب السر أحد أعضاء جلسة المظالم التي يشترط فيها الماوردي خمسة أعضاء من الحكام، والفقهاء للتشاور معهم، والشهود الذين يشهدون التقاضي، ويصدقون عدل القاضي، وعصبة القوة، لمنع أخذ المتظلم حقه بالقوة والعنف، والكاتب خامسهم[4]،

---

[1] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 311.

[2] - عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص:167، 168.

[3] - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص:206.

[4] - الماوردي، المصدر السابق، ص:80.

ولم يكن الكاتب هنا مجرد كاتب نسخ وتدوين، بل كان كاتب السر ورئيس ديوان الإنشاء يتلقى قصص المظالم ويقرؤها على الخليفة، حتى إذا أصدر فيها الخليفة حكمه وقّع عليها الكاتب توقيعه بأمر من الخليفة. ومن بين أشهر الكتّاب الذين توّلوا هذه الخطة الكاتب القاضي أحمد بن يزيد بن عبد الرحمان، "فقد تولى قضاء جماعة بمراكش مضافا إلى ذلك خطتي المظالم والكتابة العليا"[1].

كما يذكر ابن عذارى أن كتاب الإنشاء "يشرفون على كتب التوقيعات وكل ما ترتب عليه وقوع العلامة من وجوه الأوامر"[2].

[1] - ابن الأبار، التكملة، ج1، ص: 102، 103.

[2] - ابن عذارى، المصدر السابق، ص: 254.

خامسا: الحالة المادية و الاجتماعية للكتاب.

لقد تعددت أوجه الإنفاق في الدولة الموحدية على مختلف المؤسسات المدنية منها والعسكرية و تنوعت، إلا أنه يمكن حصر هذه النفقات في بنود أساسية متمثلة فيما كانت تنفقه الدولة على الجيش من مصاريف التجهيز، وشراء وسائل القتال وغيره، وهناك نفقات البناء والتعمير وما كان يصرف على مختلف المنشآت المعمارية من قصور، ومساجد، ومنارات مختلفة، وغيرها من أنواع المباني والعمران، كما كانت لها نفقات في مجال المنح والهدايا التي كان يبذلها الخلفاء الموحدون لمختلف الجهات الداخلية منها والخارجية؛ وذلك لأسباب اقتضتها سياسة البلاد ومصالح العباد، وهناك نوع رابع من هذه النفقات يتمثل في المرتبات التي كانت تبذلها الدولة لمختلف العمال على اختلاف طبقاتهم و مراتبهم[1].

ولقد شكلت المرتبات والأرزاق المصدر الثاني من أوجه الإنفاق من بيت المال، كما تعددت في تفريقها على الوزراء وعلى رجال البلاط والحشم والقضاة والكتّاب والطلبة والفقهاء، وفي ذلك يقول صاحب المعجب عن ابن طفيل طبيب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بأنه كان يأخذ جامكية – أي مرتباً– مع غيره من موظفي الدولة وعمالها إذ يقول: "... وبلغني أنه كان يأخذ الجامكية مع عدة أصناف من الخدمة؛ من الأطباء والمهندسين والكتّاب و الشعراء والرماة والأجناد، إلى غير هؤلاء من الطوائف"[2].

و لم تكن المرتبات على عهد يوسف فقط بل كان الخليفة عبد المؤمن يوزع الأرزاق والمرتبات على العمال والأجناد، ويشرف على ذلك بنفسه، فقد روى ابن صاحب الصلاة أن الكاتب أبا عبد الله بن محسن كاتب ديوان التمييز ومنفذ البركات للموحدين ولسائر الناس من الأجناد والمرتزقين، دخل على أمير المؤمنين بتلخيص زمام تمييز العساكر وفيه زيادة كثيرة على ما تقدم "فقال لي رضي الله عنه: نفذ لهم البركة على ذلك، إنما غرضنا الإحسان إلى الأجناد

1 – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 209.

2 – المراكشي، المعجب، ص: 312. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 217.

وأن تظهر عليهم الخيرات والبركات"[1]؛ والبركات هنا بمعنى المرتبات وهي بهذا الاسم الجوامك عند المصريين.

كما كانت البركات عند الموحدين تقسم أربع مرات في السنة، إذ كان الموكل بذلك يعمل على تقسيمها في عيد الفطر مرة، وفي الأضحى تفرقة أخرى كذلك، وفي شهر ربيع الأول تفـــرقة، وفي رجب التفرقة الرابعة، كل ذلك تحت إشراف الخليفة ونظره، وبالإضافة إلى هذه المرتبات كانت تقدم إلى المستحقين مواساة خارج نطاق الرواتب، وهي غلة تفرق عليـــهم عند تحصيل الغـــلّات والمحاصيل، وهناك الإحسان كذلك؛ وهو مبلغ من المال، وكل من المواساة والإحسان يفرق على العمال، والأجناد، ومختلف الموظفين مرة واحدة في السنة، ولا يضبطهما قدر معين، وإنما يكون قدر ذلك حسب ما يراه السلطان، وحسب أقدار الناس ومراتبهم[2].

ويبدو أن طبقة الكتّاب ومن كان في مستواهم كانوا يتمتعون بامتيازات مالية عند الخلفاء الموحدين؛ فقد نال الناس في فترة الخليفة أبي يعقوب سعة في نمط معيشتهم وحالتهم المادية "فقد نال الناس معه في إمارته وبعد ذلك من جميع الطبقات من الكتّاب والعمال، والطلبة والقضاة والرعية، بصلاح أحوالهم، ونماء أموالهم"[3]، وهذا يدل بوضوح على قيمة المرتبات والهبات التي كان يحظى بها المقربون من موظفي الدولة وعلى رأسهم وأقربهم من الخليفة الوزير والكاتب، ولذلك كان الكتّاب يسعون دائماً وراء الحصول على تولي خطة الكتابة، وذلك نظراً لما كانت توفره هذه المهنة من الثراء المادي، والنفوذ والجاه والسلطان[4]، هذا بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية العالية، وخاصة عند أهل الأندلس، فقد ذكر المقري في النفح عند حديثه عن الكتّاب الأندلسيين وطبقاتهم، أن كاتب الإنشاء كان يحظى بمكانة اجتماعية عالية إلى درجة أنه محط أنظار كل أفراد المجتمع، إذ كان يحاسبه هؤلاء الأفراد على كل تصرفاته الصغيرة منها والجليلة، وفي ذلك يقول: "وأما الكتّاب على ضربين؛ أعلاهما كاتب الرسائل، وله حظ في

[1]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 347.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص:141.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 168.

[4]- محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 85.

القلوب والعيون عند أهل الأندلس، و أشرف أسمائه الكاتب، و بهذه الصفة يخصه من يعظمه في رسالة، وأهل الأندلس كثيرو الإنتقاد على صاحب هذه السمة، ولا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه"[1].

لقد كان منصب الكتابة مرغوباً فيه نظراً لما كان يدر على أصحابه من أموال وجاه عريض حال ملازمتهم للسلطان والكتابة عنه، فهذا الكاتب محمد بن عبد العزيز بن عياش، كاتب الخليفة الناصر، يترجم له صاحب التكملة بقوله: "... وكان عالماً بها رئيساً في صناعة الكتابة... و استكتبه السلطان بالمغرب فنال دنيا عريضة"[2]، كما كان الكاتب عبد الله بن جبل فقيهاً خطيباً مفوهاً و قد نال من خدمة السلطان دنيا عريضة؛ إذ يذكره ابن صاحب الصلاة في صنف كتّاب عبد المؤمن[3].

ولقد ترجم صاحب الذيل للكاتب الشهير أبي عبد الله محمد بن عياش، وذكر قصة له مع الكاتب أبي القاسم البلوي تدل على سعة جاهه ووفير ماله نوردها مع طولها نظرا أهميتها إذ يقول: "حدّث الشيخ أبو القاسم البلوي قال: كنت أخف إليه، و أشفع عنده في كبار المسائل فيسرع في قضائها. ولقد عرضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجة مهمة كبيرة، وجب علي السعي فيها، والتماس قضائها وفاءً لربها، ولم يكن لها إلا ما قدرته من حسن نظره فيها، ورجوته من جميع أثره في تيسير أمرها، وكان قد أصابه حينئذ التياث لزم من أجله داره، ودخلت عليه عائداً، فأطال السؤال عن حالي، وتبسط معي في الكلام، مبالغة في تأنيسي، فعجلت ذكر الحاجة ورغبت منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها، وكان مضطجعاً، فاستوى جالساً وقال لي: جـــهل الناس قـــدري؟، وكررها ثلاثاً، في مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين؟ هات الدواة والقرطاس، فناولته إياهما، فكتب برغبتي، ورفعه إلى السلطان فصرف في الحين معلماً، فاستدعاني، ودفعه إلي وقال: يا أبا القاسم، لا أرضى منك أن تحجم عني في التماس

[1] - المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 179.

[2] - ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 166.

[3] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة،ص: 156. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 304.

قضاء حاجة تعرضت لك خاصة وإن كانت لأحد من معارفك عامة، كبرت أو صغرت، فألتزم قضاءها، وعلي الوفاء، فإن لكل مكسب زكاة، وزكاة الجاه بذله"[1].

فهذا النص عيّنة على ما كان يتمتع به أغلب الكتّاب الموحدين من النفوذ والجـــاه وسعة المـــال والسلطان، وإن ما ذكره صاحب الإحاطة عن الكاتب أبي المطرف بن عميرة حول مسألة سلب أمواله إثر سفره من سبتة إلى مكناسة ليدل صراحة على ثراء هذه الشريحة بسبب خدمتها للخلفاء بالكتابة عنهم، فقد سلب منه وهو في طريقه إلى سبتة ما يعدل أربعة آلاف دينار عشرية، وفيها عين وورق وحلي[2]. كما أن سفره هذا إلى المغرب، الذي سلب فيه ماله ومتاعه لم يكن إلا طلباً للجاه والثروة من خلال البحث عن وظيفة كاتب عند الخلفاء الموحدين[3]، ولذلك نراه يندب حظه لما صرفه الخليفة الرشيد(640/630هـــ) عن ديوان الكتابة إلى القضاء، وكتب إلى صديقه أبي الحسن الرعيني[4] في ذلك، شاكياً إليه مصابه في رسالة مذيلة بقصيدة طويلة تفيض بالحزن والأسى، وقد أجابه الرعيني برسالة يواسيه عن تأخيره عن الكتابة، وذكر خلالها أن الأطماع والرغبة في الثروة هي التي أغرت ابن عميرة بالهجرة إلى المغرب، ومما قاله فيها: "ولحا الله الأطماع، فإنها تستدرج المـــرء وتستـــجره، وتستخرج حين تعرفه ما يسره، ما زالت تقتل في الذروة والذروة، وتختل في الجاه والثروة، حتى أنأت عن الأحباب والحبائب، ورمت بالغريب أقصى المغارب"[5].

كما كان حسن تدبير الكاتب و سداد مشورته للخليفة أو حسن مسامرته يدر عليه كذلك أموالاً لا يبلغها أحياناً ذوي المرتبات، فلقد تحصل الوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية على مال جزيل من قبل الخليفة عبد المؤمن، و لم يكن ذلك إلا لحسن إجازته لهذا الخليفة في شعره، ويروي لنا صاحب القرطاس هذه القصة، والتي مجملها أن الخليفة خرج يوماً يتنزه مع وزيره وكاتبه في أحد شوارع المدينة إذ نظر إلى شباك خشب في أحد البيوتات، فرأى وجه

1- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج6، ص: 384. ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص: 338.
2- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 185. محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 137.
3- ابن عبد الملك، المصدر نفسه، ج1، ص: 91.
4- ترجمته في: الإحاطة، ج4، ص: 139. الذيل والتكملة، ج8، ص ص: 12-14.
5- محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 125.

جارية فائقة الحسن والجمال قد بادرت تنظر إليه، فنظر إليها عبد المؤمن فأعجبه حسنها، وحلت في قلبه كل المحل فقال ارتجالا:

قدّت فؤادي من الشبـــاك إذ نظرت.

فقال ابن عطية: حوراء ترنو إلى العشـــاق بالمقـــل.

فقال عبد المؤمن: كأنما لحـــظها في قلـــب عاشـــقها.

فقال ابن عـــطية: سيـــف المـــؤيد عبد المؤمن بن علي.

فطرب عبد المؤمن و استحسن إجازة وزيره، فخلع عليه، و أمر إليه بمال جزيل[1].

كما نجد الكاتب محمد بن إبراهيم بن خيرة كاتب أبي حفص بن عبد المؤمن والي تلمسان نال في وظيفته جاها عريضاً و ثروة كبيرة[2]، كما نجد الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن أحد كتاب السيد أبي زيد لما كان والياً على غرناطة يقوم بإتمام بناء القنطرة التي بنيت على واد شنجيل بخارج غرناطة من صميم ماله بمبلغ قدره أربعة آلاف دينار، كما بنى مسجدا من ماله الخاص قبل ذلك، و ما ذلك إلا لثروته الوفيرة بسبب هذه الوظيفة[3].

و يصف لنا ابن عبد الملك شيخه أبا الحسن الرعيني؛ الذي كان من جلة كتّاب الموحدين، إذ كتب لأربعة من خلفائهم؛ الرشيد والسعيد والمرتضى والواثق، فغدا بذلك على حد تعبير ابن عبد الملك "أوفر أهل الحضرة مالاً، وأعظمهم جاهاً"[4]، كما يصفه أحد شيوخ ابن عبد الملك، والذي هو الكاتب الجليل أبو القاسم البلوي[5] بقوله: "... وشيخنا أبو الحسن هذا أوفر أهل الحضرة مـــالاً، وأعظمهم جاهاً... وقد انتفع به كثيراً في طريقته التي بها رأس، وبالاستعمال فيها شهر، وهي الكتابة عن السلاطين"[6]، وإن كان أبو القاسم البلوي هذا يذكر الرعيني هنا في محل استنقاص، على أنه كان أحد جيرانه الأغنياء، ولم ينتفع من غناه وجاهه.

1- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 204.

2- ترجمته في الإحاطة، ج2، ص: 223.

3- الإحاطة، ج3، ص ص: 159-161.

4- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج8، ص: 14.

5- ترجمته في الذيل، ج1، ص: 359.

6- ابن عبد الملك، نفس المصدر، ج1، ص: 455.

غير أن هذه الحفاوة والإكرام للكتّاب لم تكن سمة جميع الخلفاء، وفي كل الأزمان، إذ أن تقريب الكتّاب والشعراء والإغداق عليهم بالأموال والإجازات كان رهين الاستقرار السياسي للدولة، ولم يحظ الكتّاب بتلك الامتيازات في حالات الاضطراب؛ إذ كان الخلفاء والولاة على الأمصار في تلك الحالات يصرفون اهتمامهم للجند والعناية به، ومثال ذلك ما حدث لابن عميرة الكاتب مع زيان بن مردنيش والي بلنسية لما جفاه ولم ينل عنده حظوة نظراً لاعتنائه بالجند، وذلك أن بلنسية كانت تعيش في هذه الفترة(628هـ) وما بعدها أحداثاً واضطرابات كبير ة، فقال ابن عميرة في ذلك:

هو ما علمت من الأمير فما الذي | تزداد منه وفيه لا يرتـــــاب
لا يتقي الأجناد في أيامــــــــه | فقراً ولا يرجوا الغنى الكــتّاب[1]

كما روى ابن الأبار حسب ما يورده ابن سعيد من أن زيان احتجم صبيحة بعــض الجمــع ووهب الحجّام مالاً فدفع إليه ابن عميرة شعراً يمدحه فلم يجزه، فكتب شعراً لطيفاً في ذلك ارتجالاً يقول فيه:

أرى من جاء بالموسى مُواسى | و راحة من أراح المدح صفرا
فانجح سعي ذا إذ قص شَعــراً | وأخفق سعي ذا إذ قص شِعراً

و إن كانت هذه الإشارات تدل فعلاً عن الحالة المادية المرضية التي كان يعيشها الكتّاب في ظل الخلفاء الموحدين و ما كان يغدق عليهم به من الأموال الجزيلة، و النعم الوافرة، فإن ما تيسر لنا الإطلاع عليه مما بين أيدينا من المصادر لا تحدد بشكل مضبوط رواتب هؤلاء الكتّاب وأعطياتهم، ومدة ذلك هل كانت شهرياً أم سنوياً أم غير، ذلك؟ إلا أن المعلوم من خلال النصوص، أن طبقة الكتّاب كانت تحظى برواتب مع باقي موظفي الدولة[2]، إما شهرياً حسب ما يورده ابن عذاري[3]، أو أربع مرات في السنة على حد قول القلقشندي[4].

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص: 295. محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 95.
[2]- المراكشي، المعجب، ص: 312. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 217. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 646.
[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 65.
[4]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص: 141.

لقد كان الوزراء و الكتّاب ورجال الدولة في البلاط على اختلاف وظائفهم، والحشم وغيرهم من الشعراء و الأدباء و المقربون لهم جرايات ومرتبات يتقاضونها من خزينة الدولة، وإن ما يميز هذه المرتبات أنها كانت غير ثابتة القدر إذ كانت تزيد و تنقص، وكثيراً ما كانت تزيد في عهد الأمراء الأجواد[1].

ولقد تطرق القلقشندي في موسوعته إلى بعض النظم الإدارية عند الموحدين، الذين يعني بهم الدولة الحفصية التي يعتبرها امتدادا للدولة الموحدية في المغرب، وذلك أن أبا حفص جدّ الحفصيين كان أحد العشرة أصحاب ابن تومرت "إذ كان من تقرير ابن تومرت أن الموحدين هم أصحابه، و لم يبق ملك الموحدين إلا في بني حفص هذا"[2]، فجعل بذلك رواتب الأشياخ أربعون ديناراً مسماه، تفرق عليهم أربع مرات في السنة، و السلطان يأخذ معهم بسهم كواحد منهم على السواء، هذا بالإضافة إلى ما لهم من أراض يزرعونها، وهي بمثابة الإقطاعات في مصر، والأشياخ الصغار لكل واحد منهم حرث خمسة أزواج من البقر على النصف من الأشياخ الكبار؛ إذ لهم حرث عشرة أزواج بقر، هذا من الإقطاعات مضاف إليه الرواتب والبركات في كل سنة أربع مرات حسب ما تقدم[3].

و يذكر العمري مرتب قاضي الجماعة عند الحفصيين أنه كان يحصل على مرتب خمسة عشر ديناراً في كل شهر، وكان له معها عليق لبغلته[4]، وقد كان كثير من الكتّاب الموحدين يعين إما من القضاء إلى الكتابة، أو يعزل عن الكتابة ويولى منصب القضاء، فربما يكون هناك تساو، أو على الأقل تقارب في هذه المرتبات بين الكاتب والقاضي أو الأشياخ؛ إذ كان الكاتب في بداية الموحدين يحظى بمنصب الوزارة مع الكتابة.

أما اللباس، فقد كان الكتّاب لا يتميزون بلباس خاص عن باقي موظفي الدولة، بل كانوا على زيّ واحد، يلبسون الجباب، و على رؤوسهم العمائم، ولا يمتازون عن العـامة إلا

1- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص: 249.

2- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص : 134.

3- نفسه، ج5، ص: 140، 141.

4- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله، وصف إفريقية والمغرب والأندلس، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، دط، دت، ص: 20.

بصغر العمـــائم و ضيق القماش، وكان اللباس عندهم يصنع من الصوف الخالص، وكان هذا القماش يعرف بالتلمساني نسبة إلى مكان صنعه تلمسان، إلا أن أكابر المشايخ والأمراء كان لباسهم من قماش يسمى بالسفساري يعمل من حرير وقطن، أو حرير وصوف رفيع جداً[1].

[1]- القلقشندي، ج5، ص: 142، 143.

الفصل الثاني:

الكتابات الرسمية عند الموحدين ونماذج من كتّابهم

* الرسائل الديوانية وأهميتها

أ- شكل الرسائل الديوانية

ب- مضمون الرسائل الديوانية

* الظهائر الموحدية

* توقيعات الخلفاء الموحدون

* نماذج من كتّاب الموحدين

والولايات، والمسامحات، والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات، والهدن، والأمانات، والأيمان، وما في معنى ذلك؛ ككتابة الحكم وغيرها "[1].

فالرسائل الرسمية حسب ما نفهمه من تعريف القلقشندي، أنها وثيقة إدارية ذات كلام مؤلف ومضبوط، بمعاني مرتبة لأنواع القرارات الإدارية والأوامر السلطانية إلى مختلف موظفي الدولة ومن لهم علاقة بها كالدول المجاورة.

وهناك من عرف الرسائل الرسمية بأنها ما كانت موضوعاتها تدور حول السلطة وعلاقاتها برعاياها في الأمور الدينية والدنيوية،[2] أو هي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه بل والى أعدائه أحيانا منذرا ومتوعدا[3].

ثانيا: أهمية الرسائل الديوانية.

تعتبر الرسائل بصفة عامة، والديوانية منها بصفة خاصة، من أهم المصادر المساعدة على البحث في مجال التاريخ والحضارة، وذلك أن المصادر الأساسية التي يعتمد عليها الباحث في مجال التاريخ والتي تسمى بالحوليات أغلبها يدور حول مواضيع التاريخ العام والسياسي، حيث أصبحت هذه المصادر لوحدها — رغم أهميتها التاريخية — غير كافية لاستيفاء البحث في مختلف مجالاته ومن كل جوانبه من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وغيرها من الجوانب الحضارية، وذلك إما نظرا لضياع جزء غير يسير من هذه الحوليات والمصادر الخاصة في حقب مختلفة من تاريخ الحضارة الإسلامية بعامة، وحضارة المغرب الإسلامي بصفة خاصة، أو أن ما هو متوفر منها قد لا يفي بالجوانب الخارجة عن نطاق التاريخ السياسي للدول من النظم الإدارية والمنشآت الحضارية، فكانت الرسائل من خلال تنوع موضوعاتها الإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، من بين أهم المصادر المساعدة على تغطية -ولو بصفة نسبية- تلك الجوانب التي تفتقر إليها الحوليات إضافة إلى كتب النوازل والفتاوى والوثائق وكتب البرامج ومختلف مؤلفات التراجم والرحلات.

فالرسائل الرسمية " مبنية على مصالح الأمة وقوام الرعية، لما تشتمل عليه من مكاتبات الملوك ورعاية الناس في مهمات الدين، وصلاح الحال، وبياعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر

---

[1] - القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص: 45.

[2] - الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص: 84.

[3] - عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 449.

عنهم من عهود الملوك، وما يلحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم أركان الدولة وقوادها، إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء ولا يأخذها الحصر"[1].

ونظرا لاحتواء الرسائل الديوانية على كل هذه الموضوعات، جديرة بأن لا يستغني عنها الباحث في مجال الحضارة بصفة عامة، ولذلك ذهب العسكري في كتابه الصناعتين إلى اعتبارها أهم شئ تنبني عليه التنظيمات الإدارية وأن هذه الرسائل عليها مدار السلطان والملك[2].

لقد حظيت الرسائل الديوانية عند الموحدين بعناية كبيرة وأهمية بالغة؛ كونها الوسيلة الأولية والأساسية -إن لم نقل الوحيدة- في الإعلام، هذا الأخير الذي أعطته الدولة أولوية واعتنت بوسائله ومستلزماته وإدارته، هذه العناية التي فرضتها تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف برقعتها الشاسعة، فكثر بذلك خراجها، وتعددت ولايتها وتشعبت علاقاتها الخارجية، ففرضت هذه الأوضاع على الخلفاء الموحدين كثرة الحركات العسكرية وتعددت الفتوح والمعارك، الأمر الذي يترجم لنا تعدد الكتاب في إدارتها على اختلاف اختصاصاتهم ومراتبهم[3]، وأصبحت الرسائل الوسيلة الدعائية الأساسية في الدولة، كما يترجمه كذلك ذلك الكم الهائل من الرسائل التي جمعت في أكثر من مجموع، ومن تلك المجاميع "مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية"[4] ، ومجموع رسائل الكاتب الشهير أبي المطرف بن عميرة الذي اعتنى به الأستاذ محمد بن شريفة، واعتمد عليه في دراسته حول مؤلف هذه الرسائل[5]، وهناك مجموع آخر للكاتب الموحدي الشهير أبي القاسم أحمد البلوي الموسوم بعنوان "العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل" وهو يحتوي على أكثر من 24 رسالة، منها ما هو من إنشائه ومنها ما هو من إنشاء غيره من كتاب الموحدين[6]، كما توجد مجموعة رسائل يسمى كاتبها بيحيى

– القلقشندى، المصدر السابق، ج1، ص: 60.

– أبي هلال العسكري، الحسن بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، قاهرة، ط1، دت، ص136.

– أنظر الملحق المتعلق بقائمة الكتاب.

– وهو عبارة عن مخطوط يحوي سبعا وثلاثين رسالة صادرة عن الخلفاء الموحدين اعتنى بنشره وتحقيقه المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ة 1941م

– هو البحث الصادر تحت عنوان: " أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره" سنة 1966م.

– أحمد العزاوي، مجموعة رسائل موحدية جديدة، ج1، ص14 .

الخدّوج، وهو عبارة عن مخطوط لم ينشر بعد[1]، ومجموع رسائل أبي القاسم القـالمي، وهـو منشور كذلك، وغير ذلك من المجاميع التي لم تنشر بعد.

إن هذا الجمع الهائل من الرسائل الرسمية الموحدية، يدل دلالة واضحة على مكانة الكتابة والتّرسل عند الخلفاء الموحدين، كما يوحي بما لهذه الرسائل من أهمية ودورٍ في مجال الإعلام والاتصال داخل الدولة وخارجها.

ويدل على ما علقه الخلفاء من أهمية للرسائل عند الخلفاء ما قام به الخليفة الناصر الموحدي لما هزم في معركة العقاب من إرساله رسائل إلى الأشياخ والأعيان والكافة يخفف بها عنهم هول تلك الهزيمة[2]، ونظرا للأهمية التاريخية للرسائل الموحدية نجد أحد أبرز كتاب ومؤرخي الدولة الموحدية ألا وهو ابن القطان يستند على هذه الرسائل في كتابة تاريخه وينقل بعضها في كتابه نظم الجمان؛ إذ كان كاتبا في ديوان الإنشاء على عهد الخليفة المرتضى[3]، بالإضافة إلى ما تحويه تلك الرسائل من وقائع يتبين من خلالها بعض جوانب الحياة المختلفة للمجتمع في تلك الفترة، كما يمكن من خلالها تصور مستوى الحياة الأدبية والفكرية لهذا المجتمع بصفة عامة والكتاب بصفة خاصة من خلال الاطلاع على لغة كتابة هذه الرسائل وما تحويه من مصطلحات مختلفة.

[1] – له نسخة وحيدة في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 4752

[2] – عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص:164، 165.

[3] – ابن القطان، نظم الجمان، ص:47.

شكل ومضمون الرسائل الموحدية:

تعددت مضامين الرسائل الرسمية الموحدية وتنوعت أغراضها حسب رتبة وحال المرسلة إليه، كما درج كتابها على نمط معين في كتابتها، فما هو مضمون الرسائل الرسمية الموحدية؟ وما الشكل الذي درج عليه الكتاب في كتابتهم؟.

أولا: الرسائل الرسمية من ناحية الشكل:

*الهيكل العام للرسالة:

على الرغم من تعدد أغراض الرسائل الرسمية الموحدية وتنوع موضوعاتها فإنها كانت تلتزم في هيكلها العام بشكل موحد، التزم به الكتاب في أغلب رسائلهم، ويتمثل هذا الهيكل العام في النقاط التالية:

- البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، وغالبا ما تكون في رأس الرسالة منفصلة عن المضمون.
- ذكر المرسل ثم المرسل إليه، والدعاء لكل منهما بما يليق بمقامه وحاله .
- ثم ذكر التحية بعد ذلك والحمدلة .
- ثم بعد ذكر هذه النقاط يذكر الكاتب البعدية وهي إشارة إلى الانتقال إلى بداية الموضوع.
- تناول الموضوع الذي يريد الكاتب تناوله، وتضمينه الدعاء في كل مقام يستدعي ذلك.
- ثم بعد الانتهاء من الموضوع والخروج منه ببراعة أدبية يذكر الكاتب مكان الكتابة والدعاء لهذا المكان بالحفظ والحماية.
- أما تاريخ كتابة الرسالة فلا يرد بصفة دائمة في الرسائل وإنما يذكر فيها أحيانا.
- وبعد الانتهاء من كل الرسالة يضع عليها الخليفة علامته بيده في ببدايتها وهي صفة لكل الرسائل الموحدية.

ويورد لنا القلقشندى، استنادا على ما توفر لديه من رسائل الموحدين أساليب المراسلات فيقسمها إلى ضربين؛ رسائل صادرة عن الخلفاء والأخرى واردة إليهم، فأما **الضرب الأول** والذي هو الرسائل الصادر عن الموحدين فيقسمها، إلى قسمين أحدهما أن تكون المكاتبة مفتتحة بلفظ "من فلان إلى فلان" ويكون بذلك النص من أمير المؤمنين فيذكر اسمه ثم يدعوا له

مما يليق، إلى فلان ويذكر اسمه ويدعوا له حسب مقامه[1]، ومثال ذلك الرسالة التي أنشأها الكاتب أبو الفضل ابن محشرة عن الأمير المنصور الموحدي بدايتها: من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته، ورسالة عبد المؤمن بن على إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد بدايتها "من أمير المؤمنين أيده الله ونصره وأمده بمعونته، إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد وفقه الله ويسره لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركته"[2].

ثم يؤتى بالسلام ثم البعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية على الصحابة، ثم عن إمامهم المهدي ثم يؤتى بالمقصود ويختم بالسلام، والخطاب في هذه الرسائل يكون بنون الجمع عن الخليفة، وميم الجمع عن المكتوب إليه، مثال ذلك قول الكاتب في الرسالة المذكورة: "...رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذا بأمر الله ... فأجيبوا رفعكم الله "[3].

والأسلوب الثاني: أن تبتدأ المكاتبة بالبعدية مباشرة ثم التحميد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية عن الصحابة، ثم عن الإمام المهدي، ثم يؤتى بالمضمون والمقصود ثم تختم الرسالة[4]، هذا بالنسبة للرسائل الصادرة عن الخلفاء الموحدين، أما بالنسبة لأساليب المكاتبات الواردة إلى ديوان الإنشاء الموحدي فهي على أنواع:

أ. **أن تفتح المكاتبة بالدعاء**، وهي على نوعين:

1. أن تكون الرسالة من ملك إلى الخليفة الموحدي، فيكون الافتتاح فيها بالدعاء المناسب للحال، ويعبر فيها المكتوب عنه عن نفسه بنون الجمع، ويخاطب المكتوب إليه بلفظ أمير المؤمنين، ومثال ذلك الرسالة التي بعث بها السلطان صلاح الدين الأيوبي من إنشاء الكاتب القاضي الفاضل، إلى الخليفة المنصور الموحدي يستجيشه فيها على الروم الفرنج القاصدين بلاد الشام والديار المصرية يقول في بدايتها: "فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين أبواب الميامين"، وعبر فيها المكتوب عنه بقوله: " كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورود الديار المصرية" وذلك بالتعبير عن نفسه بنون الجمع[5].

---

[1] - القلقشندى، المصدر السابق، ج6، ص:443.

[2] - نفس المصدر، نفس الصفحة، بروفنسال، المرجع السابق، رسالة رقم: 29.

[3] - القلقشندي، المصدر نفسه، ج6، ص: 444.

[4] - نفسه، ص: 446.

[5] - نفس المصدر، ص: 527 وما بعدها. أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص: 182.

2. أن تكون الرسالة من أحد الأشياخ إلى الخليفة وصيغتها أن تفتح المكاتبة بالدعاء بطول البقاء، ويعبر المكتوبة عنه عن نفسه بلفظ الإفراد، وعن الخليفة بأمير المؤمنين، ومثال ذلك ما كتبه ابن عميرة المخزومي من جواب أهل سلا عن كتاب الخليفة حول موضوع بيعة أهل تلمسان يقول في بدايته: "الحضرة الإمامية العلية المقدسة الطاهرة المباركة، السنية السعيدة المنصورة المؤيدة، الرشيدية أيد الله أمرها وأعز نصرها وأوزع الأمة المحمدية حمدها وشكرها"[1].

ب. **أن تفتح المكاتبة بألقاب الخليفة نفسه،** ثم يؤتى بالصدر، معبرا عن المكتوب عنه بالعبد ومخاطبة الخليفة بميم الجمع للتعظيم، ثم يختم الكتاب بالسلام، وفي هذا النوع يوصف الخليفة بوصفيين؛ إما بوصف المقام، ومن ذلك ما كتب إلى الناصر في إحدى الرسائل : "المقام الأعلى المقدس المكرم"[2]، أو يعبر عن الخليفة بلفظ الحضرة ومن ذلك ما كتب به أبو المطرف بن عميرة عن صاحب أراغون من الأندلس إلى الخليفة المستنصر الموحدي يستأذنه في وفادة صاحب أراغون من الأندلس على أبواب الخلافة مغاضبا لأهل مملكته يقول في بدايتها: "الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام، المخصوصة من العدل والإحسان"[3].

هذا فيما يخص الافتتاح، أما فيما يخص أغراض الرسالة وخواتمها؛ فالانتقال إلى الموضوع يكون غالبا بلفظ كتب وكتبنا، أما ورود لفظ "وإلى هذا" فيدل دلالة قاطعة على الدخول وبصفة رسمية في صميم الموضوع الذي يتناول فيه الكاتب الغرض من الرسالة، ويذكر الحوادث والأخبار بالتفصيل مع التعليق عليها اعتبارا ونصحا، ونظرا لهذا التفصيل تكون الرسائل الموحدية عادة طويلة. أما الختام فيكون غالبا بلفظ السلام مسبوقا بالدعاء كما يسبق الدعاء التحية والسلام في بداية الرسالة، إلا الرسائل الموجهة إلى من ينتمي إلى غير ملة الإسلام كنصارى الأندلس وغيرهم فكانت لا تبتدئ بتحية الإسلام ولا تنتهي بها، بل يكتفي فيها بذكر تاريخ الرسالة، كما يبدوا أثر العقيدة بارزا في الرسائل الموحدية من خلال إظهار شعائر الخلافة بذكر أمير المؤمنين، الإمامة، المهدوية، والترضّي على المهدي وخلفائه "الراشدين"[4].

---

1 – القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص: 530. أدب الرسائل في المغرب، ص: 383.

2 – القلقشندي ، المصدر نفسه، ج6، ص: 532.

3 – نفسه، ص:534.

4 – حسن جلاب، أثر العقيدة في الأدب، ص: 136-137. أدب الرسائل في المغرب، ص:392.

*علامة الرسائل الموحدية:

لقد كان من الضروري في سنن الملوك اتخاذ علامات معينة لرسائلهم وكتبهم من أجل إعطائها الصبغة الرسمية، غير أن الخلاف يكمن بين هذه الممالك في لفظ العلامة ومن يتولى رسمها على الوثائق الإدارية، والموحدون كغيرهم اتخذوا علامة لرسائلهم وكتبهم لنفس الغاية، فما هي الرسائل الرسمية؟ وما هي مراسيم وضعها عند الموحدين؟.

1. تعريف العلامة:

العلامة في اللغة: هي إشارة خاصة تدل على الشئ وتعيّنه، وهي السمة، وجمعها علام، وعلى هذا الأساس تم استخدامها ووضعها على المكاتبات الرسمية؛ لتدل على أنها من الخليفة، أو من الأمير أو القائد[1].

أما العلامة من الناحية الاصطلاحية: فهي شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود، ولتوضيحها وإبرازها في الرسالة "كانت تكتب بقلم غليظ القطة"،[2] أي غليظ القطع من الرأس ليكتب الخط بحجم كبير؛ وهي طريقة مشهورة عند الخطاطين.

وهذه العلامة والتي نعني بها العلامة السلطانية، هي بمثابة الخاتم أو الطابع أو الشعار الخاص اليوم بالممالك والجمهوريات والإدارات الرسمية في أيامنا هذه، إلا أنها كانت فيما سبق "تكتب بخط اليد؛ إما من طرف الخليفة ونفسه أو من طرف كاتب خاص يتولى كتابتها يسمى في مصطلح كتابة الإنشاء "بكاتب العلامة"[3].

2. موضع العلامة من الرسالة:

أما عن موضع العلامة من الرسالة فهو يختلف من مملكة إلى أخرى، وبالنسبة للخلفاء الموحدين فإنهم كانوا يضعونها في أول الرسائل والصكوك والظهائر بعد البسملة، وقد أشار

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص: 419.

[2] - ابن الأحمر، أبي الوليد، مستودع العلامة ومستبدِع العلّامة، تحقيق: محمد التركي التونسي، محمد بن تاويت التطواني، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، دط، 1384هـ/1964م، ص: 20.

[3] - ابن الأحمر، نفس المصدر، ص: 21 وما بعدها.

صاحب الفارسية إلى ذلك في قوله : "ولم يتسمّ في أول أمره –أي يوسف ابن عبد المؤمن- بأمير المؤمنين، ولا خطب له بذلك ولا كتب في صدور كتبه العلامة لامتناع الشيخ المجاهد المقدس أبي حفص عن مبايعته حتى يختبر أمره"[1]. ففي قوله ولا كتب في صدور كتبه العلامة دليل على أنها كانت توضع في بداية الرسائل.

وهناك رسالة بعث بها يوسف بن عبد المؤمن من جنوب المغرب بتاريخ 03 رمضان 561هـ/1165م تتضمن التحذير من المخالفات وتدعوا إلى العدل والمساواة وتحمل في طياتها العديد من الأوامر تلقب هذه الرسالة بالرسالة المشهورة، وقد كتب فيها العلامة بخط يده وبصفة بارزة بعد البسملة.[2]

ونظرا لأهمية العلامة واختصاصها بالخليفة وحده، لم يكن لأحد صلاحيات وضعها على الرسائل الرسمية ويتجلى ذلك في قول ابن عذراي في معرض حديثه عن تولية أبي عبد الله ابن وانودين بلاد المغرب من طرف الخليفة الرشيد قوله:"... وفوض له الرشيد النظر في أحوال تلك البلاد... وفي إصلاح حالهم وأمرهم وأعطاهم طبولا وعلامات، وكتب له بخط يده في جملة أوراق بعد البسملة علامات لينفذ بها الأوامر ويكتب لمن شاء الظهائر"[3]، وفي النص دلالة على أن العلامة كانت تكتب في بداية الرسالة وبالضبط بعد البسملة، كما أنها كانت من اختصاص الخليفة لوحده حتى في حالة تفويض بعض الولاة على الأمصار فلم يكن لهم الاستبداد بالأمور وإنفاذ الأوامر بعلامات خاصة بهم، وهذا يعارض ما ذهب إليه الأستاذ العزاوي صاحب مجموعة الرسائل الجديدة من افتراض أن يكون لبعض الولاة علامات خاصة بهم من أجل إعطاء رسائلهم صبغة رسمية بهذا النص الذي يورده صاحب البيان، إضافة إلى التضارب بين ما افترضه من جعل علامة رسائل السيد أبي زيد هي "وبالله التوفيق" في أحد رسائله، ثم اتخذ في رسالة أخرى ما كتب في آخرها وهي لفظة "وكتب في مستهل شهر رمضان المعظم سنة 597هـ" كعلامة لرسائله على وجه الافتراض كذلك بحجة أنه كتب بخط غليظ، وهذا ظاهر أنه تأريخ للرسالة، وأن الأول هو مجرد دعاء[4].

---

[1] – ابن قنفد، أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي، الـــدار التونسية للنشر، دط، 1968، ص:102.

[2] – ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 225. أنظر الملحق الخاص بعلامة الرسائل.

[3] – ابن عذراي، البيان المغرب، قسم الموحدين ص:353.

[4] – عن اللفظ الأول، انظر العزاوي، رسالة رقم: 36، وعن اللفظ الثاني أنظر رسالة رقم: 52.

3. عبارة علامة الرسالة:

ولفظ علامة الرسائل الموحدية هو "الحمد لله وحده"، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ثم نظر الموحدون في موضع العلامات المكتوبات بخط الخليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها بخط الإمام في أحد مخاطباته فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم"[1].

وبهذا اللفظ أنشدت الشاعرة حفصة الركونية[2] الخليفة عبد المؤمن بن علي في قولها:

ياسيِّد الناس يا من   يأمل الناس رفده
أمنن عليّ بطرس   يكونُ للدهر عدّه
تخط يمناك فيـــه   **الحمد لله وحده.**[3]

وكان ذلك سنة 553هـ لما احتل عبد المؤمن بسلا قاصدا الأندلس للغزو.

كما نجد الشاعر أبا عبد الله بن مرج الكحل لّما تذاكر مع مجموعة من الشعراء فتح المنصور للمهدية أنشد قائلا:

ولمـــا توالى الفتح من كل وجــــهة   ولم تبلــغ الأوهام في الوصف حده
تــركن أميــر المؤمنين لشكـــره   بما أودع الســر الإلهي عنــــده
فلا نعمـــة إلا تؤدى حقوقهــــا   علامتــــه **بالحمــد لله وحــده**[4].

و يذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن لما عاد من وقعة كانت على المخالفين بالمغرب أمر أن يبتدئ الشعراء، فيها بلفظ **الحمد لله وحده** على طريقة الكتابة، فانشد في ذلك الشاعر أبو عمر ابن حربون قائلا:

الحمد لله مدني شاسع الأمل   وناظم الشمل في سلك من الجذل[5]

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 239. وانظر الناصري، الاستقصاء، ج2، ص: 148.

[2] – ترجمتها في التكملة، ج4، ص: 260.

[3] – المقري، النفح، ج5، ص:104. الميلي، مبارك بن محمد، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989، ج2، ص: 309. سعد بوفلاقة، الشعر النسْوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995،ص:175.

[4] – المقري، المصر السابق، ج5، ص104.

[5] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص:280.

ففي هذا النص دلالة على أن موضع العلامة من الرسالة هو بدايتها، وذلك لأن الخليفة يوسف أمر الشعراء أن يبدؤوا في أشعاره بها على طريقة كتابة الرسائل .

4. كاتب العلامة:

كان يتولى كتابة العلامة على الرسائل الرسمية الخليفة بيده، ولا ينفذ الكتاب إلى المكان الذي كتب لأجله إلا بعد وضع هذه العلامة، وفي ذلك يقول صاحب مستودع العلامة : " ... فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر، و لم يتخذ لها كاتبا، كملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي، فإنهم كانوا يكتبون العلامة بأيديهم، و لم يكتبها لهم سواهم، وذلك من أولهم أمير المؤمنين عبد المؤمن إلى آخرهم أبي دبوس"[1]. ففي قوله دلالة على أن العلامة كانت من اختصاص الخليفة، وأنها كانت تكتب في الرسائل على الأقل منذ عهد الخليفة عبد المؤمن إن لم يكن ذلك منذ عهد المهدي، وذلك ما نلمسه في الرسالة التي كتبها عبد المؤمن من ظاهر قسنطينة إلى ولده يوسف بإشبيلية سنة (555هـ)[2]، وبقيت هذه العلامة نفسها عند الخليفة يوسف، ثم ابنه يعقوب المنصور[3]، وعند الناصر كذلك[4]، وابنه المستنصر[5]، وهذا يدل على خطأ الأستاذ من جعله سنة (561هـ) هي بداية اتخاذ العلامة من طرف الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[6]، وإنما يمكن أن يكون ذلك اتخاذها بصفة رسمية إدارية كعلامة للرسائل، أما كون وجودها قبل هذا التاريخ فهي ثابتة في رسائل عبد المؤمن ورسائل ابن تومرت قبله كما ذكرنا، أو أن هذا التاريخ هو بداية كتابة العلامة بخط يد الخليفة نفسه، وذلك ما يشير إليه صاحب البيان بقوله في أحداث سنة(562هـ) :"... ثم وقع الاتفاق أن يكتب أمير المؤمنين العلامة **بيده** التي هي **الحمد لله وحده**"[7]. كما يظهر جليا خطأ صاحب روض القرطاس في ذكره أن أول من اتخذ العلامة هو الخليفة المنصور في قوله:" ... وكان –أي يعقوب المنصور– ذا رأي

[1] - ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص:20-21.

[2] - العزاوي، رسالة رقم: 19.

[3] - نفسه، رسالة رقم: 35.

[4] - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص:231.

[5] - العزاوي، ظهير رقم: 105.

[6] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص:20، 21.

[7] - ابن عذارى، البيان المغرب، ص: 94.

وعزم ودين وسياسة، وهو أول من كتب العلامة بيده من الموحدين -**الحمد لله وحده**- فجرى عمله على ذلك"[1].

إلا أنه بدأ يكتب العلامة في أواخر الدولة الغالبون على الخلفاء من الوزراء وغيرهم، وذلك ما نستشفه من قول ابن عذاري في حديثه عن يحيى الموحدي قائلا: "وكان المتولي على باطن يحيى والحاجب له، والناظر عليه، والكافل لأموره، والضابط لنفقاته،...فتى اسمه بلال يكنى أبا حمامة، وكان شيخا متطلبا قرأ في زمن شبيبته، وكان متوقد الخاطر، متنمسا، وعليه كانت تدور أحوال يحيى، إلى أن صار يكتب بخط مشرقي **العلامة** في ظهائره التي هي **الحمد لله وحده**، وأما غيره قبل هذه المدة فلا يرتاب في أنه كان يكتب العلامة عوضا منه، حتى لقد قيل عن امرأة أنها كانت تكتبها"[2].

*طي الرسالة وختمها:

لم تزودنا المصادر التاريخية الخاصة بدولة الموحدين وحضارتهم عن الطريقة التي كانت تعتمدها الإدارة الموحدية في طي الرسالة وطريقة ختمها، إلا أن القلقشندي يورد لنا إشارات عامة عن هذه العملية في بلاد المغرب بصفة إجمالية.

1- طي الرسالة:

الطي في اللغة خلاف النشر، يقال طوى الكتاب يطويه طيا، والطي؛ الهيئة التي يطوى عليها الكتاب[3]، وفي معنى ذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.[4] وطريقته أن يلف الكتاب بعضه على بعض لفا خاصا، والترتيب في هذه العملية أن يكون المكتوب إلى داخل الكتاب، لأن المقصود من الطي هو صون المكتوب فيه.[5]

وهناك طريقتان في طي الرسائل السلطانية؛ **أولاهما** أن يكون لفه مدورا كأنبوبة الرمح وهي طريقة كتاب المشرق، **والطريقة الثانية**؛ أن يكون طيه مبسوطا في قدر عرض أربعة أصابع

---

[1] - ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص: 217.
[2] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 329.
[3] - ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص:20.
[4] - سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم 104.
[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص:353.

مطبوقة، وعلى هذا كان الحال جاريا في الدولة الأيوبية بالديار المصرية، إذ كان طي الكتب السلطانية عندهم يكون عرض أربعة أصابع، وكذلك من العلية إلى من دونها، أما الكتاب من الأدنى إلى الأعلى فلا يتجاوز به عرض إصبعين، وهذا ظاهر في أن الطي يكون عريض لا مدور، وعلى هذه الطريقة كان **أهل المغرب**.[1]

2- ختم الرسالة:

الختم في اللغة مصدر ختم، يقال ختم الكتاب يختمه ختما، ومعناه الطبع، ومنه قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾[2]، أي يطبع على قلوبهم، وهو حفظ ما في الكتب بتعليم الطينة، و**الخاتم** ما يوضع على الطينة، وهو اسم مثل العالم، و**الختام** الطين الذي يختم به على الكتاب[3].

أما في الاصطلاح الدواويني: فهو شد رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم حتى لا يطلع أحد على ما في باطنه،حتى يفضه المكتوب إليه، وفي ذلك قال عمر رضي الله عنه:"طينة خير من ظنه"؛ يعني أن ختم الكتاب بطينة خير من ظنة تقع في الكتاب بالنظر فيه أو زيادة أو نقص، وذكر ابن خلدون في معرض حديثه عن مراحل تعامل الكاتب مع الرسالة الديوانية قوله:"... ويختم عليها بخاتم السلطان، وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو إشارته، يغمس في طين أحمر مذاب بالماء، ويسمى طين الختم، ويطبع به على طرفي السجل عند طيه وإلصاقه"،[4] وأول من اتخذ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له إن العجم لا تقبل كتاب بدون ختم، وأمر أن يكتب عليه محمد رسول الله.[5]

وطريقة ختم الرسائل تختلف من مصر إلى آخر وتتغير من زمن إلى زمن، ولقد ذكر القلقشندي ثلاثة طرق لختم الرسائل الديوانية، وتتلخص طريقة أهل المغرب في عملية ختم الرسائل في أن الكتابة يخزم من وسطه بالأشفار حتى تنفذ في بعض طيات الكتاب ثم تخرج من وجه الورق أيضا، ويدخل فيه دسرة –وهو المسمار أو الخيط من الليف– ويقطع طرف

---

[1] - القلقشندي، نفس المصدر، ص: 352. ابن شيث القرشي، معالم الكتابة، ص:70.

[2] - سورة البقرة، الآية: 7.

[3] - ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص: 163.

[4] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:259.

[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص: 353.

الدسرة، ثم يلصق على ذلك بشمع أحمر، ثم يختم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه، ويسمى هذا النوع من الختم بالخزم، وهو مأخوذ من خزم البعير؛ وهو أن يثقب أنفه ويجعل فيه خيط أو نحوه. وعلى هذه الطريقة في ختم الكتاب **أهل المغرب** ومن حاذاهم[1].

ولقد ذكر ابن عذاري في البيان أنه كان للمنصوري الموحدي خاتم خاص برسائله الرسمية منقوش عليه: "أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين"[2].

*البنية اللغوية للرسائل الموحدية:

إن الأدب المغربي في فترة الموحدين بصفة عامة، وأدب الرسائل الرسمية بصفة خاصة يمتاز بالإجادة والتفنن والإبداع، والفضل في هذه النهضة يعود للخلفاء الذين شجعوا هذه الحركة، كما أن الأدب الموحدي في هذه الفترة قد وجد على أعقاب العصر العباسي وجوار الأدب الأندلسي، وعلى أنقاض الأدب المرابطي، ولذلك كان لا مناص من تأثره بهذه الروافد والمؤثرات الأدبية المشرقية والمغربية الأندلسية، إذ اقتبس منها وتأثر بها في حدود ما تسمح به الشخصية الأدبية والعلمية الموحدية من التقيُّد بمبادئ الدولة الدينية والولاء لعقيدتها[3].

لقد لعبت الكتابة الديوانية أو النثر الديواني بالأندلس- والذي يعتبر العامل الأول في التأثير على أساليب الرسائل وبنيتها اللغوية؛ وذلك لأن أغلب كتاب الموحدين كانوا أندلسيين يتشربوا بالثقافة والأدب الأندلسيين- دورا عظيما، واحتلت مكانة عالية، وتميز أسلوبها "بتأنق لفظها، وسمو بيانها، وقوة أسلوبها، وحسن جرسها"[4]، وزاحمت-أي الكتابة الديوانية- الشعر في كل ميدان من ميادينه، وتفنن الكاتبون فيها حتى كادت تكون شعرا منثورا، وأعطى لها الشعراء من الاحتفال والعناية، والرعاية والاهتمام، ما أعطوا للشعر، وقل ما كان كتب غير شاعر ، وشاعر غير كاتب، وأحيانا كان الكتاب يصلون في نثرهم إلى درجة لا تفرق فيها بينها وبين الشعر إلا في الوزن وقواعد العروض، فامتاز الإنشاء بالعبارات المرصوفة، والألفاظ المترادفة، والتلميحات التاريخية والبيانية الكثيرة، وصور شتى من المسجوع، والمورى،

---

[1] - القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص: 357.

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 170.

[3] - محمد المنوني، المرجع السابق، ص: 95، 97.

[4] - إبراهيم أبو الخشب، المرجع السابق، ص:119.

والمتجانس.[1] ومثل ذلك الترادف ما نجده في أحد الرسائل من وصف الخلافة بأكثر من عشرين لفظة مترادفة إذ يقول كاتبها: "الحضرة الكريمة، العلية، الإمامية، المباركة، المؤمنية، الهادية، المهدية، السامية، السَّنية، السُنِّية، المعظمة، المكرمة، المرفعة، الممجدة، المنصورة، المؤيدة، ..."[2].

فلقد اتبع الكتاب في صياغة الرسائل الأساليب الشعرية المتمثلة خصوصا في الأسجاع الكثيرة، والمحسنات اللفظية والمعنوية الأخرى، كالجناس، والطباق، والمقابلة، والتورية، وغيرها من الصفات، وبصفة عامة، فإن الكتاب قد استغلـوا علم البلاغة ذلك الاستغلال الواسع في أساليـبهم، ولاسيما فرع البديع منه ؛ لأن الاتجاه الشكلي كان قد تغلب ومنذ زمن بعيد على الاتجاه المعنوي، ولولا هذا التغلب، لما كثرت تلك الأسجاع وتلك المحسنات المذكورة، إلى الدرجة التي أصبحت تقصد فيها لذاتها.[3]

هذا الأمر الذي جعل ابن خلدون ينكر على أهل صناعة الكتابة هذه الأساليب كونها تنافي الغرض من الرسائل الرسمية، وفي ذلك يقول: " وهذا الفن المنثور المقفى، أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر، فوجب أن تتره المخاطبات الرسمية عنه؛ إذ إن أساليب الشعر تباح فيها اللوذعية، وخلط الجد بالهزل، والإطناب في الأوصاف وضرب الأمثال، وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو لذلك ضرورة في الخطاب... وخطاب الجمهور عند الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويباينه"[4].

إن هذه المواصفات التي تميز بها النثر الديواني الأندلسي والمغربي تكاد تنطبق على أساليب الرسائل الديوانية الموحدية، إذ نجدها قد امتازت في هذا العصر على العموم في ميلها إلى الإسهاب والتطويل على خلاف ما كانت عليه صفة الرسائل المرابطية من القصر، وسلاسة الأسلوب واعتداله، كما نجدها – أي الرسائل الموحدية- حافلة بضروب المحسنات البديعية، وفقر السجع فيها طويلة إلى درجة أن كان بعض الكتاب في هذا العصر من يلتزم السجع على حرف واحد في جميع أو جلها، كما نراه في كثير من رسائل الكاتب ابن عميرة المخزومي

[1] – ابرهيم أبو الخشب، المرجع السابق، ص: 121. بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار الجيل، بيروت، لبنـان، دط، 1988م، ج3، ص:186.

[2] – الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، ص: 178.

[3] – نفس المرجع، ص: 394، محمود علي مكي، وثائق مرابطية جديدة، ص: 14، 15.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 657.

وظهائره وبيعاته[1]، ومن ذلك قوله في إحدى البيعات: "...حتى تحيف حقها الباطل، وغالت بالمغرب الغوائل، وعميت عن سناها النواظر، وعطلت عن ذكرها المنابر، وهي الشمس نورا وأنكرت، وهي النهار ظهورا"، وعلى منوال ذلك هو أسلوب أغلب ترسيله[2].

و على العموم فإن الغالب على الرسائل الرسمية الموحدية هو هذا النعت، فالقاريء لمجموع رسائل موحدية على سبيل المثال يمكنه أن يلمس تلك الخصائص من ميولها إلى الوضوح، وتشبعها بالمحسنات البديعية، وتلاعب كتابها بالألفاظ من أجل إظهار المقدرة الأدبية والتمكن من اللغة وألفاظها، إضافة إلى التكلف في الأسلوب والاتجاه به نحو مذهب الصنعة اللفظية مما أدخل النثر الموحدي إلى مرحلة التكلف والإسراف في الصناعة [3].

ولقد تميز هذا الأسلوب بالصبغة الأدبية الدينية مما جعل النثر الديواني عند الموحدين ينحو منحى الدعوة واحتضان مذهبهم نزولا عند رغبة الخلفاء، وعقيدتهم الدينية، ومنهجهم الإصلاحي الديني والسياسي في بناء دولة الموحدين، وقد ساعدهم على ذلك ثقافتهم الدينية التي كان لها الأثر الكبير في أساليبهم؛ إذ كان أكثر كتاب الموحدين أهل حديث وفقه قبل أن يكونوا أهل أدب، ولذلك طبع أدبهم وترسلهم بطابع الأصالة، وصار أدبا مترجما للطابع الديني الذي جدّ الخلفاء في تطبيقه؛ إذ خلا في الغالب من السفاسف التي كانت شائعة في الأدب العربي حينئذ، فندر شعر الخمريات، وقل أدب التغزل المكشوف، وغير ذلك مما ينافي الطابع الديني العام الذي ساد البلاد في هذه الفترة[4].

كما تعتبر الاقتباسات القرآنية من ضروريات الرسائل كذلك وخاصة تلك التي تتناول موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما في معناهما، كما كان الاستشهاد بالشعر حاضرا في الرسالة، وقد تأتي بعض الرسائل مذيلة بقصائد طويلة من إنشاء كتابها، خاصة وأن أغلب الكتاب الموحدين كانت لهم مواهب شعرية أصيلة كابن عطية، وابن عياش، وابن الأبّار.[5]

---

[1] – محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 181.

[2] – انظر الرسائل رقم: 107، 108، 115، 123، من مجموع رسائل العزاوي.

[3] – الجيلالي سلطاني، الشعر الديني على عهد الموحدين، رسالة دكتوراه دولة، كلية الآداب، جامعة وهران، 2001- 2002. عبد القادر قرش، الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه دولة، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 1992- 1993، ص: 380 وما بعدها.

[4] – محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 181. محمد المنوني، المرجع السابق، ص:97.

[5] –حسن جلاب المصدر السابق، ص: 138- 139.

ثانيا: الرسائل من ناحية المضمون .

من بين أهم المواضيع التي تطرقت إليها الرسائل ما يلي:

1. الدعوة إلى مذهب المهدي ابن تومرت الديني، وترسيخه بين العامة والخاصة، وذلك بـ :

الدعوة إلي التوحيد ونبذ الشرك على عقيدة المهدي ابن تومرت، وغالبا ما يكون ذلك مصحوبا بالتعريض بعقيدة المرابطين من خلال رميهم بالتجسيم والكفر، وتحريض الموحدين على حربهم واستئصال شأفتهم، وهذا نجده واردا بإسهاب في أغلب الرسائل الصادرة عن المهدي في حد ذاته أو عن خلفائه خاصة عبد المؤمن الذي تميزت أغلب فترة حكمه بالصراع مع المرابطين؛ إذ كانت الدولة آن ذاك في مرحلة القيام على حساب ملك المرابطين ومن أمثلة تلك الرسائل ما بعث به المهدي إلى جماعة الموحدين يدعوهمْ إلي مناجزة المرابطين يقول فيها: "... واغتنموا الأجر والثواب في هذه الأيام قبل فواتها ... فجهاد الكفرة الملثمين قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر..."[1]، وكثيرة هي رسائل المهدي التي بعث بها إلى الموحدين يدعوهم فيها إلى عقيدته مقابل التعريض بالعقيدة المرابطية[2]

كما تناولت هذه الرسائل الدعوة إلى نشر كتب المهدي بين العامة وتشجيع دراستها من طرف الطلبة الموحدين من أجل ترسيخ مبادئ المهدوية التي قامت عليها الدولة الموحدية،كما تعتبر المحافظة على هذه المبادئ من أسباب المحافظة على الدولة في حد ذاتها، ونلمس ذلك من خلال رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى الموحدين يدعوهم فيها إلى قراءة كتب المهدي ونشرها بالعربية والبربرية؛ وذلك ليسهل إيصال تلك العقائد إلى قومه بلسانهم، ومما جاء فيها:" ...فتأملوا ما اشتمل عليه كتاب الإمام المعصوم -رضي الله عنه- الذي هو هدى وتبيان، ونور وبرهان، اهتدوا بهدى من الهداية مخصوصة، واعتصموا بحبل من العصمة عليه منقولة منصوصة، فلا مطمع من الهداية إلا منه،ولا وجه لأخذ العلم ومعرفة الحقيقة إلا عنه ..."[3] .

وحَوَت هذه الرسائل كذلك ترسيخ مبدأ عصمة ابن تومرت ومهدويته الذي يعتبر أساس نجاح الدعوة الموحدية بالمغرب كما هو الحال بالنسبة لإقامة الدولة الفاطمية قبلها،

---

[1] – أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص:46،47.

[2] – نفس المرجع، رسائل رقم: 2، 3، 4، 7.

[3] – ليفي بروفنسال، مجموع رسائل موحدية، ص 136، رضا عبد الغني الكساسبة، المرجع السابق، ص:37 .

ولذلك نجد أغلب الرسائل تدعو في مقدماتها لابن تومرت، وتنعته بالعصمة والإمامة، وهذه الميزة تنعت بها جميع فواتح الرسائل الرسمية كما هو مبين في جزء الدراسة الشكلية للرسائل وكمثال على ذلك ما ورد في رسالة لعبد المؤمن؛ إذ ذكر كاتبها بعد البسملة والحمد والصلاة قوله:"... والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم وليه الذي تقبل سبله الهداية واقتفاها، وأقام رسوم الشريعة على رغم من جحدها ونفاها"[1]، ومن ذلك أيضا ما ورد في أحد رسائل الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن إذ جاء فيها: "... ونسأله الرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم شافي الدين من وصبه وألمه "[2].

وكثيرة هي الأمثلة عن هذا الموضوع في الرسائل الموحدية وإن اختلفت أساليبها فهي تصب في قالب الرضا عن المهدي وإقرار عصمته وإمامته، إلا أن هذا الموضوع نجده يختفي في الرسائل بعد تنكر الخليفة المأمون لدعوة المهدي ونبذ مذهبه وإبطال مهدويته عصمته في رسالة مشهورة ببعث بها إلي كافة أقطار مملكته للخاصة والعامة يقول فيها: "... ولتعلموا أننا نبذنا الباطل، وأظهرنا الحق... وألّا مهدي إلا عيسى، وقد أسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة"[3].

وفيها العمل بمبدأ الإمامة لضمان استقرار الثبات في الخلافة، وكذا ضمان وحدة الكتلة الموحدية والابتعاد بها عن الفرقة والاختلاف، والدفع بعجلة المشروع الموحدي إلى التجسيد والتمكين، ولا يكون ذلك إلا بإقرار مبدأ ثابت يضمن بقاء هذه الجماهير على مذهب المهدي وعدم التطرف عنه، ولذلك عمد المهدي إلي تشريع مبدأ الإمامة وضمها إلي المهدوية والعصمة مع صبغها بصبغة دينية، وفي ذلك يقول المهدي في إحدى رسائله: "الإمامة عمدة الدين وعموده على الإطلاق في سائر الزمان... فاعتقادها دين، والعمل بها دين، والتزامها دين"[4].

وبذلك كانت الرسائل الموحدية تتناول من بين أهم موضوعاتها الدعوة إلى مذهب ابن تومرت وترسيخه بين كل أفراد الدولة؛ وذلك بالدعوة إلى التوحيد الذي نادى به ابن تومرت، والتعريض نظير ذلك بعقيدة المرابطين السنية المبنية على الكتاب والسنة والتمسك بمذهب الإمام

---

[1] – ليفي بروفنسال، الرسالة رقم 3.

[2] – ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص310.

[3] – ابن عذارى، البيان المغرب، ص:267-268. الحلل الموشية، ص:164-165. العزاوي، ج1، ص:384.

[4] – أعز ما يطلب، ص:245. عبد الغني الكساسبة، المرجع السابق، ص:42,

مالك في ذلك، كما دعت إلى فكرة المهدوية والإمامة مصحوبة بالعصمة، وذلك لضمان ولاء الموحدين، مستعملين في ذلك المؤلفات باللغة العربية والبربرية ليتسنى للجميع فهمها وحفظها.

2. الدعوة إلى العلم، والعمل بالكتاب والسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

ومن المواضيع التي تناولتها الرسائل الرسمية الموحدية الاعتناء بالعلم، والدعوة إلى إتباع الكتاب والسنة، والاعتناء بالعلم والعلماء، وطباقا لذلك يتعرض كتابها إلى التعريض بالمرابطين ووصفهم بالتزمت والجمود والحجر على العلوم وأهلها، كما تتضمن الإشادة بأسباب القيام على المرابطين من بسط العلم الصحيح بين الناس، والتمسك بالكتاب والسنة، ومن ذلك ما بعث به عبد المؤمن بن علي في أحد رسائله قائلا: " ... وجعلكم جارين على حكم الكتاب والسنة، ويكون العلم والعمل متلازمين"[1]، إضافة إلى تضمنها الدعوة إلي تطبيق أحكام الشرع وإلزام الموحدين بذلك سواءً كانوا رعية أو حكاما والتشديد على أمراء الولايات بتطبيق العدل، وضبط الشهود والتحري في إثبات التهم، وأداء الحقوق والواجبات، والتحلي بالأخلاق الحسنة، ومتابعة المفسدين، ومن ذلك ما صدر عن عبد المؤمن في أحد رسائله قائلا: "... وجعلكم جارين على حكم الكتاب والسنة، ... فمن تحقق عندكم بترك الصلاة، ومنع الزكاة، وإتيان المحرمات... – يذكر العديد من المنكرات والآفات والمحرمات – ... وليعمل فيه عمل من لا يتقي في الله لومة لائم"[2]، ولقد كان قدوة عبد المؤمن بذلك شيخه ابن تومرت الذي دعا الرعية إلى المعروف ونهاهم عن إتيان المحرمات وجعل انتشار ذلك من أهم المبررات الثوران على أمراء المرابطين، ومن ذلك قوله : "... تواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى"[3].

واغلب الرسائل الموحدية لا تخلو من هذه المواصفات، فكانت الدعوة إلى العلم والعمل بالكتاب والسنة وتطبيق أحكام الشرع، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم وأبرز ما جاء في بطون تلك الرسائل؛ إذ كان الخلفاء يأمرون بذلك ويطبقونه بالدعوة أحيانا وبالسيف أحيانا أخرى من أجل إبعاد الناس عن سبل الظلال والغواية، وإرشادهم إلى ما فيهم مصلحتهم الدينية والدنيوية، وكان ذلك من أولى اهتماماتهم، وكان لعبد المؤمن قصب السبق في ذلك

---

[1] - بروفنسال، المرجع السابق، ص: 129، 130 .

[2] - عبد الغني الكساسبة، المرجع السابق، ص: 34.

[3] - عبد الله علام، الدعوة الموحدية، ص: 353، 354. عبد الغني الكساسبة، المرجع السابق، ص: 35.

نظرا لاحتياج الدولة في عهد التأسيس إلى مثل هذه الخطابات، من أجل ضمان الاستقرار وسير أمور الدولة والرعية[1].

3. تناول موضوع البيعة:

يعتبر موضوع البيعة من أهم مواضيع الرسائل الرسمية الموحدية، وتكون هذه الرسائل إما صادرة من الخليفة إلى الرعية حيث يضمنها ترشيح أحد أبنائه وليا لعهده، وذلك بعد أخذ المبررات من طرف أعيان الدولة ووجهائها؛ إذ لا يخفى استعانة عبد المؤمن بالعرب من أجل أخذ البيعة وضمانها لابنه محمد[2]، ويأمر الكافة وكل طبقات الدولة بالمبايعة، وإما أن تكون تلك الرسائل موجهة من ولايات الدولة المختلفة إلي مركز الخلافة في وفود معينة وطقوس معلومة لتقديم البيعة لولى العهد أو الخليفة، وكانت تبدأ هذه النصوص بالتلميح إلى مبدأ اختيار الأصلح والأكفأ كما فعل المهدي بن تومرت قبل وفاته بالتلميح إلي صلاحية عبد المؤمن للخلافة إذ يقول في أحد رسائله: "... وقد اخترنا رجلا منكم وجعلناه أميرا عليكم، وهذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله... ، واختبرنا سريرته وعلانيته ... وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه... ، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربه "[3].

ثم أصبحت ولاية العهد بعد ذلك خاصة بأسرة عبد المؤمن بعد أن حولها إلى نظام وراثي، مما جعل أهل الأمصار يعجلون ببعث رسائل ووفود بيعاهم من الولايات المختلفة،

---

[1] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص:225 وما بعدها. حسن جلاب، المرجع السابق، ص: 132.

[2] - لم يكن لعبد المؤمن عصبية قبلية في بداية حكمه يستند عليها في تطبيق قراراته، ولذلك عمل تقريب قبيلة كومية في بداية الأمر، ثم علم على استغلال العنصر الجديد في الدولة و هم العرب في سبيل ضمان ولاية العهد لابنه محمد فمهد لذلك بإقامة علاقة ودية بينهم وبين ابنه محمد؛ إذ أمره أن يراسل رؤساء العرب الهلالية، ويعلمهم أن نساءهم وأبناءهم الذين هم عنده بصفة أسرى حرب في حمايته، وعند حضورهم احتفى بهم وأكرمهم الأمر الذي دفعهم للإقامة بالعاصمة مراكش، ثم أمرهم عبد المؤمن أن يطلبوا منه البيعة لابنه محمد بعد أن ضمن ولاءهم حتى لا يظهر للأشياخ رغبته في تغيير الحكم إلى سلالته، وفي ذلك يقول ابن الأثير: "فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر أولاده، أحب أن ينقل الملك إليهم فأحضر أمراء العرب من هلال، و زغب وعدي، وغيرهم إليه ووصلهم وأحسن إليهم، و وضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ويقول له: نريد أن تجعل لنا ولي عهد من ولدك، يرجع إليه الناس بعدك، فلم يجبهم إكراما لعمر لعلو منزلته في الموحدين، و قال لهم : إن الأمر لأبي حفص عمر، فلما علم عمر ذلك، خاف على نفسه، فحضر عند عبد المؤمن وأجاب إلى خلع نفسه، فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد". ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص:408. وانظر نص البيعة كاملا في رسائل بروفنسال، رسالة رقم: 13.

[3] - المراكشي، المعجب، ص: 264.

بيعة أهل قرطبة التي أجابهم عليها بقوله: "... وقد وافانا، أدام الله كرامتكم، كتابكم وانتهت إلينا بيعتكم التي ضمنتموها ما اجتمعت عليه من عهودها ومواثيقها"[1] .

للبيعة عند الموحدين صيغة خاصة يعمل على إلقائها الكاتب المختص بالخليفة وهي: ير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع المنشط والمكره، واليسر والعسر، والنصح له ولوُلاته، ولعامة المسمين، هذا ما له كم عليه، ألا يجمر بعوثكم، وألا يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته، وأن يعجل كم، وألا يحتجب عنكم، أعانكم الله على الوفاء، وأعانه على ما تقلد من أموركم"[2] .

كان موضوع البيعة من أهم المواضيع التي تناولتها الرسائل الرسمية كونها تعالج ساسا متعلقا بمصير العرش فكان لضمان بقائه في أفراد الأسرة الحاكمة لابد من ب بعقد البيعة لولي العهد، وإلزام الرعية والسادة الولاة ببعث بيعاتهم في كتب عية مع وفود مخصوصة، وذلك من أجل إلقاء البيعة على الخليفة .

بالفتوحات والأعمال العسكرية:

المواضيع التي تناولتها الرسائل الموحدية، واستمر الاهتمام بها منذ عهد عبد المؤمن غاية انتهاء الدولة، الأمر الذي يعكس استمرار الأعمال العسكرية التي كان يخوضها ضد أعدائهم؛ إما الخارجين عن طاعتهم من بقايا المرابطين كبني غانية وبعض من نفسه بالانفصال عن الدولة، أو صراعاتهم المستمرة ضد نصارى الأسبان في شبه يرية.

ئل المتوفرة لدينا في هذا الموضوع أعلاها وأكثرها في عهد عبد المؤمن، إذ أحصيت ت وعشرين رسالة في مجموع بروفنسال لوحده دون المصادر الأخرى، منها ستة صر الطلبة وثلاث رسائل إلي أهالي المدن، وأربع رسائل إلي أفراد معيين وثلاث منها أخرى، وتعود هذه النسبة إلي أن الخليفة عبد المؤمن هو الأول الذي واجهته قوى

المرجع السابق، ص: 15، وعن بعض رسائل البيعات أنظر : المن بالإمامة ص ص: 259-261 و ص ص: 361-365.
سائل رقم: 17، 18، 19، 20، 40، 108، 121، 124.
شي، المعجب، ص:407. وإبراهيم حركات، المرجع السابق، ص:329.

أمام إقامة الدولة من المرابطين وغيرهم، انتزع السلطة من أيديهم وأخضع باقي أطراف الإمبراطورية إلي حكمه، في حين اكتفى خلفاء من بعده بفرض الاستقرار للمحافظة عليه.[1]

ومن تلك الرسائل ما بعث به إلى الموحدين يعلمهم بفتح تارودانت (سنة:529هـ) بمنطقة السوس، والتي تعتبر من أهم المناطق الموالية للمرابطين هذا بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية، ومما جاء فيها :" وذلك أن فيها فتح السوس، وأن الموحدين أعزهم الله لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره..."[2] وفيها وصف دقيق للمعركة. وقد جاءت بأسلوب بسيط يدل على عدم اتخاذ عبد المؤمن للكتاب في هذه الفترة، أو كانوا من غير أهل الأدب والبلاغة. ومنها الرسالة التي بعث بها يوسف بن عبد المؤمن من إلى المغرب والأندلس يبشر فيها بفتح مدينة قفصة بعد أن تمرد عليه أهلها منذ بداية سنة:(572هـ) وهي من إنشاء الكاتب أبي الحكم ابن المرخي[3]

ويمكن أن نعزو الاهتمام بإخبار الفتوحات والأعمال العسكرية ونشرها وإذاعتها بين أوساط الناس إلى عاملين اثنين، احدهما عامل إعلامي؛ إذ كان للموحدين رغبة في مسايرة كل فئات المجتمع للخطوات التي كان يقوم بها الجيش الموحدي، والإشادة بمنجزاته في هذه الرسائل والحرص على نشرها وتعميمها، والعامل الآخر هو عامل عقدي ديني يرمي إلى إخضاع كل الأراضي المتاخمة للدولة إلى سيطرتها، وذلك بإبراز جهود الدولة العسكرية في سبيل تحقيق تلك المطامح[4].

5. استنفار الجيوش والحض على الجهاد:

إن كثرة الحروب التي خاضها الموحدون ضد مناوئيهم أدى إلى احتياجهم إلى الجند والمتطوعة بصفة مستمرة، الأمر الذي أدى إلي كثرة هذا النوع من الرسائل التي تحث المسلمين على الجهاد وتستنفرهم لذلك، ومن ذلك ما فعله الخليفة يعقوب المنصور في استنفار العرب

[1] - ابن القطان، المصدر السابق، ص:210. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص: 70، 201، 244. أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص: 50. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص ص: 735 – 737.

[2] – ابن القطان، نفس المصدر، ص: 237.

[3] – ليفي بروفنسال، رسالة رقم: 20. أحمد العزاوي، ج1، ص: 44.

[4] – حسن حلاب، المرجع السابق، ص: 132. عبد الغني الكساسبة، المرجع السابق، ص: 41، 42.

يدعوهم إلي الجهاد ويستنفرهم إليه ويسترحلهم برسالة شعرية من إنشاء كاتبه أبي عبد الله ابن عياش يقول في مطلعها :

أقيموا إلي العلياء عوج الرواحل وقودوا إلي الهيجاء جرد الصواهل .

وقوموا لنصر الدين قومة ثائـــر وشدوا على الأعداء شدة صائــل.

إلى أن يقول:

فلا تتوانوا فالبـــدار غنيمـــة وللمــدلج الساري صفاء المناهل.[1]

وكان من محتويات الرسائل في هذا الموضوع دعوة الخليفة كافة الجند والمتطوعة إلي التمسك بعوامل النصر وأسبابه، من حسن النية، والتقوى، والثبات، والتوكل على الله، إضافة إلي توفير العدة اللازمة من الجند والسلع ومن أمثلة ذلك قول بن عبد المؤمن في أحد رسائله: "...واعلموا وفقكم الله أن العدو لا يغلب العدد والعدة، وإنما يغلب بحسن النية والتقوى والأعمال الصالحة والتوكل على الله"[2].

ولم تغفل هذه الرسائل معالجة الجانب النفسي للجند من خلال رفع معنوياته، هذا بالإضافة إلي تبيان الأسباب التي قامت عليها المعركة ودوافعها والتحذير من عواقبها الوخيمة في حالة الانهزام، كما ينبه فيها إلي قوة الأعداء وعددهم وتحذير الجند من ذلك لأخذ استعدادهم، وفي معنى ذلك ما أرسل به الخليفة الناصر الموحدي قبيل معركة العقاب إلى جنده قائلا : "...إن صاحب قشتالة لما كان في العالم السالف قد ضعف عن الانتصار، وكان يخفى في بلاده حتى عن الأبصار، رأى أن يضرع لمولك أهل ملته ضراعة الأسيف، ويصانعهم على معونة بالتالد والطريف، ويسترحمهم عسى أن يجد عندهم رقة القوي على الضعيف، فبث القسيسين والرهبان من برتقال إلى القسطنطينية العظمى،...فجاء عبّاد الصليب من كل فج عميق ومكان سحيق، ...وهي الحروب قضى الله أن تكون سجالا، وأن يجعل الله منها لكل قوم مجالا،... وإذا كانت –وفقكم الله- الجيوش موفورة، والرايات مشهورة، العزائم باقية، وكفايات الله باقية، فلا تهنوا فإن لا نهن، وانتظروا الكرة على الكفار، والإمداد عليهم بجند الله الذين هم خير

[1] - القصيدة في المعجب، ص: 294.

[2] - عبد الله علام، المرجع السابق، ص:351.

الأنصار، وعرفناكم لتكون عندهم هذه الوقيعة على وجهها والنازلة على كنهها، ولتعلموا أنه لم يدر للموحدين قتيل ولا أصيب كثير منهم ولا قليل"[1].

6. تنظيم العلاقات الدبلوماسية من خلال إقرار الهدن والعهود، وتبادل التجارة:

موضوع العلاقات الدولية وتنظيمها بين الموحدين ومن جاورهم من أبرز المواضيع في بطون الرسائل الرسمية، وتتلخص اتجاهات العلاقات الخارجية للموحدين في أربع جهات أساسية:

1. مع مملكة غانة:

وفي هذا المجال نجد رسالة فريدة كتب بها أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن والي سجلماسة إلى ملك غانة، وذلك أن هذا الأخير أساء معاملة التجار المغاربة وأعاق مصالحهم وتجارتهم في مملكته، فأرسل إليه الأمير سليمان الموحدي برسالة بليغة يعاتبه فيها على ذلك ويأمره بتسهيل أمور هؤلاء التجار وهي من إنشاء هذا الوالي الكاتب الشاعر نفسه يقول فيها: "نحن نتجاوز بالإحسان وإن اختلفنا في الأديان، ونتفق في السيرة المرضية، ونتألف على الرفق على الرعية، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف في ما هم بصدده، وتردد الجلابة إلي البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهتنا من أهل تلك الناحية، لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله، والسلام".[2]

2. مع إيطاليا:

هناك رسائل كثيرة صادرة عن الخلفاء الموحدين إلي إيطاليا ومنها ما هو وارد من هذه الأخيرة إلي الخلفاء الموحدين، تحتوي مواضيع مختلفة من معاهدات السلم والعلاقات التجارية وغيرها، ومن تلك الرسائل ما كتب به المنصور الموحدي إلى أهل بيشة (BIZA)، وجهاها حول إمضاء اتفاقية سلام وتجاور بين البلدين، إضافة إلي تناولها بعض العلاقات التجارية، إجابة عن طلب الحكومة الإيطالية بتمديد مدة عهد السلام بينهما يقول فيها: " ... هذا ما أمضى أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته من الصلح للقناصلة والأشياخ

---

1 - ابن عذراي، المصدر السابق، ص ص: 263، 265.

2 - المقري، نفح الطيب، ج3، ص:368.

والأعيان والكافة من أهل بيشة وجهاتها من بلد العتيق إلي قاب قرب، والجزائر التي هي سردانية، وقرصفة... وأنهم ملتزمون لكل شرط يشرط عليهم، ... وأذن لهم ... في الوصول إلي بلاد الموحدين، أعزهم الله، للتجارة فيها، والتجهز منها، وقصرهم على أربعة بلاد من جملتها، وهي سبتة، ووهران وبجاية وتونس..."[1].

وغير ذلك من الرسائل بين الموحدين وهذه المنطلقة حول نفس الموضوع من تنظيم العلاقات التجارية، واتفاقيات السلم والمعاهدات المختلفة.[2] إضافة إلى بعض الظهائر لصالح جهات معينة سنوردها عند الحديث عن الظهائر.

3. مع ممالك إسبانيا:

وهي رسائل خالية تقريبا من الحديث عن العلاقات التجارية، وموضوعاتها تنحصر في العلاقات السياسية وخاصة الحربية منها كالتساهل القشتالي الأرغوني في توجيه المرتزقة لدعم ابن مردنيش[3] ضد الموحدين، وكمحاولة القشتاليين كذلك لاستمالة بعض الأمراء الموحدين للتمرد على الخلافة[4].

كما تتطرق هذه الرسائل إلي الحملات التي كانت تقوم بها الجمعيات العسكرية والدينية الإسبانية على الحدود الموحدية، إضافة إلي غيرها من الإشارات المختلفة حول العلاقات العامة بين الطرفين الإسباني والموحدي[5].

ومن الجدير بالإشارة هنا أن الخلفاء الموحدين خاصة منذ عهد المنصور قد خصصوا كاتبا خاصا لاستقبال رسل الملوك، وخاصة رسل الروم منهم، إلى الخلفاء بعد أن كان يتم بصورة عفوية، وقد اكتسبت هذه الخطة أهمية بالغة منذ خلافة المأمون الذي إستعان بالأجناد القشتاليين وزادت علاقة الموحدين بنصارى إسبانيات ، وخاصة في خلافة السعيد والمرتضى الموحدين[6].

---

[1] - أحمد العزاوي، ج1، ص ص173-175.

[2] - العزاوي، المرجع نفسه، أنظر الرسائل: من رقم46 إلى رقم 53، والرسالتان رقم:62.و 112.

[3] - ترجمته في: وفيات الأعيان، ج2، ص: 492. بغية الملتمس، ص: 33، 34. المعجب، ص: 278. الحلة السيراء، ج2، ص: 232. محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، ص: 97 وما بعدها.

[4] - نفس المرجع، رسالة رقم: 37.

[5] - نفس المرجع، رسائل رقم: 27، 28، 29، 34، 37، 42، 63، 67، 68، 77، 107، 115، 126.

[6] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص:536، 540، 634. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 166.

4. العلاقات مع الأيوبيين:

من المعلوم أن من أعظم المنجزات التي قام بها صلاح الدين الأيوبي قضائه على الدولة الفاطمية وإنهاء وجودها سنة (567هـ)، وقيامه بالدعوة للخلفاء العباسيين، ثم أخذ يضم الشام إليه بعد وفاة نور الدين محمود زنكي، وإلى جانب ذلك كان يعمل على مواجهة الصليبيين في السواحل المصرية، وفي هذه الفترة توجه مملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين غرب مصر فاستولى على برقة وطرابلس وغيرهما[1]، الأمر الذي جعل العلاقات تتوتر بين الموحدين والأيوبيين، ويبدو أن صلاح الدين مكن خلال توسعه نحو حدود الموحدين كان سببه محاولة إيجاد نفوذ يمكنه اللجوء إليه عند الضرورة، مع أن المصادر التاريخية تؤكد أن مملوكه قراقوش كانت تحدثه نفسه بوضع كيان خاص لنفسه في هذه المناطق[2].

ولم تكن بداية التوترات بفعل الأيوبيين فقط، بل إن ما اتخذه الموحدون من دعاية إلى دعوتهم في بلاد مصر اعتقادا منهم أنهم أحق بتسيير العالم الإسلامي من غيرهم؛ خصوصا وان الخلافة العباسية كانت في نهايتها، وكثيرة هي التلميحات حول تمني الخلفاء الموحدين ملك بلاد المشرق في رسائلهم، والتطلع إلى الاستيلاء على ما زُوِيَ للنبي صلى الله عليه وسلم مما بين المشرق والمغرب.[3] إضافة إلى ما يذكره ابن جبير في رحلته من أن الاعتقاد عند أهل المشرق من الحجازيين والمصريين هو اقتراب وصول الموحدين إلى بلادهم وملكها، إضافة إلى إشادتهم بالموحدين لقيامهم على تطبيق أحكام الشرع نظير ما يعانونه من كثرة البدع والمناكر، وأن لا إسلام بالنسبة لهم إلا ببلاد الموحدين[4]. وذلك ما كان يلمح به الخليفة المنصور بقوله: "نحن إنشاء الله مطهروها، ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات"[5].

كان لهذه التوترات حضور في الرسائل الرسمية الموحدية؛ إذ نقرأ في إحدى الرسائل التي أنشأها الكاتب ابن محشرة بتاريخ (583هـ) تناولها لمشاركة قراقوش في عملية التشغيب قبل

---

[1] - أبو شامة الدمشقي، عبد الرحمن ابن إسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، طبعة القاهرة سنة:1287هـ، ج1، ص:234-235.

[2] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص: 47. أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج2، ص: 81.

[3] - أحمد العزاوي، المرجع نفسه، الرسالة رقم: 30.

[4] - ابن جبير الكناني، الرحلة، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، د ط، د ت، ص:63، 69، 70.

[5] - المراكشي، المعجب، ص: 360.

أن يضطر إلى الاستسلام[1]، كما نجد بعض الرسائل الواردة إلى الموحدين من طرف الأيوبيين، وأشهرها السفارة التي بعث بها صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يطلب منه المدد والمساعدة بالأسطول الموحدي للاستعانة به ضد الصليبيين، وما بعث به المنصور في أحد رسائله لضبط بعض العلاقات الاقتصادية واقتراحه بناء بعض المستشفيات للمرضى في مصر، وغيرها من المراسلات[2].

---

[1] - بروفنسال، المرجع السابق، رسالة رقم:30 .

[2] - عبد الهادي التازي، سفارة السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور، **مجلة مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية**، المغرب، عدد رقم: 11، سنة 1994م، ص ص: 105-133 .

2- الظهائر

تعتبر الظهائر من أنواع الكتابات التي تنتمي إلى دائرة النثر الديواني، ونظرا لاختلاف أغراضها وتباينها عن الرسائل رأينا تناولها بصفة منفصلة، فما هي الظهائر؟ وما هو الغرض منهما؟ .

أولا: تعريف الظهير

الظهير في لغة العرب المعين والعون، والتظاهر هو التعاون[1]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ أَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾[2]، أي الذين أخرجوكم وعاونوا على إخراجكم[3]، ولذلك سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا، وذلك لما يقع به من المعاونة لمن كتب له، إذ المرسوم في اللغة مأخوذ من ارتسمه إذا إمتثله، وهذا يطابق معنى الظهير من الامتثال لأوامره وما جاء فيه من قرارات عن طريق إلزام الخليفة لعماله بذلك[4].

أما من حيث الاصطلاح، فلم نقف على تعريف خاص به في نطاق الرسائل الديوانية والقرارات السلطانية، إلا أنه من خلال تتبع نصوص الظهائر الصادرة عن الإدارة الموحدية سواء توفرت لدينا نصوصها الأصلية التي أنشأها الكتاب، أو من خلال تلخيص المصادر لمحتوياتها دون ذكر النصوص الأصلية لها، يتضح لنا أنه يدور حول المعنى التالي:

الظهير: هو مرسوم وقرار موجه من الجهات الرسمية لصالح فرد أو جماعة معينة استحقوا امتيازات مخصوصة على اختلاف هذه الامتيازات، ويكون الأمر فيه واجب التنفيذ من طرف الموجه إليه، كما ورد بلفظة الصك. والظهير بهذا المعنى لا زال يستعمل إلى الآن في العرف المغربي بمعنى المرسوم الملكي[5].

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص: 525.

[2] - سورة الممتحنة، الآية: 9.

[3] - ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار البيان العربي، مصر، دط، 2006.

[4] - انظر القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص:299- ج11، ص:107.

[5] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 341، حاشية.

ومن خلال التعريف اللغوي للظهير والمعنى الذي يتضمنه محتواه، نجد هناك تطابقا بين المعنيين؛ إذ أن كلا من المعنيين يوحي بالإعانة والمساعدة، وتقديم الامتيازات، وهذا ما يفسر لنا عدم ورود ظهير ضد جهة معينة أو فرد معين حسب ما توفر لدينا من النصوص، كما أن ما يؤكد ذلك هو ورود تلك النصوص التي تحتوي الظهائر ببداية لا تحمل إلا معنى الإعانة والمساعدة ألا وهي لفظة" هذا ظهير كريم"،ومن ذلك ظهير الرشيد الموحدي أهل الأندلس من الإنشاء بن عميرة الذي يبدأ بلفظة: "هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين" ، فبدايته تدل على إعانة الخليفة ومساعدته، وهي لفظة ابتدأت بها جل الظهائر الموحدية، ولو كان له معنى آخر غير الإعانة لتعددت ألفاظ بديته، ولكنها ثابتة ومحصورة في هذا اللفظ بمعناه حسب ما يقرر القلقشندي[1].

ويبدو أن هذه المراسيم كانت منذ عهد عبد المؤمن بن على، ومن ذلك ما أنعم به على الوفد الذي جاء من الأندلس برئاسة القاضي الفقيه أبي بكر بن العربي لتقديم البيعة له، وفي ذلك يقول ابن عذارى: "... وأمر لهم بالزاد الوافر على أوفى الكمال والتمام، فأمر للقاضي بن العربي بمائة مثقال ذهبية حشمية، ولابن حجاج الخطيب بمثل ذلك، ولسائر الوفود على قدر منازلهم، وانصرفوا **بظهائرهم** من كتب ابن عطية بالإنعام عليهم بصرف أموالهم وضياعهم عليهم"[2]، فالنص ظاهر في أن هذا الوفد قد تحصلنا على ظهير لكل فرد من أفراده، وأن مضمونه هو المكافئة والإعانة المادية، إضافة إلى قرار الخليفة بإرجاع ممتلكاتهم إليهم من الأموال والضياع، بينما يصف صاحب القرطاس هذا الظهير باسم المنشور حيث يقول عن هذه الحادثة بذاتها: " وكتب لهم **منشورا** بتحرير أملاكهم"[3].

كما يورد لنا صاحب المعجب ظهيرا آخر أمر به عبد المؤمن كذلك بأحد الأشخاص الذين كان له الفضل عليه وعلى معلمه ابن تومرت؛ من الإنعام عليهم في بداية دعوتهم، وملخص ذلك أن عبد المؤمن أتى إلى هذا الشخص وكان له دكان، وكان للإمام وبعض الطلبة مع عبد المؤمن أيام لم يطعموا فيها شيئا، قال ابن عبد المؤمن : "وما معيّ إلا سكين الدواة فأخذت منه خبزا وإداما، ثم وضعت عنده السكين رهنا على ذلك، فأبى قبولها وقال لي : إني توسمت فيك

---

1 - القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص: 299.

2 - ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 34.

3 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص:190.

الخير، فمتى أعوزك شيء فهلم الدكان فهو بين يديك وبحكمك"، فسأل عنه عبد المؤمن لما مرّ بجيوشه بهذا المكان فأخبر بوفاته، مع تخليفه أبناءً، فاشترى عبد المؤمن جميع الدكاكين التي بتلك السويقة وأوقفها عليهم، وأمر لهم بمال كثير.[1] ولقد ذكر ذلك كل من ابن القطان وابن عذاري معه اختلاف يسير في القصة، يقول ابن عذاري: "... ونزل هو مضاربه ، وأمر بإحضار أهل الدار المذكورة، فسألهم عن أبيهم فقالوا : إنه توفي وترك أولاد أربعة، فأسهمهم أرضا واسعة لاحترائهم، وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم ومثلها من البقر، وأربعة ألاف دينار، وكتب لهم **ظهيرا** بالعز والأمان، والبر والإحسان، وأن يكون حكاما على قبيلتهم"[2].

كما يورد لنا الغبريني إشارة عن ظهير لعبد المؤمن كذلك، وذلك في معرض ترجمته لأبي النجم هلال بن يونس إذ يقول:"... وكان عيشته من مستغلات أرض كانت له محررة **بظهائر** من قبل عبد المؤمن رحمهم الله"[3].

وربما تعود كثر هذه الظهائر على عهد الخليفة عبد المؤمن بن على، إلى أن الدولة كانت في بداية التأسيس، حيث كان هناك من له الفضل في تأسيس الدولة، من خلال خدمة مؤسسيها عبد المؤمن والمهدي، فأوجب تأدية حقهم ورد جميلهم بعد تأسيس الدولة، كما كان للدولة في البداية أعداء فاءوا إلى دعوة التوحيد، وركنوا إلى سلطة عبد المؤمن، فكان إلزاما تكريمهم وتعظيهم إنزالا لهم منازلهم، وضمانا لاستمرار ولائهم.

ويورد لنا ابن صاحب الصلاة ظهيرا عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لبعض الطلبة الذي كان ابن صاحب الصلاة معهم حيث يقول: "... وفهمنا منه الحنان واستقبال آمالنا — من خلال معاملته الحسنة لهم– فدعونا له بالنصر والظفر... وخرجنا من مجلسه العالي وتشريفه قد حف بنا من كل جانب، واقتفينا أعلى المراتب... وخصّني منهم **بظهير** كريم، بإسهام، ومواساة معها أعانتني على الزمان الذميم، وأغنتني علن اللئام"[4].

وفي عهد الخليفة المستنصر، نجده يصدر ظهيرا لفئة غير مسلمة، وهم مجموعة من رهبان بوبلات، من الثغور الأرغونية، يأمر فيه بالسماح لهم باستغلال المراعي بالأراضي الإسلامية،

---

[1] - المراكشي، المعجب، ص،301.

[2] - ابن عذاري، نفس المصدر، ص: 82. ابن القطان، المصدر السابق، ص: 187.

[3] - الغبريني، المصدر السابق، ص: 169.

[4] - ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص:341.

وهو صادر بتاريخ العشرين من شهر ربيع الآخرة سنة 614هـ، ومما جاء فيه بعد البسملة والصلاة والعلامة الموحدية: "هذا **ظهير** كريم أمر به أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين... لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة ... أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين، في زمن حرب أم سلم، عن مكرع ولا مرعى ... فليحفظ حفظتها في إيرادها وإسامتها – يقصد الماء والكلأ – ولا يتعرض أحد من المسلمين لتنغيص إناختها"، ويأمر المستنصر كذلك على عادة قرارات الظهائر بامتثال "حده، ولا يتجاوز رسمه الكريم، ولا يتعده "[1].

كما كتب الرشيد ظهيرا لأهل مراكش لما دخلها، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "ولما دنا الرشيد إلى مدينة مراكش، كتب لأهلها **ظهيرا** بتأمين كافتهم والعفو عن عامتهم، وعمن كان معهم من الموحدين"[2]، كما كتب في نفس الحادثة لعمه السيِّد أبي محمد سعد وقد كان يبر به كثيرا "فكتب له **ظهائر** برباع وكثير من العقار، ولم يبدي له إلا التعزز والوقار"[3].

ومن بين الظهائر المهمة التي وردت نصوصها كاملة ضمن الرسائل الرسمية تلك التي كتبها خلفاء الموحدين لأهل الأندلس أيام محنتهم في أوطانهم وأموالهم، فصدرت لذلك عدّة مراسيم تنص على الاعتناء بهذه الجالية وتكريمها، وكذا تعويضها عن ممتلكاتها التي فقدتها غداة سقوط قرطبة وبلنسية وغيرهما من المدن منذ المنتصف الأول من القرن السابع هجري.

ومن الظهائر الصادرة عن الموحدين في هذا المجال، ظهيرين صادرين عن الرشيد الموحدي كلاهما من إنشاء كاتبه أبي المطرف بن عميرة المخزومي، أولهما:

ظهير منحه للشيخ أبي بكر بن أبي الحسن بن غالب [4]، هو مؤرخ في جمادي الآخرة سنة 637 هـ ، ومما ذكر في: " هذا **ظهير** كريم أمر به أمير المؤمنين ... للشيخ القائد الأكرم أبي بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن بن غالب... ويرتب له أربعون دينارا في كل شهر، مع مدين من القمح وأربعة أمداد من الشعير؛ وكل ذلك مطرد له حيثما حل من بلاد الموحدين... فمن وقف عليه، فليعمل بمضمنه، ولا يعدل عن واضح سننه... كتب في العشر الأول لجماد الآخرة عام سبعة وثلاثين وستمائة"[5].

---

[1] - أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص:347.

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص:300.

[3] - نفسه، ص:302.

[4] - ذكره ابن شريفة في كتاب ابن عميرة بابن خالد بدل ابن غالب، وهو من رجالات الدولة الموحدية الذين خدموا أمراءها، ص:123.

[5] - أحمد العزاوي ، ج1، ص:391، 392.

والظهير واضح الدلالة على ما أعطيناه من خصائص في التعريف الاصطلاحي، فهو معونة وإكرام لهذا الشخص، أمر فيه الخليفة عماله بتطبيق أوامره في أي مكان على جهة الإلزام.

والظهير الثاني صادر في حق أهل شرق الأندلس، أنعم به الرشيد عليهم بعد لجوئهم إلى المغرب بعد أن سقطت بلداهم في يد النصارى، يخول لهم فيه سكنى رباط الفتح وتعميره بالمزروعات والمساكن وغيرها، وهو مؤرخ في الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثلاثين وست مئة للهجري، ومما جاء فيه: " هذا **ظهير** كريم أمر به أمير المؤمنين... للمتنقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر، وشاطبة ومن جرى من سائر بلاد شرق الأندلس مجراها"[1]، ولقد كان هذا الظهير نتيجة للمساعي التي قام بها ذو الوزارتين أبو علي ابن خلاص، وذلك من خلال تشجيعه للرشيد على هذه المكرمة وذلك حسب ما جاء في الظهير ومما فيه حول ذلك نصه :" وسعى لهم سعي من يقضي لهم حق الجوار، ويلتمس لهم مكانا للقرار، ومترلا لإلقاء عصى التيسار" [2]، فخول لهم الرشيد بذلك تعمير رباط الفتح، والإقامة فيه، كما يسمح لهم فيه بغراسة الكروم وكل ما عهدوا غرسه في بلداهم "... وعند ذلك أذن لهم... في النقلة إلى رباط الفتح... وأن يتخذوه مسكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضهم ... وأن يتوسعوا في الحرث... ويغرسوا الكروم وأنواع الشجر على عاداهم من بلادهم، ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم... ولا يلزمون فيه شيئا من وجوه الإلزام "[3].

إن ما نلمسه من أهمية في هذا الظهير احتواؤه على وصف دقيق لرباط الفتح إذ يذكر فيه بأنه:"...مناخ للتاجر والفلاح، وملتقى للحادي والملاح، والمرافق في بره وبحره موجودة في فصول السنة... ففي أرضه هناك متسع"[4]، كما يأمر الرشيد في هذا الظهير جميع الولاة وأعمال بتطبيق مراسمه بحذافيرها ف: " الولاة والعمال حفظهم الله تعالى يأمرون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجانب من جوانبهم، أو يعوق عن مأرب كبير أو صغير من مآربهم ، وأن يكرموا غاية الإكرام، نبهائهم وأعيانهم، ويولوهم من حسن الجوار ما ينسيهم أوطانهم... فمن وقف عليه من الطلبة والعمال –أكرمهم الله– فليعمل بحسبه، ولا يعدل عن كريم مذهبه"[5].

---

[1] - أحمد العزاوي، المرجع السابق، ص:393.

[2] - نفسه، ص: 394.

[3] - نفسه ، نفس الصفحة.

[4] - محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص:122.

[5] - أحمد العزاوي، المرجع نفسه، ص: 395.

ومن الجدير بالإشارة حول أهمية هذا الظهير، أنه يسلط الضوء عن أقدم جالية أندلسية طنت الرباط، إذ أن جميع الذين أرخوا لهذه المدينة يقتصرون على ذكر الجالية التي نزحت سنة1018هـ/1609م، وذلك بعد قرار طرد بقايا العرب عن إسبانيا من طرف ملكها ب الثالث، أما هذه الجالية فهي خالية من وصف كتب التاريخ لها؛ الأمر الذي يجعلنا نلمس هذا الظهير بخاصة وأهمية الرسائل الديوانية بصفة عامة[1].

هذا ما أمكننا الوصول إليه من الظهائر التي صدرت عن ديوان الإنشاء الموحدي، وهي ها إما صادرت عن عبد المؤمن أو في عد الرشيد، والذي يفسر هذا هو أن هذه القرارات ت كثيفة في أطوار التغير المهم في تاريخ الدولة، فعهد عبد المؤمن عهد تأسيس للدولة تب استقطاب أعوان وتأليف قلوب المناوئين لضمان طاعتهم، كما أن عهد الراشدي هو عهد الدولة وظهور هجرات الأندلسيين إلى المغرب بعد نجاح حركة الاسترداد من طرف الإسبان، فكان وجود هذه الظهائر سببا لذلك، والله أعلم.

---

[1] مد بن شريفة، المرجع السابق، ص:123.

3- التوقيعات

ومن الكتابات الرسمية التي اشتهر بها الخلفاء الموحدون والتي تدل على سعة ثقافة وأدب هؤلاء الخلفاء تلك التوقيعات التي كان الخليفة يكتبها على القصص والكتب والرسائل والظهائر وغيرها من الكتابات الرسمية وحتى غير الرسمية، يعبر بها كاتبها على مقصوده بعبارة وجيزة وبليغة في نفس الوقت، حتى أنها أحيانا لا تتجاوز السطر، وأحيانا تكون آية قرآنية قصيرة أو اقتباسا منها على ما سنورده فيما يأتي.

1- تعريف التوقيعات:

لغة: التوقيع في اللغة له عدّة معان، فيراد به مخالفة الثاني للأول، قال الأزهري: توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجعل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة، ويحذف الفصول، وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويوقعه يوجبه، والتوقيع في الكتاب إلحاق الشئ فيه بعد الفراغ منه.[1]

كما أن التوقيع معناه كذلك التأثير الخفيف، ومن ذلك قوله: ناقة موقّعة الجنبة؛ ‘ذا أثر فيها الرحل تأثيرا خفيفا، كما يعني الوقوع والإلزام، من قولهم وقع الأمر إذا حقّ ولزم، ومنه قوله تعالى: ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾[2] أي حقّ القول عليهم ولزم[3].

فمن خلال التعريف اللغوي نجد أن معنى التوقيع في اللغة يكاد يطابق التعريف الاصطلاحي، فإن الموقع على القصص من الخليفة أو غيره يؤثر في الكتاب تأثيرا خفيفا بلفظ وجيز بليغ لا يغير الكتاب عن أصله بالكلية، إضافة إلى ما يحمله هذا التوقيع من معنى المخالفة، فإن التوقيع يخالف الموقع به مضمون الكتاب.

اصطلاحا: أما في اصطلاح أهل الاختصاص فيعرفه القلقشندي بقوله: هو اسم لما يكتب في حواشي القصص بخط الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم، وخط كاتب السر الآن، ثم غلب حتى صار على من نوع خاص مما يكتب في الولايات وغيرها[4].

---

[1] - ابن منظور، المصدر السابق، ج 8، ص: 406.

[2] - سورة النمل، الآية: 87.

[3] - القلقشندي، ج1، ص: 53. ج11 ، ص: 114.

[4] - نفسه، ج11، ص: 114.

ويعرفه ابن خلدون في المقدمة بقوله: " ومن خطط الكتابة التوقيع؛ وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامُها والفصلُ فيها، متلقاةً من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه[1].

هذا بالنسبة لاصطلاح المتقدمين، ولقد ذهب بعض الباحثين المحدثين في ميدان الأدب وبلاغته إلى تعريفها بقوله:" هي عبارات فصيحة بليغة ترتبط بالواقع المعيش، ولها من المكانة بين فنون الأدب حق التفرد والامتياز، وهذا راجع إلى أصالتها واعتمادها على الإيجاز الذي هو أساس البلاغة العربية"[2].

فمما سبق من تعريفات للتوقيع، نجد أنه عبارة قصيرة من إنشاء الخليفة أو الوزير يؤثر بها في كتاب ما أو قصة، إما بكتابتها بنفسه، وهذا ما نجده عند الخلفاء الموحدين، أو يمليها على كاتب سره فيكتبها على القصة بخطه، ولقد انتشر هذا النوع من الكتابة في المشرق والمغرب منذ بداية الخلافتين الأموية والعباسية واشتهرت اشتهارا عظيما عند خلفاء هذه الأخيرة ووزرائها "فقد كان جعفر بن يحيى يوقع القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل أنها كانت تباع كل قصة منها بدينار"[3]

وإذا تتبعنا هذا النوع من الكتابة السلطانية في عهد الموحدين، نجد ثبتا غير يسير من توقيعات الخلفاء منذ تأسيس الدولة إلى آخرها في بطون المصادر المتخصصة منها والأدبية، وهي تدل دلالة واضحة على رسوخ قدم هؤلاء الخلفاء في بضروب الأدب وفنونه؛ إذ نجدهم صبغوها بإيجاز العبارة وبلاغتها، مع البراعة في مراعاة الحال من جعلها مطابقة ومناسبة لكل أمر وفي كل مقام، إضافة إلى الاعتماد في صياغتها على الاقتباسات الرائعة من جواهر الشعر وآي القرآن المعظم، و لاسيما توقيعات الخليفة المنصور الذي كان مضرب الأمثال في هذا الباب ، فضلا عن كثرة توقيعاته التي طفت على باقي التوقيعات .

ومن التوقيعات التي تمكن العثور عليها ما وقع به الخليفة عبد المؤمن بن علي على قصيدة بعث بها إليه كاتبه ووزيره الفاضل أبو جعفر بن عطية، يستعطفه فيها بسبب ما لاقاه من

---

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:260.

2 - عبد الغني الكساسبة، المرجع السابق، ص:183،183.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:260.

وحشة هجران الخليفة له بعد إقصائه، وذلك بسبب الوشايات التي أثيرت حوله؛ من تقريبه لبقايا المرابطين و تزوجه احد نسائهم، فوجد الوشاة السبيل بذلك إلى استئصال شأفته، فنظم أحدهم أبياتا طرحت في مجلس عبد المؤمن يقول فيها صاحبها[1] :

قـــل للإمام أطال الله مدتـــه ... قولا تبين لذي لب حقائقـــه
إن الزراجين قوم قد وترهـــم ... وطالب الثار لم تؤمن بوائقـــه
وللـــوزير إلى أرائهـــم ميـــل ... لذلك ما كثرت فيهم علائقهم

و لما وقف عبد المؤمن على هذه الأبيات وغر صدره على وزيره و تغيرت نفسه عليه، فكان أن وقّع على رسالة الوزير و شعره التي بعثها يستعطفه فيها و التي يقول في بعضها:

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد ... بان العزاء لفرط البث و الحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج ... و عطفة منكم أنجى من السفن

وقع عليها بقوله تعالى : ﴿**آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**[2]﴾[3].

ومن توقيعات الخليفة يعقوب المنصور؛ التي هي ابلغ و أشهر، أن المنصور طلب يوما من قاضيه أن يتخير له رجلين، عالمين احدهما لتعليم ولده و الآخر لحفظ أمر، فاتاه القاضي برجلين، وصف احدهما بأنه بحر في علمه، ووصف الآخر بأنه بر في دينه، غير أن المنصور لما اختبر حالهما و ما لديهما من علم قصرا بين يديه، و بدى له زيف دعواهما، فوقع على رقعة القاضي بقوله:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر[4]﴾[5].

ومن توقيعاته كذلك ما وقع به على كتاب الاذفونش الذي بعث به إليه يستفزه لحربه، و يستعرض عليه بقوته، و يبجح بكلام في هذا المعنى في رسالة طويلة منها: "...و قد علمت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل و التواكل، و إهمال الرعية و إخلادهم للراحة، و أنا أسوقهم لحكم القهر و خلاء الديار و اسبي الذراري و امثل بالرجال، و أذيقهم عذاب الهون و

---

[1] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص:129. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص226.
[2] - سورة يونس، الآية:91.
[3] - المقري، النفح، ج3، ص:101.
[4] - سورة الروم، الآية: 41.
[5] - نفح الطيب، ج3، ص: 367.

ل، و لا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة..." ، فلما قرأ كتابة، أخذته غيرت الإسلام، ثم أمر بقراءته على الموحدين، وعزم على الجهاد ثم دعا المنصور بولده وولي عهده ودفع إليه الكتاب وأمره أن يرد عليه الجواب، قه ووقع في ظهره:

ظيم: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم ﴾[1]، **والجواب ما ترى لا ما تسمع**، وكتب بيت المتنبي:

لا كتب إلّا المشرفيّة والقنا ولا رسل إلّا الخميس العرمرم.

كتاب إلى أبيه، فسرّ والده والذي لا يصدر مثله إلا عن عاقل أريب[2].

ن توقيعاته كذلك أنه أمر في سنة 582هـ القيِّم على أخويه زكريا وعمر وعمه تل كل من عمر وعمه سليمان دفنهما، وذلك لما ظهر عليهما من محاولة الخروج عن ما علم بهما المنصور عجل رجوعه من بجاية، فخرج يتلقيانه إلا أنه أمر بالقبض كبلين بالحديد، حتى إذا وصل مراكش كتب إلى القاضي القائم عليهما بقتلهما والصلاة عليهما، فقتلهما صبرا ودفنهما، وكتب يعلمه بذلك، ومما قال في يوصف يت قبريهما بالكدان والرخام، وجعل يذكر حسنِ هذين القبرين، فكتب إليه موقعا ه : **مالنا ولدفن الجبابرة، إنما هما رجلان من المسلمين، فادفنهما كيف يدفن عامة** .

ما وقع به المنصور لقوم أتوه بفيل من بلاد السودان كهدية إليه، فأثابهم على تلك كرمهم، وأحسن إليهم، وردّ عليهم فيلهم ووقع لهم بقوله: **نحن لا نريد أن نكون الفيل**[4]، ولقد كان المنصور إضافة إلى تبحره بالعلوم المختلفة وخاصة الأصلين والسنة، كان شاعرا مجيدا متبحرا في علوم العربية، ومن شعره إلى أصحاب مصر وينهاهم عن الحروب قوله:[5]

نمل، الآية: 37.

زرع، روض القرطاس، ص:221،220. المقري، النفح، ج3. ص:102.

سي، المعجب، ص: 353، 354،.

، نفس المصدر، ج2، ص: 100.

ت في النفح، ج3، ص: 102.

يأيـــها الراكـــب المزجي رقيــــة على غدافرة تشقــــــــى بها الأكم
بلغ سليـــماً على بعد الديـــــار بها بيني وبينكـــــــــم الرحمان والرحم
ياقومنا لا تشبوا الحرب إن خمـــدت واستمسكوا بعرى الإيمان واعتصمـــوا

ولذلك فلا غرابة في بلاغة توقيعاته والتي منها ما أثبتناه.

ومن بين شعراء السادة الموحدين وأدبائهم السيد لبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن؛ كان على ولاية بجاية، ثم على ولاية سجلماسة، وله علاقة مع ملك غانة حول مسالة تعويق التجار في بلده، وله في ذلك رسالة بليغة أثبتناها في مبحث مضامين الرسائل الرسمية الموحدية؛ وهي رسالة تنم عن أدبه الرفيع، كما له ديوان شعر ؛ مما يوحي بشاعرية هذا السيد وأدبه الرفيع، وإن مما حصلنا عليه من المصادر توقيع واحد.وقّع به لأحد عماله وقد كثرت شكاوي الرعية فيه لظلمه بهم فوقع له: **قد كثرت فيك الأقوال، وأغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال، وفي مبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك تنبيه إلى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر، فإنك على شفا جرف هار** [1].

ومن توقيعات المأمون ما وقع به على رقعة امرأة اشتكت إليه من جندي نزل دارها وآذاها، ووصلت رقعتها إليه فوقع عليها : **يخرج هذا النازل ولا يعوض بشئ من المنازل.** [2]

[1] : المقري، النفح، ج3، ص:105.
[2] : ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 227.

تراجـــم

1- أبو جعفر أحمد بن عطية

أولا: مولده ونشأته:

هو الكاتب الوزير أبو جعفر أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي، من أهل مراكش، وأصله القديم من طرطوشة ثم دانية، ولد بمراكش سنة سبعة وعشرين وخمسمائة[1]،ويذكر ابن الأبار ولادته سنة سبعة عشرة وخمسمائة بقرية قمرلة، ويعود أصله إلى قبيلة قضاعة العربية[2].

لا تزودنا المصادر التي بين أيدينا عن الحياة العلمية للوزير أبي جعفر بن عطية، وربما يعود ذلك إلى اعتناء الكتاب والمؤرخين بحياته الإدارية مع عبد المؤمن، إلا أن صاحب الإحاطة يذكر أنه أخذ العلم عن أبيه وعن طائفة كبيرة من أهل العلم في مراكش[3]، حيث كان أبوه من أهل الحفظ للحديث[4]، وبعد أن زاول دراسته دخل في خدمة المرابطين؛ إذ كان أبوه يشغل منصب كاتب العاهل علي بن يوسف بن تاشفين،حيث استطاع بعد اشتغاله بعمل ثانوي في هذه الإدارة أن يتفوق ويجلب الأنظار إليه بفضل ثقافته ونبوغه في مجال الكتابة، الأمر الذي سمح له بأن يتزوج ابنة أخ تاشفين ولي عهد علي بن يوسف[5].

ويصفه لنا ابن سعيد المغربي بقوله:" إمام الكتاب في صدر دولة عبد المؤمن، وعنوان طبقته[6]،وهو أول من سودته براعته و لم توجد بدا من اصطناعه صناعته كما قال ابن الأبار[7].

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص:127، 134.

[2]- هي قرية صغيرة على البحر الأبيض، جنوبي طركونة، وتسمى اليوم cambrila، وهي جنوب رأس سالو مباشرة، وهي تابعة لمركز ريوس في مديرية بركونة، وتبعد عن ريوس بمسافة 19كلم، وتبعد عن تركونة بعشرة كيلومترات إلى الجنوب. الحلة السيراء، ج2،ص:238. حاشية .

[3]- الإحاطة ج1، ص:128.

[4]- ابن خلدون، ج6، ص:274.

[5]- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، ص:321.

[6]- ابن سعيد المغربي، المرقصات المطربات، ص:17.

[7]- ابن الأبار، إعتاب الكتاب،ص:225.

... جعفر أحمد بن عطية

...: مولده ونشأته:

...كاتب الوزير أبو جعفر أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي، من أهل ...صله القديم من طرطوشة ثم دانية، ولد بمراكش سنة سبعة وعشرين ...ويذكر ابن الأبار ولادته سنة سبعة عشرة وخمسمائة بقرية قمرلة، ويعود أصله إلى ... العربية[2].

...ودنا المصادر التي بين أيدينا عن الحياة العلمية للوزير أبي جعفر بن عطية، وربما ...ى اعتناء الكتاب والمؤرخين بحياته الإدارية مع عبد المؤمن، إلا أن صاحب الإحاطة ...ذ العلم عن أبيه وعن طائفة كبيرة من أهل العلم في مراكش[3]، حيث كان أبوه من ...لحديث[4]، وبعد أن زاول دراسته دخل في خدمة المرابطين؛ إذ كان أبوه يشغل ...ب العاهل علي بن يوسف بن تاشفين،حيث استطاع بعد اشتغاله بعمل ثانوي في ... أن يتفوق ويجلب الأنظار إليه بفضل ثقافته ونبوغه في مجال الكتابة، الأمر الذي ...يتزوج ابنة أخ تاشفين ولي عهد علي بن يوسف[5].

...فه لنا ابن سعيد المغربي بقوله:" إمام الكتاب في صدر دولة عبد المؤمن، وعنوان ... أول من سودته براعته و لم توجد بدا من اصطناعه صناعته كما قال ابن الأبار[7].

... الإحاطة، ج1، ص:127، 134.

...رة على البحر الأبيض، جنوبي طركونة، وتسمى اليوم cambrila، وهي جنوب رأس سالو مباشرة، وهي تابعة لمركز ...ركونة، وتبعد عن ريوس بمسافة 19كلم، وتبعد عن تركونة بعشرة كيلومترات إلى الجنوب. الحلة السيراء، ج2،ص:238.

... ص:128.

...ج6، ص:274.

...، الجزائر في التاريخ، ص:321.

...بي، المرقصات المطربات، ص:17.

...تاب الكتاب،ص:225.

ثانيا: حياته الإدارية:

كان ابن عطية في بداية أمره يخدم أمراء المرابطين؛ إذ كتب في بداية أمره لعلي بن يوسف بن تاشفين، ثم عن ابنه تاشفين بن علي، ثم عن إسحاق بن تاشفين، وكان من أحظى كتابهم[1]، ولما قضى عبد المؤمن بن علي على دولة المرابطين، دخل أبو جعفر في لفيف الناس متخفيا، ثم انخرط في الجيش الموحدي في أحد فئات الرماة، إلا أن ابن خلدون يرى أنه تم القبض عليه من طرف الموحدين وشمله عفو عبد المؤمن[2]، وإن كان هذا فلا سبب في تخفي ابن عطية.

ومهما يكن من أمر هذا أو ذاك، فإن ابن عطية قد نال السؤدد والرئاسة والحظوة عند عبد المؤمن بسبب كتابته رسالة انهزام الداعي الماسي الثائر محمد بن عبد الله بن هود، الذي ظهر في رباط ماسة في منطقة السوس وكثر أتباعه فبايعته جميع القبائل، حتى لم يبق تحت عبد المؤمن إلا مراكش، فسير إليه عبد المؤمن الشيخ أبا حفص الهنتاتي في جيش عظيم من الموحدين، فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الماسي هذا، حيث قتله الشيخ أبو حفص بنفسه وهزم عسكره في ذي الحجة سنة 542هـ[3].

وبسبب هذا النصر العظيم وموقعه عند الأمير المنتصر أبي حفص، أراد إعلام الخليفة عبد المؤمن بما فتح الله عليه، وسناه به، فلم يلق في جميع من استصحبه من يوفي ما أراد، فأخبر بفتى من الرماة يخاطر بشي من الأدب والأشعار والرسائل فاستحضره، وعرض عليه كتابة النصر الذي مني به في رسالة إلى عبد المؤمن، غير أنه أنكر ذلك خوفا على نفسه بسبب خدمته للمرابطين، وتجاهل وأظهر العجز، إلا أن أبا حفص لم يقبل عذره نظرا لافتقاره إلى من يجسد له هذا النبأ العظيم وألح عليه بالأمر بالكتابة، فكان أن كتب رسالته المشهورة " التي أورثته تشريفا وتكريما، وصيرته، أغرا محجلا، بعد أن كان بهيما، وبسببها أوتر بكتابة الكلية

---

[1]- المقري، النفح، ج6، ص:154. ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص:128. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص:194، 238.

[2]- ابن خلدون، ج6، ص:274.

[3]- ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص:190. ابن خلدون ، ج6، ص:274. إلا أنه يذكر سنة هذه المعركة في 541.

والوزارة"[1]، فلما فرغ من كتابة رسالته وقرأها على أبي حفص اشتد إعجابه به وأحسن إليه، واعتنى به واعتقد أنه ذخر يتحف به عبد المؤمن[2].

ولهذا السبب نجد ابن الأبار يترجم لابن عطية بقوله:" صنيع الإيالة الحفصية على الحقيقة، ونشأة عنايتها الكريمة، وهدايتها العتيقة، بها بهاؤه، حتى الأيام بل الأنام بعصاه، واستوسق له أدنى الشرف وأقصاه"[3]، وذلك أن ابن الأبار نجده في كتابه الإعتاب يغتنم كل فرصة للإشادة بالحفصيين، خاصة إذا تعلق الأمر بجدهم بأبي حفص هذا، وذلك لأن كتاب الإعتاب ألفه في الاستعطاف للخليفة الحفصي ويستعتبه فيه.

ولما أنفذت هذه الرسالة إلى عبد المؤمن ثم قرأت بمحضر أكابر الدولة" استغربها الحاضرون من الطلبة والكتاب والفقهاء والنبهاء والشعراء، واستحسنها الخليفة لما فيها من وصف الحال بغاية الإبداع، وأنها أخذت من الفصاحة والبلاغة والتشبيه الغريب بالقلوب والأسماء، وأجمع البلغاء على إبداعها غاية الإبداع"[4]، وهي رسالة طويلة مما ذكر فيها ابن عطية:" كتابنا هذا من واد ماسة بعدما تجدد من أمر الله الكريم ونصره المعهود المعلوم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، فتح بهر الأنوار إشراقا، وأحدق في بنفوس المؤمنين إحداقا، ونبه من الأماني النائمة جفونا وأحداقا، واستغرق غايات الشكر استغراق، فلا تطيق الألسن لكنه وصفه إدراكا ولا لحاقا، جمع أشتات الطلب والإرب، وتقلب في النعم أكرم منقلب، وملأ دلاء الآمال إلى عقد الكرب:

فتح تفتح أبواب السماء له   وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ومنها كذلك في وصف الدعي الماسي: " فصرع بحمد الله لحينه، وبادرت إليه بوادر منونه، وأتته وافدات الخطايا عن يساره ويمينه،...فلما عاينوا هيئة اضطجاعه، ورأوا ما خطته الأسنة في أضلاعه...انهزم ما كان لهم من الأحزاب، وتساقطوا على وجوهم تساقط الذباب"[5]، ونظرا

---

[1]- ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص: 226.

[2]- الإحاطة، ج1،ص:128.

[3]- ابن الأبار، الإعتاب ،ص :226

[4]- ابن عذاري، البيان، ص:31، 32.

[5]- ابن الأبار الإعتاب، :227.ومنها فصول في الإحاطة ،ج1،ص:133، مع اختلاف بسيط في بعض ألفاظها. الاستقصاء، ج2،ص:111، 112.

لبلاغة هذه الرسالة وأسلوبها الباهر صنفها بن السعيد ضمن كتابه المرقصات المطربات الذي خصصه لعيون الأدب وجواهره[1].

فبفضل هذه الرسالة نبه مكان كاتبها، ووقع مكانه من قلب عبد المؤمن أي مكان فأوصى بعد ذلك الأمير أبا حفص بالاعتناء به والإحسان إليه، واستصحابه إلى الحضرة مكرما، ثم استخلصه لنفسه وقلده الكتابة عنه، ثم زاده إلى الكتابة الوزارة، ولذلك عد في الوزراء وفي الكتاب، وفي ذلك يقول صاحب المعجب:" فلما بلغت الرسالة عبد المؤمن استحسناها، استدعى أبا جعفر هذا واستكتبه، وزاده إلى الكتابة الوزارة؛ لما رآه من شجاعة قلبه وحصافة عقله"[2].

لقد كانت مكانة ابن عطية من عبد المؤمن عالية جدا، ونال عنده حظوة عظيمة، فانفرد بمجالسه ومسامرته، كما نال مكانة في المجتمع بسبب خصاله الحميدة وجده في السعي في مصالح الناس وقضاء حوائجهم؛إذ يصفه ابن الخطيب بقوله:" ...ولما دخل على عبد المؤمن سأله عن نفسه، وأحظاه لديه وقلده الكتابة، وأسند إليه وزارته، وفوض إليه النظر في أموره كلها، فنهض بأعباء ما فوض إليه، وظهر فيه استقلاله وعناؤه، واشتهر بأجمل السعي للناس واستمالتهم بالإحسان، وعمت صنائعه وفشى معروفه، فكان محمود السيرة، منحبّ المحاولات، ناجح المساعي، سعيد المأخذ، ميسر المآرب، وكانت وزارته زينا للوقت، كمالا للدولة"[3].

ومن أمثلة ما ذكره ابن الخطيب عن ابن عطية في قضاء مصالح الناس والإحسان إليهم ما ذكره صاحب المن في معرض ترجمته لكاتب أبي القاسم أخيل بن إدريس الرندي، الذي كان أحد الكتاب الملثمين؛ إذ أنه لما تغلب أبو الغمر بن عزون[4] على رندة[5]، تقبض عليه وسجنه، فكتب أبو جعفر الكاتب إلى أبي الغمر بن عزون بصرف ماله، عناية بأهله، وقضاء أوطاره

---

[1]- ابن سعيد، المرقصات المطربات، ص:17.

[2]- المراكشي، المعجب، ص:268. وأنظر كذلك: ابن خلدون، ج6، ص: 275. المقري، النفح ج6، ص:154.

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1،ص: 128.

[4]- صاحب مدينة شريش ورندة ثم لما نزل بها الموحدون خرج إليهم أبو الغمر هذا مع من معه من المرابطين، وبايعوا عبد المؤمن فكان ملوك الموحدين إذا قدم عليهم وفود الأندلس كان أول من ينادى منهم أنظر الناصري، الاستقصاء،ج2، ص: 104، 107. البيدق، أخبار المهدي، ص: 125.

[5]- ronda: مدينة قديمة تقع شمال جبل طارق على نهر ينسب إليها، وبقربها عين تعرف بالبراوة. الروض المعطار، ص: 79.

وآماله" ولم يزل أبو جعفر يعتني به ويحسن جميل مذهبه"[1]، وظل أبو جعفر على تلك الحالة من علو قدره وذكره بين الرعية والناس، وحسن التوسط لهم وللجند على ما لم يسبقه فيه أحد" ولا أدرك خالد ولا جعفر من الفضائل ما أدرك"[2].

ومن ضروب اختصاصه بعبد المؤمن ومنادمته له دون غيره ما ذكره صاحب المعجب من أن الوزير أبا جعفر دخل على أبي المؤمن وهو في بستان له أينعت ثماره، وتفتحت أزهاره، وكان الخليفة جلسا في قبة مشرفة على البستان، فتعجب أبو جعفر من حسن ذلك المنظر ورونقه، فقال عبد المؤمن له: يا أبا جعفر أراك كثير النظر إلى هذا البستان، فقال: يطيل الله بقاء أمير المؤمنين، والله إن هذا لمنظر حسن، فقال له الخليفة: يا أبا جعفر المنظر الحسن هذا؟، فقال: نعم، فسكت عنه الخليفة، فلما كان بعد يوم أو يومين أمر بعرض العسكر وهم أخذي أسلحتهم، وجلس في مكان مطل، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة، وكتيبة إثر كتيبة، ولا تمر كتيبة إلا والتي بعدها أحسن منها جودة سلاح، فراهة خيل، وظهور قوة، فلما رأى ذلك التفت الخليفة إلى أبي جعفر قائلا: يا أبا جعفر هذا هو المنظر الحسن لا ثمارك وأشجارك[3].

وامتاز الكاتب أبو جعفر ابن عطية بالفصاحة والبلاغة، فكان من أبلغ أهل زمانه وأشعرهم، مما يدل على ذلك ما ذكره المقري في النفح من أن ابن عطية مر مع الخليفة عبد المؤمن بأحد طرق مراكش، فأطلت جارية من شباك نافذة بارعة الجمال، فوقع حسنها من قلب عبد المؤمن موقعا، فقال عبد المؤمن لكاتبه مستجيزا:

قدت فؤادي من الشباك إذ نظرت.

فقال الوزير ابن عطية مجيزا له:

حوراء ترنو إلى العشاق بالمقل.

فقال عبد المؤمن:

كأنما لحظها في قلب عاشقها.

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 158.

[2]- ابن عذاري، البيان، ص: 32.

[3]- المراكشي، المعجب، ص: 270.

فقال الكاتب ابن عطية:

سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي.[1]

ولابن عطية عدة رسائل صادرة عن ديوان الإنشاء الموحدي على عهد الخليفة عبد المؤمن تدل على طول باعه في صناعة الكتابة والترسل الذي بدأ الاشتغال به عندهم منذ سنة 542هـ، ولقد عمل على مساعدة ابن عطية في وظيفته عدد من الكتاب خاصة بعد أن أسندت إليه مهام الوزارة وزادت أعبائها، فكتب معه كاتب أبو القاسم عبد الرحمان القالمي، من أهل مدينة بجاية، كما كتب معه كذلك أبو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش من أهل مدينة قرطبة[2]. ولم يستغن ابن عطية عن الكتابة بالوزارة؛ إذ صدرت له عدة رسائل في هذه الفترة[3].

ولقد دامت مدة ابن عطية في إدارة الموحدين مدة عشر سنوات كان له فيها عدة أعمال إدارية منها وحربية؛ إذ نجده يرافق الأمير أبا يعقوب يوسف إلى مدينة ألميرية لإنزال أهلها النصارى من قصبتها على الأمان وكتابة العهد لهم[4]، كما تولى قيادة الجيش الذي سيره عبد المؤمن للقضاء على أخوي المهدي إثر تمردهما عليه[5]، إلى غيرها من الأعمال الجليلة التي تدل على تفانيه في خدمة الموحدين إذ نجده" بعد في الدولة صيته، وقاد العساكر، وجمع الأموال، وبذلها، ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله أحد في دولتهم"[6].

ثالثا: نكبة الكاتب ابن عطية:

بعد أن أمر الخليفة عبد المؤمن ابنه السيد أبا يعقوب بالمسير إلى الأندلس صحبة الكاتب ابن عطية وإنزال أهل ألميرية لإنزال أهلها النصارى عن قصبتها على الأمان والتوجه بعد ذلك إلى إشبيلية، خلا الجو لحاسدي ابن عطية على مكانته وقربه من السلطان، وإطلاق يده في تصريف شؤون الدولة، وجدوا بذلك السبيل إلى السعي إلى الخليفة والوشاية به عنده، بادعاء

[1]- المقري، النفح، ج6، ص: 157.

[2]- المراكشي، المعجب، ص: 269.

[3]- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، الرسالة رقم: 1إلى الرسالة رقم 15.

[4]- ابن عذاري، البيان، ص: 56.

[5]- نفسه، ص: 51.

[6]- ابن خلدون، ج6،ص: 275.

أنه كان يقرب بقايا المرابطين منه وينتشلهم من خمولهم، وتذرعوا بزواجه من ابنة أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروفة بابنة الصحراوية، وأخوها هو يحيى فارس المرابطين المشهور[1]. إضافة إلى رمي أحدهم أبياتا بحضرة الخليفة من إنشاء مروان بن عبد العزيز" طليقه ومسترق اصطناعه" يقول فيها:

قل للإمام أطال الله مدته ... قولا تبين لذي لب حقائقه
إن الزراجين قوم قد وترهم ... وطالب الثأر لم تؤمن بوائقه
وللوزير إلى أرائهم ميل ... لذلك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم في إطفاء نارهم ... فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والاهم كهم ... فأحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم ... والحق أبلج لا تخفى طرائقه[2].

فلما وقف عبد المؤمن عند هذه الأبيات البليغة في معناها وغر صدره على وزيره وكاتبه أبي جعفر،وأسر له في نفسه تغيرا، فكان ذلك من أسباب نكبته، وقيل أن من أسباب نكبته؛ أن الخليفة أفضى إليه بسر فأفشاه ابن عطية فكان سبب ذلك[3].

ولما علم أبو جعفر بجملة هذه السعايات وهو إذ ذاك بالأندلس صحبة أبي يعقوب كما ذكرنا، بادر بالرجوع إلى مراكش لتقديم الحجج وشرح الموقف، إلا أن الخليفة لكثرة حنقه عليه لم يترك مجالا لذلك، فحجبه عنه، ثم سيق إلى المسجد في اليوم الثاني من قدومه حاسر الرأس، وأمر بسجنه مع أخيه أبي عقيل عطية بن عطية، ثم توجه عبد المؤمن إلى تينملل لزيارة قبر المهدي[4].

[1]- المراكشي المعجب، ص: 268.
[2]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص: 226. المقري، النفح، ص: 154، 155.
[3]- ابن الخطيب، الإحاطة،ج1، ص: 130.
[4]- رشيد بوروبية، الجزائر في التاريخ، ج3، ص:322.

رابعا: استعتاب أبي جعفر للخليفة واستعطافه له.

بعد أن تم سجن ابن عطية وأخيه أبي عقيل خاطب الكاتب أحمد بن عطية الخليفة بعدة رسائل وقصائد بليغة يستعتبه ويستعطفه لإقالة عثرته وهي رسالة تعتبر من لطائف الأدب وعيونه نظما ونثرا، بعث بها إليه، وهي مملوءة بالمغالاة في الخليفة عبد المؤمن والإمام المهدي ويقول في ذلك المقري:" ومما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفا له من رسالة تغالى فيه، فغالته المنية، و لم ينل الأمنية، وهذه سنة الله تعالى في من لم يحترم جناب الألوهية، و لم يحرص لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الأنبياء على غيرهم وعصمتهم"[1]، ومن فصول هذه الرسالة الشهيرة:" تا الله لو أحاطت بي كل خطيئة، و لم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود، وأنفت لآدم من السجود، وقلت أن الله لم يوح إلى الفلك إلى نوح، وبريت لقرار ثمود نبلا، وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا،...وقلت أن بيعة السقيفة لا توجب لإمام خليفة، وشحذت شفرة غلام المعيرة بن شعب...ثم أتيت حضرة المعصوم لائذا، وبقبر الإمام المهدي عائذا، لقد آن لمقالة أن تسمع وأن تغفر لي هذه الخطيئات أجمع:

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا بحمل قلوب هدّها الخفقان[2].

كما يذكر المقري مجموعة من الأبيات أرسلها مع ابن صغير له إلى الخليفة منها:

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد بان العزاء لفرط البث والحزم
قد أغرقنا ذنوب كلها لجج وعطفة منكم أنجى من السفن.

إلى أن يقول فيها:

أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وقد أوجدتهم أياد منك سابقة والكل لولاك لم يوجد ولم يكن.[3]

---

[1]- المقري، النفح، ج6،ص:155.

[2]-ابن الخطيب الإحاطة، ج1، ص: 130، 131.

[3]- المقري، النفح، ج6، ص: 156.

وكلها أبيات أغرق فيها ابن عطية في الغلو إلى حد الخروج عن ضوابط الاعتقاد، لم تجد نفعا في نفاذ قدر الله عليه، فكان أن وقع عليها الخليفة عبدالمؤمن بقول الله تعالى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

ومما كتب به من السجن كذلك يستعطف الخليفة قوله:

أنوح على نفسي أم أنتظر الصّفحا   فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى
فها أنا في ليل من السخط حائر ا   ولا أهتدي حتى أرى للرضا صبحا[2]

وله في أيام خموله بالمغرب يصف حاله:

أف لــــدنيا تقلبــت بي   تقلــب المسي والغــــدو
قد كنت فيما مضى عزيزا   مســـامي النجم في العــلو
فحالي الآن لــو رآهـــا   بكى لهــا رحمة عـــدوي[3].

إن كل هذه الاستعطافات النابعة عن الكاتب أبي جعفر لم تمنع الخليفة من استصحابهما إثر زيارته قبر المهدي، ثم انفاذ الأمر بقتلهما وقت انصرافه من وجهته قافلا إلى مراكش، وذلك في ليلة بقية من صفر سنة 553هـ[4]، أو في شوال سنة 552هـ.[5] والذي يظهر أن ابن عطية توفي في أواخر سنة 552هـ وذلك نظرا لعثورنا على رسالة للكاتب أبي الحسن ابن عياش في منتصف سنة 553هـ.[6]

وبذلك فقد الكاتب ابن عطية أكبر الأدباء في عصره الذين لهم التصرف التام في الشعر والنثر؛ إذ أثاره كلها تتكافأ بلاغة وانسجاما ، ولقد شهد له عبد المؤمن بذلك، وبعلو كعبه في ميدان الفصاحة إذ امتحن الشعراء بهجوه، فلما اسمعوه ما نظموا في ذلك أعرض عنهم وقال:" ذهب ابن عطية، وذهب الأدب معه"[7]، وبالجملة" فالرجل كان نسيج وحده رحمه الله تعـــالى

---

[1]- سورة يونس، الآية رقم 91.

[2]- الأبيات في النفح، ج6، ص: 157.

[3]- ابن الأبار الحيلة السيراء، ج2،ص: 226.

[4]- الإحاطة، ج1، ص: 135. الحلة السيراء، ج2، ص: 238. العبر، ج6،ص: 275.

[5]- روض القرطاس، ص: 196.

[6]- ليفي بروفنسال، الرسالة رقم:18.

[7]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص:167.

وسامحه، وقصة لسان الدين تشبه قصته، وكلاهما قد ذاق من الذل بعد العز غصته، وبدل الدهر نصيبه من الوزارة وحصته، بعد أن اقتعد ذروة الأمر ومنصته، رحم الله تعالى الجميع، إنه مجيب سميع"[1].

2-أسرة بني عياش و الكتابة:

من أهم الأسر التي ذاع صيتها في إدارة الدولة الموحدية، ونال أفرادها حظوة عظيمة وجاها كبيرا عند الموحدين، ومن خلال استقراء التراجم المتناثرة، والمتعلقة ببني عياش يمكننا أن نميز بين أسرتين اثنتين خدمتا بني عبد المؤمن بالكتابة عنه، أحدهما أسرة الكاتب أبي الحسن عبد الملك بن عياش، حيث تذكر المصادر كتابة هذا الأخير وابنه أبي محمد عياش عن الخلفاء الموحدين كما سنذكر لاحقا، والأسرة الثانية، هي أسرة الكاتب الشهير والفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عياش التجي البرشاني، الذي خدم ملوك الموحدين ما يزيد عن ثلاثين سنة، وقد خدم معه ابنيه أبو جعفر أحمد بن عياش وأخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن عياش، وذلك خلاف ما يتبادر إلى الأذهان من خلال تردد كلمة بني عياش في المصادر من أنها أسرة واحدة.

أولا: أسرة أبي الحسن بن عياش.

أبو الحسن عبد الملك بن عياش.

مولده ونشأته:

هو أبو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأسدي، القرطبي، كان أبوه قد سكن قرطبة فنشأ بها أبو الحسن ابنه، وأصل سلفه وأجداده من مدينة يابرة[2]، أما عن تاريخ ميلاده فلم تزودنا المصادر التارخية التي بين أيدنا بذلك.

نشأ عبد الملك منذ صغره بقرطبة،وأخذ في طلب العلم عن علمائها، وعلى رأسهم وأولهم أبوه عياش بن فرج بن عبد الملك، بل كان يقرئ أبوه من دروس في حلق العلم، فكان أول ما أخذ عن أبيه، وروى كذلك عن أبي عبد الله بن مسعود، وابن أبي الخصال، وأبي

---

1 - المقري، النفح، ج6، ص: 159.

2 - ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج5، ص:26. ابن الأبار، التكملة، ج3، ص:82.

القاسم بن بشكوال،[1] فكان الحديث والفقه من أول ما ظهر فيه، وروى به فقد ذكر أنه روى قطعة صالحة من الحديث والفقه، كما كان تحصيله لعلوم اللغة ولطف الآداب من علامات بروزه في النظم والنثر[2]. ثم تصدر بعد تحصيله للإلقاء والتدريس، فروى عنه جماعة منهم ابنيه أبي الحسن علي، وأبو محمد عبيد الله، وأبي جعفر بن يحيى، وأبي عبيد البكري، وأبي محمد بن شعيب القرطبي.[3]

كان ابن عياش أديبا كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، من المبرزين المجدين في النظم والنثر، المحسنين له، المتصدرين فيه، إضافة إلى حسن خطه الذي وصفه ابن عبد الملك بقوله:" كان بارع الخط، جميل الوراقة"[4]، وقال فيه ابن الأبار:" وكان عبد الملك مع تقدمه في الآداب وتصرفه في النثر مشاركا في النظم، من أبرع الناس خطا وأحسنهم وراقة"[5] .

لقد كان لنشأة عبد الملك العلمية الدينية على يد أبيه ومشايخه الذين أخذ عنهم أثر في حياة وتربيته، فقد كان فاضل الأخلاق، دينا، عرف في صدر عمره بالزاهد نظرا لورعه وتقواه وترفعه عن الدنيا والزهد في ملذاها، وذلك حسب ما يصفه ابن عبد الملك إذ يقول:" ولم يزل على خير حال واستقامة طريقة صدر عمره، حتى كان يعرف بالزاهد لورعه وفضله"[6].

ثانيا: حياته الإدارية:

كتب أبو الحسن بن عياش في بداية أمره للقاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن حمدين قاض الجماعة بقرطبة[7]، وحظي عنده، واستخلصه لنفسه لما تقرر عنده من موجبات ذلك، ثم فر أبو الحسن بعد ظهور الفتنة من قرطبة ولحق بإشبيلية، فأقام ها منقطعا إلى العبادة في بعض

---

[1]- الذيل، ج5، ص:26.
[2]- التكملة، ج3، ص: 83.
[3]- الذيل، ج5، ص:27.
[4]- نفسه، نفس الصفحة.
[5]- التكملة، ج3، ص:83.
[6]- الذيل ج5، ص:27.
[7]- هو القاضي حمدين بن حمدين التغلبي، ولي قضاء قرطبة في شعبان سنة 25هـ، وهو الذي اتصلت به الفتنة التي فر فيها ابن عياش هذا من خدمته، إذ أنه بعد توليه القضاء في السنة المذكورة صرف عنه بأبي القاسم بن رشد وذلك سنة 532هـ، ثم لما استعفي ابن رشد، وأعفي، أعيد إلى القضاء ثانية، ثم صرفت إليه الرئاسة عند اختلال أمر المرابطين وقيام ابن قسي عليهم بغرب الأندلس وهو على قضاء قرطبة، ودعي له بإمارة سنة 539هـ، وتسمى بأمير المؤمنين المنصور بالله، ويقال إن ولايته كانت أربعة عشرة شهرا، ثم استقر بمالقة إلى أن توفي، وأعقابه=

روابط قراها، معتمدا في قوته وزاده وما يحتاجه من ذلك على أحد أصدقائه يسمى أبي الإصبع الباجي، نظرا لعلمه بطيب مكسبه نظرا لوراثته إياه عن أسلافه[1].

ثم كتب بإشبيلية لعاملها الموحدي أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي على كره، نظرا لخدمته، المرابطين وقضاة بني حمدين تقية على نفسه، ثم كتب بعد أبي إسحاق هذا للسيد أبي حفص بن عبد المؤمن، ومما كتب عنه رسالته من ظاهر مرسية بعد هزيمة ابن مردنيش في معركة الجلاب[2]، ثم انتقل أبو الحسن مع مخدومه السيد أبا حفص بن عبد المؤمن إلى تلمسان لما انتقل إليها على جهة التأديب والتعليم[3].

يبدو أن عبد المؤمن بن علي قد استدعاه بعد نكبة وزيره أبي جعفر بن عطية وذلك لورود رسالة له مؤخرة في رجب سنة 553هـ في مجموع بروفنسال[4]، فيكون قد كتب له مع الكاتب أبي القاسم القالمي[5]، ثم بعد ذلك عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وهو والي عن إشبيلية[6]، واستمر في كتابته ليوسف بن عبد المؤمن أيام خلافته إلى غاية وفاته[7]، ومما كتب عنه في هذه الفترة ثلاث رسائل، وهي مؤرخة ما بين سنة560هـ وأواسط سنة564هـ[8].

لقد كانت الكتابة عن السلاطين سبب لتغير حال أبي الحسن وعدوله عن الزهد والورع إلى إتباع الهوى، وهذا ما أشار إليه كل من ابن الأبار وابن عبد الملك، وفي ذلك يقول ابن عبد

=بمدينة سلا، من العدوة المغربية، النبهاني أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجدامي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ/1995.ص: 135، 136. عن ثورة ابن قسي، أنظر: أعمال الأعلام، ص: 248.

[1]- الذيل، ج5، ص: 27.

[2]- كانت هذه المعركة بين الجيش الموحدين و الثائر بن مردنيش وصهره ابن همشك، سنة 560هـ، بموقع يسمى فحص الجلاب بين مورسية ولرقى، وكان من آثارها تراجع هذا الثائر إلى مروسية التي حوصر فيها ما بعد، فأرسل بذلك السيدان أبو حفص وأبو سعيد ولدا الخليفة هذه الرسالة من ظاهر مورسية حول هذا الانتصار إلى إشبيلية وإلى الحضرة. أنظر المنُ بالإمامة، ص ص:195-209. وأحمد العزاوي، مرجع السابق، ج1،ص:89.

[3]- روض القرطاس، ص: 194. الحلل الموشية، ص: 151، والذي يلقبه بأبي الإصبغ بن عياش.

[4]- الرسالة رقم 18.

[5]- العزاوي، ج1، ص:20.

[6]- الذيل، ج5، ص:27.

[7]- التكلمة، ج3، ص:83.

[8]- العزاوي، ج1، ص: 89، 94، 121.

الملك:" ثم شب في صحبة الملوك بالكتابة عنهم، وارتسم في جملة خدامها، وعدل عن طريقتها الأولى المثلى"، وهو يقصد بطريقتها الأولى زهده وورعه، ويقول ابن الأبار في ذلك:" ثم

استخدمه السلطان بعد ذلك في الكتابة فنال دنيا عريضة، وعدل عن طريقته الأولى" وهو يقصد بها كذلك زهده وورعه الذي كان قبل خدمة السلاطين[1]. ولقد أثر عنه في ذلك شعرا، فقد ذكر صاحب الذيل ما رواه أبو الإصبغ الباجي صاحبه؛ أنه دخل عليه يعوده في مرضه الذي توفي منه قبل وفاته بثلاث أيام، فأنشده متندما على أفعاله وسوء انقلابه قائلا:

عصيت هوى نفسي صغيرا فعندما — رمتني الليالي بالمشيب والكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني — خلقت كبيرا وانتقلت إلى الصغر[2].

وقيل أن ابنه أبا الحسن علي قال في معنى ذلك:

أبي قال قولا سار في البدو والحضر — وخلف في الباقين ذكرا وقد غبر
وأسلف احسانا أوان اقتباله — وخاف من التقصير في حيز الكبر
لذلك ما والى أنينا وزفرة — وأصبح يهوى أن يعاد إلى الصغر
هنيئا له إذ لم يكن كابنه الذي — أطاع الهوى في الحالتين وما ائتمر[3]

وذكر ابن صاحب الصلاة أن سبب هذه الأبيات لأبي الحسن في شربه الرُّب وطربه بذلك، وأنه قبل ذلك في صغره لا يشرب ولا يطرب[4].

ثالثا: كتابته وترسيله:

كانت كتابة أبي الحسن بارعة، وشعره رائق، ومن ذلك ما خاطب به القاضي بن أبي بكر قائلا:

يا من ترنح للعلياء معطفه — ترنح الغصن بين الريح والمطر
ومن إذا حاجة راحت براحته — أذكى لها أعينا ندت عن السهر.

[1]- الذيل، ج5، ص: 27. التكملة، ج3، ص: 83.
[2]- المقري، النفح، ج5، ص: 240.
[3]- الذيل، ج5، ص: 28. والبيت الأخير في النفح بلفظ، في حالتيه ما اعتبر،ج5، ص: 240. وهو في التكملة بلفظ في الحالتين ما اعتذر، ج3، ص: 83.
[4]- ابن صاحب الصلاة، ص: 452.

لا أعدمنك إنتهاضا لي بمثقلة في مثلها أحجم المقدار من خور
حملتها لم تلد فيها بمعذرة في ساعة لاذا فيها القوم بالعذر

بل بسطت لها، دام عزك، يد الاستدعاء، وبوأتها كفن الاسترعاء، وشريت بها ناصع الشكر وخالص الذكر، حرصا على فضيلة بعقد بكمتك، وتنتسب إلى شرف همتك، وتثق في معرض الابتياع في وفور ذمتك، وما أخبرت إلا عن ما أعطى الاختبار حقيقته، وأبرز شقيقته، وحسبي وقد وضعت عنك أصرا من أصاري، وأقمت بك عمدا استظهاري، وجعلتك في حاجت النفس مركز مداري، فألفيتك حيث ألقى الأمل بجرانه، وقد صار عاكف لحظه وواقف إنسانه، سميعا للنداء سمحا بصفة الابتداء، فاستوجبت الشك حقا مكتوبا، واقتضيته أنواعا وضروبا، وشغلت به الأوقات لزوما ودءوبا، والسلام الأتم يخصكم ورحمة الله وبركاته"[1].وذكر المقري في النفح قال: حدثنا الشيخ أبو الحسن بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله أنه قعد مع صهره أبي الحسن بن عبد الملك بن عياش، على البحر وهو مضطرم الأمواج فقال أبو الحسن أجز:

وملتطم الغوارب موجته بوارح في مراكبها غيوم.

فقال صهره أبو عبد الله:

تمنع لا يعوم به سفين ولو جذبت به الزهر النجوم[2]

رابعا: وفاته:

توفي الكاتب الجليل أبو الحسن بن عياش سنة 568هـ بإشبيلية ليلة الأربعاء غرة جمادي الآخرة، وصلى عليه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، وكانت جنازته مشهودة، وذكر ابن الأبار أن وفاته كانت بمراكش وليس بإشبيلية[3].

*ابنه أبو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش:

خلف أبو الحسن بن عياش ولدين اثنين وهما أبو الحسن علي، وأخوه أبو محمد الذي يسميه صاحب الذيل بعبيد الله،بينما يسميه المراكشي بعياش، فهو بذلك أبو محمد عبيد الله أو عياش

[1]- الذيل، ج5، ص: 30.
[2]- النفح، ج4، ص: 236.
[3]- الذيل، ج5، ص: 30. المقتضب من تحفة القادم، ص: 108. التكملة، ج3، ص: 83.

بن عبد الملك بن عياش[1]، ولم تتحدث المصادر الذي أمكن الإطلاع عليها إلا ما ذكره ابن عبد الملك من أن ابني أبي الحسن عبد الملك بن عياش قد رويا عنه، فيكون بذلك قد تتلمذ على يد أبيه أولا وحصل ما كان يسمع ويروي من علوم الحديث والفقه، إضافة إلى نتف الأدب، وقطع النظم والنثر[2].

وقد تولى منصب الكتابة أولا عن الخليفة عبد المؤمن بن علي إذ كتب له مع الكاتب الجليل أبو القاسم عبد الرحمن القالمي من أهل مدينة بجاية[3]، واستمرت كتابته لابنه أبي يعقوب يوسف، فكتب له مع القالمي المذكور بإضافة أبي الفضل محشرة،[4]

ولم تتوفر لدينا أخبار عن حياته العلمية أو الإدارية، ولا عن تاريخي ميلاده ووفاته، غير أننا لا نجد له ذكرا ضمن كتاب الخلفاء بعد كتابة بأبي يعقوب يوسف الموحدي

* ابنه أبو الحسن علي بن عياش:

لقد ذكر المراكشي كتابته للخليفة الناصر أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف المنصور، كتب له مع أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عياش الكاتب المشهور الآتية ترجمته بعد هذا، ومع أبي عبد الله محمد بن يخلفتن الفازازي[5]، ثم كتب بعد ذلك للخليفة أبي يعقوب المستنصر، وكانت وفاته سنة 619 هـ، مع أبي عبد الله بن عياش، يقول المراكشي: "ثم اتصلت بي وفاة هذين الكاتبين وأنا في الديار المصرية في شهور سنة 619هـ"[6]

1- الذيل، ج5، ص: 26. المعجب ص: 269.

2- الذيل، ج5، ص:26.

3- المعجب، ص: 269.

4- نفسه ص: 316، 317.

5- المعجب، ص 391.

6- المراكشي، المعجب، ص: 406.

ثانيا: أسرة أبي عبد الله بن عياش:

*أبو عبد الله بن عياش:

أولا: مولده ونشأته:

هو محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عياش التجيي البرشاني[1]، يكنى أبا عبد الله، كاتب الخلافة الموحدية، وأصله من سرقسطة، ثم سكن بعد ذلك مدينة مراكش، وتصرف بتصرف ملوكها[2].

ولد أبو عبد الله بن عياش في مدينة برشانة، ونشأ بها، وكان مولده بها سنة 550هـ[3]، وذكر في الذيل أنه ولد سنة 505هـ، وهو خطأ[4]، أخذ العلم في شبيته عن طائفة من رجال الأندلس من بينهم أبو عبد الله بن حميد، وأبو القاسم السهيلي وأبو القاسم بن حبيش، ويبدو أنه كان من أهل الإتقان للقراءات السبع وتدريسها، وذلك ما ذكره بن عبد الملك في ترجمته لأبي القاسم البلوي، من أنه أخذ القراءات السبع عن طائفة م العلماء ومن بينهم أبو عبد الله بن عياش، وفي ذلك يقول صاحب الذيل: "وتلا بالسبع ـــ أي البلوي ـــ عن أبي مقدام، وسمع عن أبي إسحاق بن الشرفي... وأبي الحجاج أحمد بن عياد الملياني، وأبي عبد الله بن عبد العزيز بن عياش"، إضافة إلى تمكنه في علوم اللغة والآداب، ويبدو أنه طلبها أولا وكانت مما كان يدرسه ويلقيه، إذاك علم لا ينبغي أن يقصر عنه من اتخذ الكتابة عن الخلفاء مهنة، وهناك إشارة في ترجمة البلوي السابق الذكر تدل على ذلك إذ يقول بن عبد الملك: "كان البلوي أديبا بارعا صاحب منظوم ومنثور سهل الارتجال... وكان ينحو به طريقة شيخه أبي عبد الله بن عياش[5]، كما كان أبو عبد الله بن عياش صديقا حميما لعبد

---

[1]- برشانة: عمل من أعمال المبرية، وهي حصن على مجمع نهرين وهي من أمنع الحصون في الأندلس، الروض المعطار، ص 88.

[2]- الذيل، ج6، ص 384. الإحاطة، ج2، ص 397. التكملة، ج2، ص 116.

[3]- التكملة، ج2، ص: 116.

[4]- الذيل، ج6، ص، 387.

[5]- الذيل، ج1، ص 455..

الملك صاحب الذيل والتكملة، كما يذكر ذلك بنفسه إذ يقول: "أخبرني صديقنا الفاضل أبو عبد الله بن عياش..." [1].

كما حدث بالإجازة عن عتيق بن أحمد بن عبد الرحمان الأزدي، ذكر ذلك صاحب الذيل عند ترجمته لهذا الأخير قائلا : "وحدث عنه بالإجازة أبو عبد الله بن عياش" [2]. تصدر أبو عبد الله بعد ذلك التدريس فكان ممن أخذ عنه وروى له، ابناه أبا جعفر وأبا القاسم عبد الرحمان، كما روى عنه أبو جعفر بن شعبان، وكان له اتصالات مع الشيخ الكاتب أبو القاسم البلوي.

ثانيا: صفته:

لقد امتاز الكاتب أبو عبد الله محمد بن عياش، بصفات وخصال حميدة، جعلت المترجمين له يثنون عليه، ومن ذلك خدمته للغير بماله وجاهه، الذي اكتسبه من مهنة الكتابة عن الخلفاء، وجملة هذه الخصال ذكرها ابن الخطيب في قوله: "كان كاتبا بارعا، فصيحا، مشرفا على علوم اللسان، حافظا للغات والآداب، جزلا، سري الهمة، كبير المقدار، حسن الخلق، كريم الطباع، نفاعا بجاهه وماله، كثير الاعتناء بطلبة العلم والسعي الجميل لهم، وإفاضة المعروف على قصّاده، مستعينا على ذلك بما نال من الثروة والحظوة والجاه عند الأمراء من بني عبد المؤمن، إذ كان صاحب القلم الأعلى على عهد المنصور وابنه، رفيع المترلة والمكانة لديهم، قاصدا الإعراب في كلامه، لا يخاطب أحدا في كلامه مع الناس على تفاريق أحوالهم إلا بكلام معرب، وربما استعمله في مخاطبة خدمه وأمته، من حوشي الألفاظ ما لا يكاد يستعمله ولا يفهمنه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم، عادة ألفها واستمرت حاله عليها" [3]. ووصفه ابن الأبار في التكملة بقوله: "... وعني بالآداب وكان عالما بها رئيسا في صناعة الكتابة، خطيبا مصنفا، بليغا مفوها، ذا حظا صالحا من قرض الشعر، وكان له مشاركة في غير ذلك [4]"، ووصفه ابن

[1]- الذيل، ج5، ص 118.

[2]- نفسه، ص، 115.

[3]- الإحاطة، ج2، ص 337. الذيل، ج6، ص 385.

[4]- التكملة، ج2، ص 116.

سعيد بقوله: "كاتب ناصري وغيره من بني عبد المؤمن، وواسطة عقد ترسله"[1]، ووصفه في المغرب بقوله: "وكان والدي يصفه بالمروءة ويثني عليه"[2].

ثالثا: حياته الإدارية:

لقد بدأت حياة ابن عياش الإدارية بالكتابة عن الوالي السيد أبي حفص عمر بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالرشيد والي مرسية، على عهد الخليفة الناصر، غير أن الرشيد ظهر منه سوء تصرف وظلم للرعية واستهتار بالدماء مما أدى إلى نكبته مع السيد أبي الربيع سليمان بن عبد المؤمن والي سجلماسة سنة 584هـ، بعد اعتقالهما في رباط الفتح بسلا[3]،فلما كانت نكبته وضرب عنقه طلب الناصر جميع أصحابه وعماله ومن بينهم الكاتب أبو عبد الله ابن عياش، فاختفى ابن عياش وتستر وقاسى من شدة ذلك، وروى ابن سعيد أنه قال من فرط خوفه وترقبه:

بئس الحياة لخائف مترقب ... لم يلف في تخليصه من مذهب
قد علقت أبواب كل شفاعة ... في وجهه جورا ولما يذنب
ما ذنب من وفى بخدمة من به ... رف النيم وذاق عذاب المشرب
يا شمس قد أثر في بدر الدجى ... وخسفته لا تحلفن بكوكب[4]

وفي ذلك يقول ابن الأبار في الإعتاب:" قبض على مخدومه الملقب بالرشيد في سنة أربع وثمانين وخمسمائة، واعتقل برباط الفتح من سلا إلى أن قتل هناك، واستتر هو مدة، ثم صفح عنه فظهر واستكتب بمراكش"[5]، فكانت الأبيات سالفة الذكر هي سبب عفو المنصور عنه واستكتابه لما وقف عليها وقرأها[6]، غير أن ابن الأبار يرجع سبب العفو من طرف أمير المؤمنين واستكتابه وتقريبه هو الرسالة التي كتبها في غزو بلاد الروم سنة592هـ، وفي ذلك

---

[1]- ابن سعيد، المرقصات المطربات، ص: 18.
[2]- المغرب، ج2، ص: 67.
[3]- ابن عذاري، البيان، ص 198. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 289. ابن الأبار، الإعتاب، ص: 55.
[4]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 67.
[5]- ابن الأبار، الاعتاب، ص:55.
[6]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 67.

يقول:"...وكان الداعي بعد نكبته إلى استعماله ما عرف من كفايته واستقلاله، ورسالته في غزو بلاد الروم سنة 592هـ، هي جذبت بضبعه، وحكمت في نصبه للاشتغال برفعه،حتى رسا في الرياسة أركانا، وسما على أهل عصره مكانا"[1].

فيكون بذلك قد كتب للخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور ولابنه الناصر، وحفيده المستنصر، وكان لكتابته عن الموحدين أهمية في إدخال بعض التعديلات على أساليب الكتابة الديوانية، إذ يذكر صاحب المعجب أنه كانت له طريقة غير طريقة من سبقه من الكتاب من تحرير الرسائل،إذ يقول :" ولم يكتب لهم –أي الموحدين- منذ قيام أمرهم، أعني من كتبة الإنشاء من عرف طريقتهم وصب في قالبهم، وجرى على مهيعهم وأصاب في أنفسهم كأبي عبد الله بن عياش هذا،فإن القوم لهم طريقة تخالف طريقة الكتاب، ثم جرى الكتاب بعده على أسلوبه، وسلكوا مسلكه لما رأوا من استحسانهم لتلك الطريقة"[2].

وكان من أهم أعماله الإدارية إلقاؤه بيعة الخليفة أبي يعقوب المستنصر، وكان ذلك من اختصاصات الكتاب كما ذكرنا،وفي ذلك يقول صاحب المعجب:" شهدت ذلك اليوم وأبو عبد الله ين عياش الكاتب قائم يقول للناس:تبايعون أمير المؤمنين ابن أمراء المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع وطاعة في المنشط والمكره، واليسر والعسر،والنصح له ولولاته ولعامة المسلمين هذا ما له عليكم،ولكم عليه ألا يجمر بعوثكم، وألا يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته، وأن يعجل لكم عطاءكم، وألا يحتجب دونكم، أعانكم الله على الوفاء، وأعانه على ما قلد من أموركم، يعيد هذا القول لكل طائفة إلى أن انقضت البيعة"[3].

وقد نال ابن عياش بخدمته بالكتابة خلفاء الموحدين حظوة كبيرة وجاها عظيما، ودنيا عريضة، فقد أثر عنه أنه استخدمها في حاجات الناس وقضاء أوطارهم، كما استعمل جاهه في التوسط للناس عند الولاة والخلفاء، وفي ذلك يقول تلميذه أبو القاسم البلوي: كنت أخف إليه

---

[1]- ابن الأبار، الاعتاب، ص:55.

[2]- المراكشي، المعجب،ص: 339.

[3]- المراكشي، المعجب، ص:407.

وأشفع عنده في كبار المسائل فيسرع في قضائها[1]،وفي سياق ذلك يذكر ابن عبد الملك قصة وقعت لابن القاسم البلوي مع ابن عياش جملتها أن البلوي عرضت لبعض أصحابه من الأندلس حاجة مهمة كبيرة فسعى له في قضائها، فذهب إلى ابن عياش وكان لازما بيته لعلة أصابته فقال:" ...فدخلت عليه عائدا، فأطال السؤال عن حالي وتبسط معي في الكلام مبالغة في تأنيسي، فأجلت ذكر تلك الحاجة، ورغبت منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها، وكان مضطجعا فاستوى جالسا وقال لي: جهل الناس قدري يا أبا القاسم؟ وكررها ثلاثا، أفي مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين؟ هات الدواة والقرطاس، فناولته إياهما فكتب برغبة ظهيرا ورفعه إلى السلطان، فصرف في الحين إليه معلما عليه، فاستدعاني ودفعه إلي وقال لي: يا أبا القاسم لا أرضى منك أن تحجم عني في التماس قضاء حاجة تعرضت لك خاصة، وإن كانت لأحد معارفك، كبرت أو صغرت، فألتزم قضائها وعليا الوفاء، فإن لكل مكتسب زكاة، زكاة الجاه بذله"[2].

ولقد كتب ابن عياش للخليفة المنصور بعد وفاة كاتبه ابن محشرة[3]، التي كانت سنة 598هـ[4]، فبذلك يمكن أن يكون هذا التاريخ هو بداية كتابته عن المنصور، ويبدو أنه كان يساعده الكاتب الشهير أبو القاسم القالمي من مدينة قالم أحد أعمال بجاية، وذلك ما يتضح من القصة التي ساقها صاحب الإحاطة من أن الكاتبين أبي عبد الله بن عياش وأبي القاسم القالمي عرضا على المنصور كتابين في أحد غزواته، وكان ابن عياش بارع الخط والقالمي ركيكة، إلا أن القالمي يفضله في البلاغة فقال المنصور: أي كتب لو كان بهذا الخط، وأي خط لو كان بهذا الكتب، فرضي القالمي وسخط ابن عياش ورمى بالكتاب من يد المنصور في كانون الجمر، فغضب المنصور لذلك لولا ابتدار أحد الأشياخ بالاعتذار له لمساسه في وسيلة جاهه وماله، فقبل المنصور ذلك وأحسن إليه[5].

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ص:338.

[2]- ابن عبد الملك، الذيل، ج6، ص: 386.

[3]- المراكشي، المعجب، ص: 338.

3- ابن الأبار، التكلمة، ج4، ص: 58.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص:338.

ومن بعض أخباره مع مخدومه المنصور الدالة على جلالة قدره، أنه كتب يوما كتابا ليهودي وكتب فيه:" يحمل على البر والكرامة" فقال له المنصور من أين لك أن تقول في كافر يحمل على البر والكرامة.ففكر مليا ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه" وهذا عام في كافر وغيره،فقال المنصور نعم هذه الكرامة، فالمبرة من أين أخذتها؟ فسكت ابن عياش، فقرأ المنصور بعد تعوذه: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾[1]، فقال ابن عياش: فشهدت بذلك وشكرته[2]، وهذا يدل على علم الخليفة المنصور وثقافته الواسعة كما يدل على جلالة قدر ابن عياش.

ثم كتب ابن عياش بعد المنصور عن الخليفة الناصر، وكتب له معه أبو الحسن علي بن عياش، بن عبد الملك بن عياش الذي كتب أبوه عبد الملك للخليفة عبد المؤمن، وكتب له معهما أبو عبد الله محمد ابن يخلفتن الفازازي الكتاب المشهور[3]، ودامت كتابته للخليفة المستنصر إلى غاية وفاته سنة 619هـ[4].

رابعا: كتابة ابن عياش وترسله:

لقد صدر عن ديوان الرسائل الموحدي عدة كتب بقلم الكاتب أبي عبد الله ابن عياش تدل على مكانته ورسوخه في هذا الفن، ومن ذلك رسالتين كتبهما عن الخليفة المنصور إحداهما إلى أهل مراكش حول نكبة ابن رشد، أخرى إلى طلبة الموحدين[5]، كما صدر عنه ثلاث رسائل في عهد الناصر، واحدة حول فتح المهدية واسترجاعها من يد الملثمين، والثانية حول الاختصار على ميورقيين بتاجرا، والثالثة حول فتح الجزر الشرقية، كما كتب رسالتين

---

[1]- سورة الممتحنة، آية 08.

[2]- ابن الخطيب الإحاطة، ج2، ص:339.

[3]- أنظر ترجمته في التكملة، ج2، ص: 164.

[4]- المراكشي، المعجب، ص: 406.

[5]- أحمد العزاوي، الرسائل، ج1، ص: 206.

عن المستنصر، واحدة حول تغير في سلك الولاة، وأخرى حول تبشير بالنصر[1]، ومما ذكره ابن الأبار حول ترسله فصول من رسالته حول غزو بلاد الروم سنة 592هـ، يقول فيها:" ...وإن تعلموا أن الجيوش وإن كثرت جنودها، وانتشرت ذات اليمين وذا شمال بنودها، فلا تقه إلا بالواحد الذي يغلب، وكتائب الباغية كثير الأعداد ولا استظهار إلا بسيفه الذي يضرب"[2]، وذكر له ابن سعيد في رسالته التي كتبها حول هزيمة المرابطين وانتزاع مدينة المهدية من أيديهم، وبها صنف ابن سعيد أدبه صمن كتاب المرقصات، ومما ذكره من تلك الرسالة:" ولما حللنا عرى السفر بأن حللنا حمى المهدية، تفاءلنا بان يكون المن ألم بساحتها هدية، فأحدقنا بها إحداق الهداب بالعين، وأطرنا لمختلس وصالها غربان تبين..فهذا الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء، وعم الخير والأمن به بسيطي الأرض والماء، فشكر الله عليه فرض في كل قطر من أقطار الأرض"[3] ، ومن شعره ما ذكره ابن الأبار في مصحف عثمان رضي الله عنه الذي كان بحوزة المنصور:

نقلت من كل ملك ذخيرة   كأنهم كانوا برسم مكاسبه
فإن ورث الأملاك شرقا وغربا   فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه
وألبسته الياقوت والدر حلية   وغيرك قد رواه من دم صاحبه[4]

ومن شعره ما ذكره ابن سعيد في المغرب أنه قال: قال والدي: أنشدني لنفسه – أي ابن عياش-:

قالوا حبيبك أقلح   فقلت ذلك أملح
وكيف ينكر روض   غب الندى قد تفتح[5]

ومن شعره كذلك قوله:

بلنسية بيني عن العليا سلوة   فأنك روض لا أحن لزهرك

---

[1]- أنظر العزاوي، ج1، ص: 229، 242، 329، 345.

[2]- ابن الأبار، الاعتاب، ص: 55.

[3]- ابن سعيد، المرقصات، ص:18.

[4]- ابن الأبار، التكلمة، ج2، ص: 116. ابن عبد الملك، الذيل، ج6، ص: 387.

[5]- ابن سعيد المغرب، ج2، ص: 67.

وكيف يحب المرء دارا تقسمت   على صارمي جوع وفتنة مشرك[1]

وقال الأديب صفوان بن إدريس في زاد المسافر:اجتمعنا في ليلة بمراكش فقال أبو عبد الله ابن

وليلة من ليالي الصفح قد جمعت   إخوان صدق ووصل للدهر مختلس

كانوا على سنة الأيام قد بعدوا   فألفت بينهم لو ساعد الغلس[2]

ومن شعره أيضا:

أشفارها أم صارم الحجاج   وجنونها أم فتنة الحلاج

فإن نظرت لأرضها وسمائها   لم تلف غير أسنة وزجاج[3]

وفاته:

توفي الكاتب أبو عبد الله ابن عياش عن عمر يناهز الثمانية والستين أو التسع وستين سنة في شهر رجب سنة 618هـ[4]، وقال ابن الأبار في العشر الأواخر من شهر جمادي الآخرة من نفس السنة[5]، بينما يجعل صاحب الذيل وفاته في خمس الأواخر من هذا الشهر، وذكر المراكشي أنه توفي في شهور سنة 619هـ[6].

إبنه أبو جعفر ابن عياش:

وهو أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عياش التجي، يكنى أبا جعفر، سكن مدينة مراكش وفيها استقر، أخذ العلم في بداية طلبه عن أبيه أبي عبد الله مع أخويه أبو القاسم عبد الرحمن وأبو مروان[7]، كما سمع عن أبي الخطاب بن واجب وأبي القاسم بن بقي وغيرهم[8].

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، ص: 101.

[2]- ابن إدريس، زاد المسافر،

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2،ص: 339. وعن نماذج من شعره أنظر مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، ص: 143.

[4]- الإحاطة، ج2، ص: 341.

[5]- التكملة، ج2، ص: 116.

[6]- المعجب، ص: 406.

[7]- الذيل، ج6، ص: 384.

[8]- التكملة، ج1، ص: 104.

ولا تزودنا المصادر عن حياته العلمية والإدارية بصفة يمكن الإحاطة من خلالها بترجمته، غير أنه كتب عن الخليفة المستنصر مع أبيه أبي عبد الله، وما لبث أن مات أبوه فكتب مع أبي عبد الله محمد بن يخلفتن الفازازي[1]، كما تولى قضاء سبتة وتلمسان[2]، ويبدوا أن كتابته عن الخلفاء الموحدين دامت إلى غاية المأمون، فقد ذكر له ابن عذاري شعرا يمدح فيه الخليفة مأمون لما قضى ابن هود في مدينة إشبيلية سنة625هـ مع من مدح من الكتاب والشعراء ومن ذلك قوله:

فؤادي بأمداح الخليفة هيمان ... ففيه اعتزاز والتغزل إذعان

علوت ومقصودي الإمام أبو العلا ... وفي من أياديه على المدح سلطان

قصدت أمير المؤمنين بمدحه ... فأمداحه للمرء يمن وإيمان

هو الملك المأمون لله دره ... نماه إلى بيت النبوة عدنان

فما الأصل إلا للنبوة ينتمي ... ومن طيب ذلك الأصل تنعم أغصان

فطاعته فرض على الناس كلهم ... وعصيانه لا شك لله عصيان

بقيت أمير المؤمنين مؤيدا ... فإنك روح والبرية أبدان

ولازال أمر الله يعضد أمركم ... ويحرسه طرف من النوم يقضان[3]

كما روى له ابن سعيد بيتين من الشعر في مرقصاته توفي رحمه الله في محرم سنة 629هـ[4].

أخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن عياش:

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن عبد العياش التجبي، ولد بجزيرة طريف سنة581هـ، سمع عن أبي الحسن الصديني، اخذ عنه السنن لأبي داود السجستاني، وأجاز له أبو الحسن الشقوري ولبنيه، وله شيوخ غير هذين، ولي قضاء مرسية وغرناطة وغيرهم،وكان خطيبا مصقعا، لسنا مفوها، يشارك في الفقه والآداب، توفي بمالقة، في يوم السبت التاسع من جماد

---

[1]- المعجب، ص: 406.

[2]- التكملة، ج1، ص: 104.

[3]- ابن عذاري، البيان، ص: 279.

[4]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص:104.

الأولى سنة 636هـ[1]، وقد ذكر ابن الأبار كتابته وكتابة أخيه أبا جعفر لسلاطين الموحدين في الإعتاب دون تعيين من خدموا من الخلفاء[2].

3-3-الكاتب ابن محشرة

يعد الكاتب ابن محشرة من الكتاب المشاهير ضمن كتاب الخلفاء، ومن أعلام الجزائر في ذالك العصر المشهود لهم بالعلم والفضل والأدب، كتب ضمن طائفة من الكتاب المغاربة بـالأخص الجزائريين منهم للخلفاء الموحدين وأمرائهم.

وهو كما ترجم له الغبريني، الشيخ الفقيه الجليل العالم الصدر النبيل النبيه الذكي السمي القدر، الكاتب البارع أبو الفضل ابن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، من أهل بجاية، وأصله قد اشتهر، ويعرف بابن محشرة، يكنى أبا الفضل أبا العلى[3]، ويسميه ابن الأبار بالفضل بدل تكنيته بذلك ابن أحمد بدل محمد، وشهرته عنده بابن محشوة بالواو بدل الراء[4]، بينما يسميه في المعجب: أبي الفضل جعفر بن أحمد المعروف بابن محشوة[5]، في حين يسميه صاحب الذيل بالفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، أبو الفضل وأبو العلاء ابن محشرة[6]، ويكنيه ابن عذاري في البيان بأبي العباس طاهر المعروف بابن محشرة[7].

أولا: مولده ونشأته

ولد ابن محشرة سنة (540هـ) أو قبلها بيسير بمدينة بجاية، وبالذات بأشير عمل من أعمالها، وتلقى العلم بها عن أبي القاسم السهيلي، وأبي محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي الذي كان قد لقيه ببجاية بعد زيارته لها وسمع منه[8]، ثم تصدر للإفتاء والتدريس بها فروى عنه

---

[1]- التكملة، ج3، ص: 48.

[2]- ابن الأبار، الإعتاب، ص: 55.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 83.

[4]- ابن الأبار، التكملة ، ج4، ص: 58.

[5]- المراكشي، المعجب، ص: 317.

[6]- ابن عبد الملك، الذيل، ج8، ص: 260.

[7]- ابن عذاري، البيان، ص: 167.

[8]- ابن عبد الملك، الذيل، ج8، ص: 260. ابن الأبار، التكملة، ج4، ص:58.

أبو الربيع بن سالم أحد أبرز تلامذته، ويبدوا أن شخصية أبيه ووظيفته كان لها الأثر في تكوين ابن محشرة، فقد كان أبوه من القضاة الذين تولوا هذا المنصب بمسقط رأس ابن محشرة بجاية[1].

ويصفه الغبريني بقوله:" ...له علم متسع المدى وتخصص ووقار بما سبيله فيما يقتدى، كان متمكن المعرفة وحسن الشارة والصفة، له الهمة السنية، والأخلاق المرضية، وكان وجيه مكرما ومشرقا ومعظما"[2]، ويصف ابن أبي زرع بالفقيه الكاتب البارع، وبعد أن ساق اسمه بكامل وكنيته قال:" وكان رحمه الله من أهل العلم والفضل، والدين والتقى، والنيل في الكتابة، والبلاغة في الترسيل"[3]، بينما يصفه المراكشي في المعجب بقوله:" جمع أبو الفضل هذا إلى براعة الكتابة سعة الرواية وغزارة الحفظ، وذكاء النفس"[4]، وقال في وصفه صاحب الذيل:" وكان بليغ الأدب بارع الكتابة، رائق الخط، متواضعا، من بيت علم وجلالة"[5].

ثانيا: حياته الإدارية:

بدأ ابن محشرة بكتابة عن الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن؛ إذ استدعاه إلى كتابته بعدما علم من علمه وفضله وأدبه وبلاغته، وفي ذلك يقول الغبريني:" استدعاه الخليفة ابن عبد المؤمن إلى حضرتهم بمراكش فارتحل من بجاية وهو كاره لارتحاله مع علمه أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله، ولكن عزة العلم أغنت عن الناس وحصلت له من المزية في الأنفس أزيد مما يقاس"[6]، وكان من أحسن الكتاب وأقربهم من الخليفة، كان يعمل على تحرر الرسائل الصادرة عن الخليفة إلى الجهات إلا أنه كان يخدم في بداية أمره ككاتب مساعد في الديوان، فقد كان يخدم الكاتب أبا القاسم القالمي من مدينة بجاية كذلك رئيس الكتاب عند الخليفة يوسف، إلى غاية أن توفي القالمي فكتب مكانه[7]، ومما صدر عنه حين كتابته ليوسف

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 83.

[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 207.

[4]- المراكشي، المعجب، ص:338.

[5]- الذيل والتكملة، ج8، ص: 206.

[6]- الغبريني، نفس المصدر، ص: 83.

[7]- المراكشي، المعجب: ص: 317.

كتاب إلى أهل قرطبة في منصف شوال سنة 576هـ يعلمهم فيه بتحرك قبيلة رياح العربية الشهيرة إلى الجهاد بالأندلس[1].

ولقد حاول حساد ابن محشرة الإيقاع به عند الخليفة نظرا لتباطئه وتأخره عن الخليفة إذا دعاه، فإدعى بعض الحاضرين أنه لا يأتي إلا على قعود عن الخليفة وتأخر عنه، وكان ذلك وصفه؛ إذ كان يأتي إلى محل الخلافة " على التؤدة والتأني والوقار وإصلاح الهيئة واستكمال الزينة"، وحدث أن استدعاه الأمير يوم مختبرا قول الوشاة وتأكدا من صحته واستعجله فجاء كعادته بعد تأخر" ولما حضر بين يديه عاتبه، وقال: يا فقيه كثير ما تبطئ علينا إذا استدعيناك، فما هذا منك؟، فقال: يا أمير المؤمنين أنت إمام المسلمين، وما أحسب أن محل الإقامة إلا كمحل الصلاة، فكما آتي إلى الصلاة آتي إلى هذا المحل، وقد قال رسول الله صلى عليه وسلم:" إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة،فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" فاستحسن منه ذلك أمير المؤمنين وزاد في تقريبه[2].

ثم بعدك كتب ابن محشرة بعد وفاة الأمير يوسف بن عبد المؤمن لابنه أبي يوسف يعقوب المنصور، وكان تاريخ أول رسالة كتبها عنه في جمادى الأولى سنة (580هـ)، وهي رسالة موجه إلى أهل غرناطة يطلب منهم أخذ البيعة للخليفة، وتعلمهم بتمام البيعة له حسب اقتراح الموحدين والعرب على أبيه يوسف قبل وفاته[3]، ورسالة أخرى في نفس السنة تحمل مجموعة من الأوامر والأحكام منها منع شرب الرب، وتأمر القضاة بالإشراف على توزيع الزكاة وأمره بذلك وذلك سنة (583هـ) إلى أهل مراكش، تعلمهم بانتصار الخليفة على تحالف الأعراب والميارقة، والثانية في شهر رمضان من سنة نفسها إلى أهل تونس تعلمهم بفتح بلاد الجريد والذهاب لحصار قفصة، والثالثة صادرة بتاريخ 13ذي القعدة سنة 583هـ إلى أهل مراكش تعلمهم بإعادة فتح قفصة من يد الميورقيين[4]، هناك رسالتين كذلك إحداهما سنة584هـ إلى أهل مراكش تعلمهم بالفتوحات، وأخرى سنة586هـ إلى أهل سبتا تعلمهم

[1]- أحمد العزاوي، ج1، ص: 549.

[2]- العبريني، المصدر السابق، ص: 84.

[3]- ليفي بروفنسال، الرسالة رقم 27.

[4]- نفسه، الرسائل رقم 30، 31، 32.

بتوقيع السلم مع قشتالة، وتجديده مع ليون، كما تعلمهم بغزو القوات الموحدية للملكة البرتغالية[1] .

وبعد هذا التاريخ لا نعثر على رسائل ابن محشرة في بقية عهد المنصور، فقد صدرت عنه رسالة سنة(592هـ) إلى طلبة فاس وهي من إنشاء الكاتب أبو عبد الله عياش الذي كان يكتب للمنصور مع ابن محشرة، وربما يعود ذلك إلى اتخاذ المنصور لابن عياش كاتبا مكان ابن محشرة.

ويذكر ابن أبي زرع أن ابن محشرة كتب للناصر بعد أبيه المنصور[2]، الذي كانت بداية خلافته سنة (595هـ)، غير رسائلهم عن الناصر لا يوجد لها ذكر في مجاميع الرسائل مما يدل على عدم استكتاب الناصر ابن محشرة أو أنه كان كاتبا مساعدا، وعلى افتراض كتابته له فإنه لم يدم في خدمته طويلا إذ توفي بعد ثلاث سنوات من خلافة الناصر.

وتوفي الكاتب ابن محشرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة 598هـ[3]، ولقد ترجم ابن الزبير لمن إسمه ابن محشرة وهو علي بن طاهر، فربما يكون من أقارب هذا الكاتب[4].

---

[1]- بروفنسال، الرسالة رقم33، 34.

[2]- الأنيس المطرب، ص: 206، 207.

[3]- الذيل، ج8،ص: 260. التكملة، ج4، ص: 58. الغبريني، المصدر السابق، ص: 85.

[4]- ابن الزبير، صلة الصلة، ص: 146.

خاتمة

الخاتمة:

لقد خضت غمار البحث في موضوع الكتابة الدواوينية من أجل الوصول إلى صورة متكاملة عن هذا النظام في دولة الموحدين بكل ترتيباته الإدارية، إلا أنه بعد البحث والتنقيب وجمع المادة العلمية وتصنيفها؛ تبين أن الكثير من الجوانب المتعلقة بصلب الموضوع غامضة لا نكاد نعرف عنها شيئا، وذلك نظرا للأسباب التي ذكرت في مقدمة هذا البحث، والتي من أهمها عدم اعتناء المؤرخين القدماء بهذه الجوانب الحضارية المتعلقة بالنظم الإدارية والمالية لدول المغرب الإسلامي وحتى الجوانب الإجتماعية والإقتصادية، وهذا في الحقيقة من العوائق التي لا تنجبر ولا يمكن إزالتها من قائمة المعوقات التي تقف في سبيل إنشاء بحث متكامل عن مثل هذه الموضوعات.

إلا أنه من خلال الإشارات القليلة في بطون المصادر التي تمكنت من الحصول عليها، ثم تفسيرها وتعليلها ووضعها في قالب إداري بإشراف المؤطر وتوجيهه والتعاون معه تمكنت من إعطاء هذه الصورة العامة عن نظام الكتابة الدواوينية، و هي في الحقيقة تحوي الكثير من الثغرات التي لم استطع سدها، ومع ذلك فإنه يمكن أن أجمل الصورة العامة حول جوانب البحث في أن:

خطة الكتابة عند الموحدين كان لها مكانة وأهمية بالغة في سلم نظام الإدارة الموحدية كما كان لها الحظ الوافر من العناية والتنظيم، فالخلفاء الموحدون لم يكونوا يولون رئاسة هذه الخطة إلا لمن توفرت فيهم الشروط الكافية التي تؤهلهم لذلك؛ من سعة الثقافة وهذا ما نلحظه عند استقراء التراجم المتوفرة الخاصة بالكتاب؛ إذ نجد جلهم إن لم نقل كلهم قد حصلوا أغلب فنون العلوم بدءا بعلوم الشرع من حفظ القرآن الكريم وتفسيره أولا ثم تحصيل علوم الحديث والفقة والفرائض، ثم الاعتناء بعلوم اللغة من النحو والصرف مع حفظ كم هائل من الأشعار الجاهلية وأشعار فترة الإسلام للاستشهاد بها أو نسج الشعر على منوالها، كما كان هؤلاء الكتاب مهرة في علم الحساب وخاصة من كان منهم موظفا في جانب إحصاء الأموال والجيوش أو ما يصطلح عليه عند الموحدين بكاتب الجيش، ولم تكن هذه الصفات العلمية للكتاب بحسب يل كانوا بالإضافة إلى ذلك على علم ودراية واسعة بعادات وتقاليد الملـــــوك

ومجالسهم وكذا طبائع الناس وعاداتهم، وذلك لأن الكاتب يجب أن يكون مؤهلا للكتابة في أي موضوع يطلب منه الكتابة فيه أو الرد عليه، بالإضافة إلى اشتراط الخبرة الإدارية فيهم ولذلك نرى أغلبهم في بداية الدولة كان مما خدم المرابطين أو دول الطوائف من قبلهم.

هذا من ناحية الثقافة المشترطة في الكاتب، أما من ناحية التنظيم الإداري لخطة الكتابة وحال هؤلاء الكتاب الإدارية والمادية فإننا نجد الموحدين بدءا من خلافة يوسف ابن عبد المؤمن يقسمون الكتّاب إلى صنفين؛ كتّاب للإنشاء، وكتّاب للجيش، وبرأس كل ديوان من هذين الديوانيين رئيسا يعتبر بمثابة وزير، ونظرا لمكانة الكاتب من الخليفة وما يمتاز به من خبرة إدارية كان يتولى منصب وزارة الوزراء بمصطلحنا الحديث، أي أنه كان يشرف على الجانبين الإداري والعسكري في الدولة، وذلك ما فعله ابن عبد المؤمن مع الكاتب أبي جعفر بن عطية .

ولقد كان لهؤلاء الكتّاب مساعدون من صغار الكتاب توكل إليهم بعض الكتابات الثانوية، أو أنهم يعملون على نسخ ما يمليه رئيس الكتّاب في حال الكتابات الرسمية المهمة، كما كان الكتّاب يتدرجون في المناصب إلى غاية وصولهم إلى منصب رئيس الكتّاب، فلقد خدم العديد منهم ولاة الموحدين في الجهات ثم أصبح بعد ذلك كاتبا للخليفة في حد ذاته.

ولقد حظي الولاة بمجموعة من الكتّاب إذ كان لكل وال بلاط يشبه بلاط الخليفة في العاصمة، من الكاتب والوزير وصاحب الأشغال، وكان يتم تنصيب كتاب الولاة من طرف الخلفاء، إذ كلما عين الخليفة واليا جديدا عين معه الحاشية التي تعين على تدبير شؤون ولايته.

وإذ كان عمل كتاب الإنشاء متعلقا بإنشاء الرسائل الرسمية وجميع الأوامر الصادرة من الخليفة إلى الرعية فإن كتاب الجيش يختلفون في وظيفتهم عن هؤلاء، فلقد كان عمل كاتب الجيش عمل حسابي لا أكثر ولذلك لم يشترط فيهم الشروط المتعلقة بكتاب الإنشاء، سوى الخبرة التامة بالقبائل المكونة للجيش وطبقاتهم، وكانت تضاف إليهم أحيانا إحصاء المجابي والأمور المالية والزكاة.

ونميز في كتّاب الجيش نوعين من الكتاب فهناك كاتب ديوان التمييز يعمل على إحصاء كل الأجناد وطبقاتهم، وكاتب ديوان العسكرية، وهو كاتب يتولى أمور نفقات الجيش من الرواتب والأسلحة والخيل وغيرها من النفقات التي يحتاجها الجيش.

وفي نظير ذلك اعتنى الموحدون -بالإضافة إلى اعتنائهم بذات الكتّاب وتنظيم إدارهم- بطريقة كتابة الرسائل الرسمية فلقد كان لها نمط خاص في هيكلها من ناحية وفي مضموها من ناحية أخرى، أما هيكلها فقد درج الكتاب في كتابة الرسائل على خطوات تتمثل في التسمية والحمدلة ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية على أصحابه ثم الترضي عن الإمام المهدي والإشادة بعصمته ثم الترضي عن الخلفاء الموحدين، ثم يتناول الكاتب الموضوع بعد البعدلة ويدعوا للمخاطب حسب مقامه في متن الرسالة ثم يختم الرسالة بالسلام وكانت هذه الرسائل تخضع لمراقبة الخلفاء وتكتب بتوجيهه منهم أحيانا، ولا يضع عليها الخليفة علامة غلا بعد مراجعتها غذ كانت لهم علامة خاصة تنفذ بها رسائل وهي:"الحمد لله وحده" يكتبها الخليفة في بداية الرسالة بخط غليظ، كما درجوا في طي الرسالة على طريقة معينة، إذ كانت تطوى على هيئة معينة مستطيلة بقدر أربع أصابع، ثم تختم على طين أحمر مذاب بن عذاري أن لفظه عند المنصور "أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين".

و لم تقتصر الكتابات الرسمية على الرسائل إذ كان الخلفاء يصدرون بعض الظهائر لصالح فرد أو فئة معينة وهو بمثابة مرسوم يخول لهؤلاء الأفراد امتيازات معينة وهو واجب التنفيذ على كل موظفي الدولة، كما كان للخلفاء نوع من الكتابات الرسمية تسمى بالتوقيعات وهي بمثابة عبارة وجيزة في مبناها بليغة في معناها يكتبها على قصص المظالم وبعض الرقاع تدل على علم الخليفة وبلاغته.

وفي خضم هذا النظام المحكم الذي لم ينكشف لنا غلا بعض جوانبه كان لابد من اتصاف القائمين عليه بمهارة علمية وخبرة إدارية عالية أرسوا دعائمه وتفانوا في خدمته، ومن أبرز هؤلاء الكتّاب أبو جعفر بن عطية الذي نال حظوة عظيمة عند الخليفة عبد المؤمن نظرا لحصافة عقله وخبرته الإدارية مما أدى به إلى تولي الوزارة مضافة إلى الكتابة، فهو معدود في الوزراء والكتّاب، وهناك الكاتب الجليل طاهر بن محشرة البجائي الأشيري، وهو من علماء بجاية وفقهائها، كما اشتهر بالكتابة عن الموحدين أسرتين كبيرتين دامتا في خدمة الموحدين إلى نهاية دولتهم تقريبا هما أسرة أبي الحسن عبد الملك بن عياش، وأسرة أبي عبد الله محمد بن عياش، كما نجد من أعظم كتّاب الموحدين في نهاية الدولة الذين يصنفون ضمن الأدباء والعلماء

الكاتبين الجليلين؛ أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي وزميله أبي عبد الله محمد بن الأبّار القضاعي البلنسي الذين خدما الموحدين في آخر دولتهم واشتهرا بعلمهما الغزير وأدهما المتميز، وإن السينية التي رثى بها بلنسية إثر سقوطها لدليل على ذلك.

وأخيرا نقول؛ إن الإمبراطورية الموحدية بما كانت تشرف عليه من ربوع بلاد المغرب الإسلامي وتمكنها من إحكام التصرف فيه وضبط أموره يدل دلالة واضحة على عظمة نظامها الإداري على الصعيدين المدني والعسكري، والتي يعتبر نظام الإعلام والإتصال المتمثل في خطة الكتابة من أهمها، وذلك أن قوة أية دولة مرتبط بإحكام نظامها الإداري، وإنما ما حاولت الكشف عنه في هذا الموضوع لا يعتبر إلا محاولة تفتح باب البحث في هذا الموضوع وإمكانية التوسع فيه، فما أصبت فيه فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ ونقصان فمن الشيطان، وما أبرئ نفسي، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ملاحق

ملحق (1)

قائمة كتّاب الخلفاء

الخليفة	الكاتب	المصدر
المهدي ابن تومرت: 524/515هـ	-أبو الربيع سليمان الحضرمي - ملول بن إبراهيم الصنهاجي	البيدق ، أخبار المهدي ابن تومرت، ص: 33، 39.
عبد المؤمن بن علي: 558/524هـ	- أبو جعفر أحمد بن عطية - أخوه أبو عقيل عطية بن عطية. -أبو القاسم عبد الرحمن القالمي. - أبو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش. - أبو بكر محمد بن عامر الأوسي - ميمون الهواري. - عبد الله بن جبل. - أخيل بن إدريس الرندي. - أبوعلي الأشيري.	المعجب، ص: 269 (لكنه يذكر ابن جبل من بين القضاة).الحلة السيراء، ج2، ص: 238، 239، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص: 61، رسائل موحدية، رسالة رقم:20، نظم الجمان، ص: 175، المن بالإمامة، ص:223، 224، (ولكنه يذكر ابن جبل من بين خطباء ابن عبد المؤمن)، المغرب، 156/2

يوسف بن عبد المؤمن:558/580هـ	- أبو القاسم عبد الرحمن القالمي. - أبو محمد عيّاش بن عبد الملك بن عياش وأبيه عبد الملك بن عياش - أبو الفضل جعفر ابن احمد المعروف بابن محشرة. - أبو الحكم المرخي، وإبنه أبي بكر **- وكتّاب الجيش:** - أبو الحسن الهوزني الإشبيلي - أبو عبد الرحمن الطوسي	المعجب، ص: 316، 317 ،روض القرطاس، 206، 207، البيان المغرب، 166، 167، الذيل، 332/5، الإخاطة، 308/4، رسائل موحدية، رسالة رقم: 26، 34،
يعقوب المنصور:580/595هـ	- أبو الفضل ابن محشرة - أبو عبد الله ابن عياش - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكاتب - يحي بن عبد الكريم الشنتوفي. **- وكتاب الجيش:**- أبو محمد الكباشي. - أبو الحسن بن مغن الهوزني. - أبومحمد بن الكاتب.	المعجب، 338، 339. البيان، 17 . التكملة، 58/4. المغرب، 90/2. الذيل،260/8. الإحاطة، 344/4.

الناصر: 595/610هـ	- أبو عبد الله ابن عياش. - أبو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك بن عياش. - أبو عبد الله محمد بن يخلفتن الفازازي. - **وكتاب الجيش:** أبو الحجاج يوسف المراني - أبو جعفر أحمد بن منيع	المعجب، ص: 391
المستنصر: 610/620هـ	- أبو عبد الله بن عياش - أبو الحسن بن عياش - أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عياش. - محمد بن يخلفتن الفازازي. - **وكاتب الجيش:** أحمد بن منيع لم يتغير.	المعجب، ص: 405، 406.
عبدالواحد: 620/621هـ	؟؟	؟؟
العادل: 621/624هـ	- أبو محمد عبد الله ابن أبي بكر بن طفيل. - أبو محمد عبد الله بن حامد	المغرب، 69/2. المغرب، 204/2.
المعثصم: 624هـ	- أبو الحسن السرقسطي	البيان، ص: 282.

المأمون: 624/630هـ	- أبو الحسن الرعيني - أبو زكريا الفازازي - أبو المطرف ابن عميرة - أبو عبد الله بن عياش - أبو العباس بن عمران -الهيثم بن أحمد بن أبي غالب بن الهيثم - أبوجعفر أحمد بن عبيد	البيان، ص: 276. وقد نفى ابن عميرة كتابته للمأمون، ص: 89، 90. المغرب، 190/1. // ، 238/1.
الرشيد:630/640هـ	- علي بن محمد بن حسن الأنصاري. - أبو عبد الله التلمساني - أبو زكريا الفازازي. - أبو عبد الله القباجي. - أبو عبد الله الحسين بن أبي عشرة. - أبو عبد الله الفازازي . - أبو عبد الله بن سليمان. - أبو العلاء بن حسان. - أبو المطرف بن عميرة. - أبو الحسن الرعيني. - أبو القاسم القباجي	الذيل، 301/5. // ، 14/8. البيان، ص: 302.
السعيد: 640/646هـ.	- أبو الحسن الرعيني. - أبو بكر الفازازي. - أبو عبد الله التلمساني.	البيان، ص:

المرتضى: 646/665هـ	- أبو الحسن الرعيني - أبو عبد الله التلمساني - أبو زكريا الفازازي	البيان، ص: 388. الذيل، 362/8.
الواثق: 665/668هـ.	- أبو الحسن الرعيني. - أبو عبد الله التلمساني.	البيان، ص: 448.

ملحق(2)

كتّاب الولاة.

* في عهد عبد المؤمن

الولاية	الوالي	الكاتب	المصدر
فاس	أبو الحسن علي بن عبد المؤمن	أبو العباس ابن مضاء	الحلل الموشية ص: 151
بجاية	أبو محمد عبد الله بن عبد	أبوبكر بن حبيش	الحلل، ص: 151 إلا أن صاحب الأنيس المطرب يذكر أن عبد المؤمن عينه للكتابة عن السيد عثمان والي سبة، ص:194
سبة وطنجة	أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن	أبو الحكم هرمس ثم أبوبكر ن طفيل ثم أبوبكر بن حبيش	الأنيس المطرب، ص: 194

*في عهد يوسف بن عبد المؤمن:

غرناطة	أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن	-أبو القاسم محمد بن ابراهيم بن خيرة -ابن المواعيني -ابن طفيل، محمد بن عبد الملك القيسي - أبو بكر بن عبد الرحمن ين مسعدة -أبو يحي محمد بن عبد الرحمن أخوه - أبو محمد عبد الغني بن طاهر - محمد بن احمد بن جبير الكناني - أبو اسحاق ابن فرقد - أبو قاسم ابن المراعي	الإحاطة، 223/2، 224 الإحاطة 2/ 334. المقتضب، ص: 125 المغرب، 89/2، 90 المغرب، 185/2. المغرب، 311/2. التكملة، 131/1. الاحاطة، 191/1
غرناطة	أبي زيد بن يوسف بن عبد المؤمن	أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكاتب	الإحاطة، 159/3.

* في عهد المنصور:

سجلماسة	ابن عبد المؤمن أبو الربيع سليمان ابن عبد الله	محمد بن عبد ربه (حفيد صاحب العقد). عبد الرحمن بن مغاور علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري.	المعجب، ص: 375. المغرب، 312/2. الذيل و التكملة 187/5 وما بعدها

* في عهد الناصر:

بلنسية	حفص ابن عبد المؤمن أبي عبد الله ابن أبي	ابو القاسم محمد بن نوح	المغرب، 250/2.

* في عهد المستنصر:

تلمسان	يوجان أبو زيد ابن	أبو العباس احمد بن احمد البرشاني	
افريقية	ابن عبد المؤمن أبو العلاء ابن يوسف	أبو زكريا يحي بن سعيد بن مسعود الأنصاري	المغرب، 292/1.

ملحق(3)

علامة الرسائل الموحدية[1]

كثر الحديث عن الرسالة المشهورة التي تعتبر بمثابة دستور دأب الخلفاء على ترديده وهي في الواقع نموذج لما عليه" الرسائل البرامج " مما يزود به الخلفاء أمراءهم على الأقطار.

وقد حررت هذه الرسالة في الحضرة العلية (تينملل) جنوب المغرب بتاريخ 16ربيع الأول543هـ(4غشت1148) وهي الرسالة التي جعل عليها الخليفة الموحدي العلامة بخط بيده هكذا:

وتتضمن التحذير من المخالفات وترفع شعار المساواة والعدل بين الناس، وتحرم احتكار المراسي واستغلال ظروف المسافرين وتجعل حدا لتلاعب البعض بأمر الأسرى ثم تتخلص لتحديد واجبات موزعي البريد(الرقّاصين) ما لهم وما عليهم.

[1] - عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة فضالة 1406هـ/1986م، ج2، 232.

ملحق(4)

رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم. فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواء، وصرفهم في صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات، إلى أسباب معاشهم وأبواب لأرزاقهم؛ فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات، والعلم والرزانة، بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها، وبنصحائكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم. لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد كاف إلا منكم. فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون، فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم. وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم.

أيها الكتاب: إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أمورها يكون حليما في موضع الحلم، فهيما في موضع الحكم، مقداما في موضع الإقدام، محجما في موضع الإحجام، مؤثرا للعفاف والعدل والإنصاف، كتوما للأسرار، وفيا عند الشدائد، عالما بما يأتي من النوازل، يضع الأمور مواضعها، والطوارق في أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه، وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به، يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدّته وعتاده، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته.

فتنافسوا يا معشر الكتّاب في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين. وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها؛ فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج.

وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها، وسفساف الأمور ومحاقرها، فإنها مُذلة للرقاب، مُفسدة للكتّاب. ونزهوا صناعتكم عن الدناءة، وابرؤوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات. وإياكم والكبر والسخف والعظمة، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة. وتحابّوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم. وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه، وواسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه أمره. وإن أقعد أحدا منكم الكبرُ عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه. فإن عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها إلاّ إلى صاحبه، وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه. وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال. فإن العيب إليكم معشر الكتّاب أسرع منه إلى القرّاء، وهو لكم أفسد منه لهم. فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل من نفسه ما يجب له عليه من حقه، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاءٌ لحقه، ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه، والاضطرار إلى ما لديه. فاستشعروا ذلك. وفقكم الله من أنفسكم. في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والإحسان والسراء والضراء. فنعمت الشيمة هذه، من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة. وإذا وُلّيَ الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عزّ وجلّ، وليؤثر طاعته وليكن مع الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا؛ فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه رفقهم بعياله.

ثم ليكن بالعدل حاكما، وللأشراف مكرما، وللفيء موفّرًا، وللبلاد عامرا، وللرعية متألّفًا، وعن أذاهم متخلفا، وليكن في مجلسه متواضعا حليما، وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا.

وإذا صحب أحدكم رجلا فليتخير خلائقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة. وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصير بسياستها التمس معرفة أخلاقها: فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها ؛ وإن كانت شبوبا اتقاها من بين يديها؛ وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها؛ وإن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها، فإن استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها. وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم. والكاتب، لفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظره، ويفهم عنه أو يخاف سطوته، أولى بالرفق لصاحبه، ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا، ولا تعرف صوابا، ولا تفهم خطابا، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها. ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر، واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والفجوة، ويصير منكم إلى الموافقة، وتصير منه إلى المواخاة والشفقة إن شاء الله.

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه، وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه؛ فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدَمةٌ لا تُحملون في خدمتكم على التقصير، حفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير. واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم. واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف، فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتّاب وأرباب الآداب.

وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم. ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجَّة، وأصدقها حجَّة، وأحمدها عاقبة. واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورويته. فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه؛ وليوجز في ابتدائه وجوابه، وليأخذ بمجامع حججه؛ فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن إكثاره. وليضرع إلى الله في صلة توفيقه

وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط الضر ببدنه وعقله وآدابه. فإنه إن ظنّ منكم ظانٌّ أو قال قائل إنّ الذي برز من جميل صنعته، وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره، فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عزّ وجلّ إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف. ولا يقول أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته؛ فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره، ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجمل في طريقته. وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه؛ ولا يكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره. وحمد الله واجب على الجميع، وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزّته والتحدث بنعمته.

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل: " ما تلزمه النصيحة يلزمه العمل". وهو جوهر هذا الكتاب وغرّة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عزّ وجلّ. فلذلك جعلته آخره وتتمته به.

تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه وبيده. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهـ.

ملحق(5)

نموذج من الرسائل الموحدية

رسالة الخليفة المأمون حول إلغاء رسوم المهدي[2].

نص الرسالة:

" من عبد الله إدريس أمير المؤمنين ابن أمير المومنين ابن أمير المومنين، إلى الطلبة والأشراف والأعيان والكافة ومن معهم من المومنين والمسلمين، أوزعهم الله شكر أنعمه الجسام، ولا أعدمهم طلاقة أوجه الأيام الوسام.

وإنّا كتبنا إليكم – كتب الله لكم عملا منقادا، وسعدا وقادا وخاطرا سليما، لا يزال على الطاعة مقيما – من حضرة مراكش – كلأها الله تعالى –، وللحق لسان ساطع، وحسام قاطع، وقضاء لا يرد، وباب لا يسد، وظلال على الآفاق، تمحو النفاق. وبعد، فالذي نوصيكم به تقوى الله العظيم والاستعانة به والتوكل عليه، ولتعلموا أنّا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم روح الله، وما سمي مهديا إلا لأنه تكلم في المهد؛ فتلك بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على هذه القلادة التي تقلدناها، وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فيمحى ويسقط ولا يثبت؛ وقد كان سيدنا المنصور (رضي الله عنه) هم أن يصدع بما به الآن صدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجله إليه أجله، فقدم على ربه بصدق نية، وخالص طوية؛ وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة، فما الظن بمن لم يدرِ بأي يد يأخذ كتابه؛ أف لهم، قد ضلوا وأضلوا، ولذلك ولّوا وذلّوا، ما تكون لهم الحجة على تلك المحجة؛ اللهم اشهد، اللهم اشهد أنّا قد تبرأنا منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك يا جبار من فعلهم الرثيث، وأمرهم الخبيث، إنهم في المعتقد من الكفار، وإنّا نقول فيهم كما قال نبيك عليه السلام:

﴿ ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا﴾، والسلام على من اتبع الهدى واستقام.

---

[2]_ أحمد العزاوي، رسائل موحدية، ج1، ص ص: 384-386. والرسالة في الحلل، ص: 164، 165. ضمن أحداث سنة 626هـ. وهي من إنشاء الخليفة المأمون بنفسه.

ملحق (6)

نموذج من الظهائر الموجدية

ظهير عن الخليفة الرشيد بتوطين أهل شرق الأندلس برباط الفتح[3].

« هذا ظهير كريم أمر به أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين- أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته، ويسّره- للمتنقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من سائر بلاد شرق الأندلس مجراهم، وعراهم من غِيرِ الأيام ما عراهم، حين أنهى«ذو الوزارتين الشيخ الأجل، الأثير الأكرم الأعز الأفضل، أبو علي بن الشيخ الأجل الأكرم أبي جعفر بن خلاص- أدام الله أثرته وكرامته-» ما أصابهم من الجلاء، ودهاهم من أمر الأعداء، وسعا لهم سعي من يقضي لهم حق الجوار، ويلتمس لهم مكانا للقرار، ومنزلا لإلقاء عصى التّيسار، وعند ذلك أذن لهم – أعلى الله تعالى إذنه، وجدد سعده ويمنه- في النقلة إلى رباط الفتح- عمره الله تعالى- بقضيضهم وقضّهم، وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضهم، ويعمروا منه بلدا يقبل منهم أولي من قبل، ويحملهم -إن شاء الله تعالى- وخير البلاد ما حمل، فإنه مناخ للتاجر والفلاح، وملتقى للحادي والملاح، والمرافق من بره وبحره موجودة في فصول السنة، موذنة لقاطنه بالعيشة الهنية والحالة الحسنة، ولهم أفضل ما عهده رعايا هذا الأمر العزيز – أدامه الله تعالى- من التوسعة على قويهم كي يزداد قوة، والرفق بضعيفهم حتى ينال يسارا وثروة، وأن يتوسعوا في الحرث ففي أرضه هنالك متسع، ويتبسطوا في كل ما لهم منه معاش وبه منتفع، ويغرسوا الكروم وأنواع الشجر على عاداتهم ببلادهم، ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم، وكل ما يعمرون من الضياع، ويقتنون من الأصول والرِّباع، فله حكم التسويغ على الإطلاق والدوام، ولا يلزمون فيه شيئا من وجوه الإلزام، ولا يطلبون بغير حقوق الشرع التي جعلها الله تعالى في أموال أهل الإسلام؛ وأقوالهم في مقاديرها مصدقة، وأمانيهم كلها لهم وللاّحقين محققة.

[3]- أصدره الخليفة الرشيد(640/630هـ) لصالح سكان شرق الأندلس المهاجرين إلى رباط الفتح بعد سقوط قرطبة سنة: 636هـ، وبلنسية سنة: 633هـ، وهو من إنشاء الكاتب أبي المطرف ابن عميرة المخزومي.

والولاة والعمال – حفظهم الله تعالى – مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجانب من جوانبهم، أو يعوق عن مأرب كبير أو صغير من مآربهم، وأن يكرموا غاية الإكرام نبهاءهم وأعيانهم، ويولوهم من حسن الجوار ما ينسيهم أوطانهم، حتى تندفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف، ويجمع لهم بين الرعاية لحرمة البلديِّ والعناية بحق الضيف، إحسانا منه أعلى الله تعالى أمره، وأوزع شكره، ينسحب على جماعتهم وأفذاذهم، ويحملهم على موجب اعتلاقهم بهذا الأمر العلي – أدامه الله – وملاذهم.

فمن وقف عليه من الطلبة والعمال – أكرمهم الله تعالى – فليعمل بحسبه، ولا يعدل عن كريم مذهبه، إن شاء الله تعالى، وهو تعالى المستعان، لا رب سواه؛ كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة».

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*أولا: المصادر

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأبّار القضاعي، (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكرت: 658هـ)، كتاب إعتاب الكتّاب، تحقيق: صالح الأشتر، دمشق، ط سنة: 1691م.
3. // ، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، دط، 1415هـ/1995م، 4ج.
4. // ، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية 1985م، 2ج.
5. // ، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1410هـ/1989م.
6. ابن الأثير، (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي بطانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى: 1959م.
7. ابن الأثير، (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ت: 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبع جمعية المعارف، القاهرة، دط، 1286هـ.
8. // ،الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دط، ج: 9، 10.
9. ابن الأثير، (مجد الدين أبو السعدات المبارك بن محمد الجزري)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، دت، 6ج.
10. ابن الأحمر، (أبو الوليد)، مستودع العلامة ومستبدع العلّامة، تحقيق: محمد التركي التونسي، ومحمد بن تاويت التطواني، المطبعة المهدية، تطوان، دط، 1384هـ/1964م.
11. ابن إدريس التجيبي، (أبو صفوان بحر)، زاد المسافر وغرة محيّ الأدب السافر، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1980م.

12.ابن بسام الشنتريني ،(أبي الحسن علي)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م.

13.البيدق، (أبو بكر الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ونشر الأستاذ ليفي بروفنسال، طبعة باريس، سنة 1928م.

14.ابن جبير الكناني، الرحلة، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، د ط، د ت.

15.........الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى: 1399هـ/1979م.

16.الحموي، (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت:626هـ)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

17.الحميري، (أبو عبد الله محمد ين عبد المنعم الصنهاجي ت: 726هـ)، الروض المعطر في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج، بيروت، الطبعة الثانية: 1980م.

18.ابن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تقديم محمد العناني، المكتبة العتيقة، تونس، دط، دت.

19.ابن الخطيب، (لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي ت: 776هـ ، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ /2003م، 4ج.

20. // ،أعمال الأعلام (تاريخ اسبانيا الإسلامية)، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.

21.ابن خلدون، (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت: 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ج1، ج6.

22.ابن خلكان، (أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

23.ابن دحية، (أبو الخطاب عمر الكلبي السبتي ت: 633هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، طبعة القاهرة، 1954.

24.........رسائل أندلسية، تحقيق:فوزي سعد عيسى، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى،1989.

25.........رسائل ومقامات أندلسية، نفس المحقق، منشاة المعارف، الإسكندرية، دط، دت.

26.......... رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، (الجزء الأول والثاني)، تحقيق ودراسة: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، الطبعة الأولى: 1416هـ/1995م.

27..........مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، تحقيق: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/1986م.

28..........مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، ط: 1941م.

29.ابن الزبير، (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الجياني ت: 708هـ)، صلة الصلة، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، تقديم بروفنسال.

30.ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المصور للطباعة والوراقة، الرباط، دط، 1972م.

31.ابن سعيد، (علي بن موسى بن عبد الملك الأندلسي)، المغرب في حلى المغرب، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، 2ج.

32. // ، المرقصات المطربات، دار حمدو محيو، القاهرة، طبعة سنة 1973م.

33.أبو شامة الدمشقي، (عبد الرحمن ابن إسماعيل المقدسي ت: 665هـ)، كتاب الروضتين في أخار الدولتين النورية والصلاحية، طبعة القاهرة سنة:1287هـ.

34.ابن صاحب الصلاة، (عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي ت: 594هـ)، المن بالإمامة، (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987.

35.العاملي، (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء بن محمد بن محمد بن سماك الأندلسي)، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: سليمان القرشي، الطبعة الأولى: 1424هـ/2004م.

36.ابن عبد الملك، (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، **السفر الأول**، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط.

37. // **السفر الخامس**، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط.

38. // **السفر الثامن**، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، دط ، 1984م.

39.ابن عذاري، (أبو العباس المراكشي حي سنة: 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، **ج1**، مطبعة المناهل، بيروت، لبنان، 1948م.

40. // **ج4**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2.

41. // **ج5** (قسم الموحدين)، تحقيق: إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت الطنجي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى 1406هـ/1985م.

42.العمري، (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله)، وصف إفريقية والمغرب والأندلس، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، دط.

43.ابن عميرة، (أبو المطرف أحمد المخزومي الشقري)، كائنة ميورقة وتغلب العدو عليها، تحقيق: محمد بن معمر، منشورات الأديب، الجزائر، الطبعة الأولى: 2006م.

44.العسكري، (أبو هلال الحسن بن سهل)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، دت.

45.الغبريني، (أبو عباس أحمد بن أحمد البجائي ت: 714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية،1981.

46.ابن القطان، (أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

47.القلقشندي، (أبو العباس أحمد بن علي الفزاري ت: 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة المصرية للكتاب، 1405هـ/1985م، 14ج.

48.ابن قنفد، (أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب القسنطيني)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي، الدار التونسية للنشر، دط، 1968م.

49.القرشي، (عبد الرحيم بن علي بن شيث)، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1408هـ/1988م.

50.ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار البيان العربي، مصر، دط، 2006م.

51.الماوردي، (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الثالثة، 1393هـ/1973م.

52.المرادي، (أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني)، الإشارة إلى أدب الإمارة، تحقيق: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1981.

53.المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط القاهرة،.

54.المقري، (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ/1998 م.

55. // ، أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، دط، 1398هـ/1978م، ج3.

56.المقريزي، (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت: 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، دت، دط.

57.ابن منظور الإفريقي، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرمة)، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لطبعة السادسة، 1417هـ/1997م.

58.النباهي، (أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي حي سنة: 793هـ)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ/1995.

59.النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التميمي ت: 732هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بمصر، دط، دت، ج7.

* ثانيا: المراجع

60.إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار السلمي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1384هـ/1965م.

61.إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.

62.أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت.

63.بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار الجيل، بيروت، دط، 1988م.

64.حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1968، 4ج.

65.حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية: 1416هـ/1996م.

66.حسن جلاب، الدولة الموحدية، أثر العقيدة في الأدب، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية: 1985م.

67.حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1980م.
68.حسين الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة:1957م.
69.رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ (العصر الإسلامي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م.
70.روجي إدريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، ق: 10-12م) ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1992م.
71.سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي؛ أغراضه وخصائصه الفنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995م.
72.سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى: 1405هـ/1985م.
73.سليم الحسنية، أضواء على صناعة الكتابة الدواوينية عند العرب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، دط، سنة:1997م.
74. سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط3: 1414هـ/ 1994م.
75.الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي، خلال القرنين (7-8 الهجريين)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993م.
76.عبد الحميد جيدة، صناعة الكتابة عند العرب، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ/1998م.
77.عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخين العرب، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر دط، 1997م.
78.عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الرباط، الطبعة الثانية، 2000م.
79.عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية، 1380هـ/1960م.

80.عصام الدين عبد الرءوف الفقي، دراسات في التاريخ والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1999م.

81.عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، (510-546هـ) (تاريخ سياسي وحضارة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ/1988م.

82.عفيفي محمود إبراهيم، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الثانية: 2002م.

83.فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (التاريخ السياسي والمؤسسات)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1994م.

84.كامل محمد محمد العويضة، ابن طفيل فيلسوف الإسلام في عصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1413هـ/1993م.

85.محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، الدار العربية للكتاب، دط، دت.

86.محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، مطبعة الرسالة، الرباط، دط، 1385هـ/1966م.

87.محمد رضوان الداية، الأدب الأندلسي والمغربي، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، دط، 1400هـ/1980م.

88.محمد عبد الله عنان، دواة الإسلام في الأندلس، قسم المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ/1990م.

89.محمد محمد علي الصلابي، دولة الموحدين، دار النشر والتوزيع الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

90.محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م.

91.محمود مصطفى، الأدب العربي بمصر من الفتح إلى نهاية العصر الأيوبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، 1387هـ/ 1967م.

92.الميلي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م.
93.الناصري، أبو عباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد ابني المؤلف، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط،1955م.
94.هوبكتر، النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، طبعة سنة: 1980م.
95.ول ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، المجلد الأول.
96.يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1417هـ/1996م.

* ثالثا: الرسائل الجامعية والمقالات:

97.الجيلالي سلطاني، الشعر الديني على عهد الموحدين، رسالة دكتوراه دولة (مرقونة)، كلية الآداب، جامعة وهران، 2001- 2002م.
98.عبد القادر بن أحمد الأطرش، النثر الديواني عند لسان الدين بن الخطيب، رسالة ماجستير(مرقونة)، جامعة الجزائر، سنة: 1404هـ/1982م.
99.عبد القادر دامخي، النثر الفني في الأندلس في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير(مرقونة)، كلية الآداب، دمشق، سوريا، دت.
100. عبد القادر قرش، الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه دولة(مرقونة)، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 1992- 1993.
101. عبد الهادي التازي، سفارة السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور، مجلة مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، عدد رقم: 11، سنة: 1994م.
102. محمد بن معمر، تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب الإسلامي على عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة وهران، سنة:1993/1992م.
103. محمد بن معمر، نظرة في مخطوط كائنة ميورقة، مجلة التراث الإسلامي، دمشق، عدد: 98، جمادي الأولى: 1426هـ/2005م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل	01
الكتابة لغة واصطلاحا	02
لمحة تاريخية عن الكتابة في المغرب قبل الموحدين	06
الفصل الأول: التنظيم الإداري لخطة الكتابة وحالة الكتّاب	16
أهمية خطة الكتابة وضرورة وجودها	17
ثقافة الكتاب وشروط اختيارهم	23
أنواع الكتاب الموحدين	38
أولا: كتّاب الإنشاء	40
أ- كاتب الخليفة	40
الديوان مؤسسة الكتابة	47
الدواوين وخصائص الديوان	48
ب- كاتب الوالي (السيد)	50
ثانيا: كاتب الجيش؛ كاتب ديوان العسكرية	57
كاتب ديوان التمييز	59
مهام الكتاب واختصاصاتهم	62
الحالة المادية والاجتماعية للكتاب	73

الحالة المادية والاجتماعية للكتاب 73
الفصل الثاني: الكتابات الرسمية عند الموحدين ونماذج من كتابهم 81
الرسائل الديوانية وأهميتها 82
شكل ومضمون الرسائل الديوانية 86
- الرسائل من ناحية الشكل 86
الهيكل العام للرسالة 86
علامة الرسائل (تعريفها، عبارتها، مراسيم وضعها) 89
طي الرسالة وختمها 93
البنية اللغوية للرسائل 95
- مضمون الرسائل الديوانية 98
الظهائر الموحدية 109
توقيعات الخلفاء الموحدون 115
نماذج من كتاب الموحدين 120
- أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي 121
- بنو عياش والكتابة 130
أسرة أبي الحسن عبد الملك بن عياش 130
أسرة أبي عبد الله محمد بن عياش 136
- أبو الفضل جعفر بن أحمد بن محشرة البجائي الأشيري 145

الخاتمـــة.......................... 149
ملاحـق.......................... 154
فهرس الموضوعات.................. 182